الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية

مجلة المعارف
للبحوث و الدراسات التاريخية

مجلة دورية دولية محكّمة

رئيس التحرير: أ. عمار غرايسة

Issn 2437-0584

الرئيس الشرفي: عمر فرحاتي – مدير الجامعة
المدير الشرفي للمجلة: عبد الرحمان تركي –عميد الكلية

العدد 04

رقم الايداع القانوني 471-2015

مجلة المعارف

للبحوث والدراسات التاريخية

مجلة دورية دولية محكّمة تعنى بالدراسات التاريخية

العدد الرابع – أفريل 2016

ترسل جميع المراسلات إلى رئيس هيئة تحرير مجلة المعارف
للبحوث و الدراسات التاريخية
ص ـ ب رقم : 789 . ولاية الوادي 39000 . الجزائر ـ
الهاتف / الفاكس 032223005
العنوان الالكتروني:
el-maaref@univ-eloued.dz

التعريف بالمجلة

من وحي الثورة الجزائرية المجيدة و في إطار الاحتفالات بالذكرى الستون المخلدة لها ، جاءت فكرة إنشاء هاته المجلة الموسومة بمجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية التي حازت على موافقة المجلس العلمي لكلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية لتكون فضاء متميزا للمعرفة . إذ المعرفة هي بلا شك الطريق الأنسب لمحاولة الاقتراب أكثر من الحقيقة التي هي أمل السالكين دروب العلم على أمل ملامستها في ظل أجواء الفكر الإنساني الحر و الذي لا يلتزم بغير ضوابط الموضوعية و الحقيقة المستندة للوقائع و الحقائق الثابتة.

إن مجلة المعارف تسعى لأن توجد لنفسها مكاننا بين الدوريات التاريخية المتخصصة لتسهم بفضل جهود الأقلام المتألقة في فضاءها في الغوص في مجال البحوث و الدراسات التاريخية لتخرج بها نحو أرحب الآفاق الدالة على مدى قدرة التاريخ في الإسهام إلى جانب العلوم و المعار الأخرى في صناعة واقع الأمة انطلاقا من فهم واقعها و محاولة لرسم مستقبلها. و تبقى المعرفة التي جاء بها أول غيث الوحي السماوي خير ما تستهدي به البشرية في دروب الحياة .

إدارة المجلة

الرئيس الشرفي:

الأستاذ الدكتور عمر فرحاتي

مدير جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي. الجزائر.

recteur@univ-eloued

المدير الشرفي :

الدكتور عبد الرحمان تركي ، عميد كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية.

hotmail.com@39- – – adab

مدير المجلة :

الدكتور محمد السعيد عقيبه ، نائب عميد الكلية المكلف بالعلاقات الخارجية و التعاون والتنشيط و الاتصال و التظاهرات العلمية.

maguieb@yahoo.fr

رئيس هيئة التحرير :

الأستاذ عمار غرايسه ، عضو هيئة التدريس بالكلية ،

ammar-gheraissa@univ-eloued

هيئة تحرير المجلة

أ. رابح رمضان . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

أ. الطاهر سبقاق . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

د. عانية البشير . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

أ. بلال بن عمر. جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

أ. رشيد قسيبه . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

أ. الجباري عثماني . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

أ.عبد الحميد العابد. جامعة الشهيد حمه لخضر. الوادي

الهيئة العلمية الاستشارية

أ . د . ابراهيم بحاز . جامعة غرداية . غرداية.	أ . د . إبراهيم بن محمد بن حمد المزيني . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية.
أ . د . أحمد شريفي . جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله . الجزائر.	أ . د . أحمد صاري . جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية . قسنطينة
أ . د . بن يوسف تلمساني . المركز الجامعي خميس مليانه .	أ . د . جمال حجر . جامعة قطر. قطر
أ . د . صالح بوسليم . جامعة غرداية . غرداية.	أ . د . عبد الوهاب شلالي . جامعة العربي التبسي . تبسة.
أ . د . علي آجقو . جامعة محمد خيضر . بسكرة.	أ . د . محمد حسن . جامعة تونس الأولى . تونس.
أ . د. علاوة عمارة . جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . قسنطينة.	أ. د . عمر حاج الزاكي. جامعة أم درمان السودان.
أ. د . عمر حاج الزاكي. جامعة أم درمان السودان.	أ. د . وجدان فريق عناد . جامعة بغداد العراق.
أ.د بوبه مجاني . جامعة قسنطينة2 . قسنطينة.	أ.د جمال يحياوي. جامعة أبو القاسم سعد الله. الجزائر.
د . أحمد الباهي . جامعة القيروان . تونس.	د . العمري مومن . جامعة قسنطينة2 قسنطينة.
د . الوفي نوحي . جامعة محمد الخامس . المغرب.	د . أنور عوده عواد الخالدي . جامعة آل البيت . الأردن.
د . بشير فايد . جامعة الدكتور محمد الأمين دباغين . سطيف.	د . بلقاسم ميسوم . جامعة محمد خيضر . بسكرة.
د . جمال بلفردي . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي.	د . خير الدين شترة . جامعة محمد بوضياف. المسيلة.
د . دلال لواتي . جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله . الجزائر.	د . رضوان شافو . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي.
د . طارق لعجال جامعة ملايا . ماليزيا.	د . عاشوري قمعون . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي.
د . عبد الحكيم أروغي . جامعة فريبورغ . ألمانيا.	د . عبد الكريم الماجري . جامعة منوبة تونس.
د . علي بن سعد آل زحيفه الشهراني . جامعة ملايا . ماليزيا.	د . علي غنابزية . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي.
د . عليان عبد الفتاح الجالودي . جامعة آل البيت . الأردن.	د . لزهر بديدة . جامعة الجزائر2أبو القاسم سعد الله . الجزائر.

د . لمياء بوقريوة . جامعة الحاج لخضر . باتنه.	د . محمد الأمين ولد آن جامعة نواقشط . موريتانيا.
د . محمد السعيد عقيب . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي.	د . محمد السعيد قاصري . جامعة محمد بوضياف. المسيلة.
د . محمد رشدي جراية . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي.	د . محمد عبد الرؤوف ثامر . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي.
د . محمد فرقاني . جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية . قسنطينة.	د . محمد وادفل . جامعة قسنطينة2 قسنطينة.
د . نواف عبد العزيز الحجمة . الهيئة العامة للتعليم التطبيقي و التدريب . الكويت.	د . هيوا عزيز سعيد . جامعة السليمانية . العراق.
د . ودان بوغفالة . جامعة معسكر . معسكر.	د . يوسف نبي ياسين . جامعة قطر . قطر.
د. أحمد عبد الدايم محمد حسين . جامعة القاهرة . مصر.	د. علي اليامي . جامعة السلطان قابوس . سلطنة عمان.
د. مبارك جعفري جامعة أحمد دراية . أدرار.	د. نجيب بن خيرة . جامعة الشارقة . الإمارات العربية المتحدة.
د . ناصر بالحاج . جامعة الحاج لخضر. باتنة د . اسماعيل وارشيد EH SS ismail warscheid فرنسا. أ . Juan Castilla Brazales خوان كاستيه براثالس . المدرسة للدراسات العربية . اسبانيا.	أ .Juan Castilla Brazales خوان كاستيه براثالس . المدرسة للدراسات العربية . اسبانيا.
د . Augustin Jomierأوغسطين جومييه(fondation thiers – cnrs/ce rhio)جامعة لومان . فرنسا.	

قواعد النشر بالمجلة

مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية هي مجلة علمية أكاديمية محكمة تعنى بنشر الدراسات والبحوث التاريخية باللغات العربية والانجليزية والفرنسية على أن يلتزم أصحابها بالقواعد التالية:

1- أن تكون المادة المرسلة للنشر أصيلة ولم ترسل للنشر في أي جهة أخرى.

2- أن لا يتجاوز حجم البحث 20 صفحة بما في ذلك قائمة المراجع والجداول والأشكال والصور وأن لا تقل عن 10 صفحات.

3- أن يتبع كاتب المقال الأصول العلمية المتعارف عليها في إعداد وكتابة البحوث وخاصة فيما يتعلق بإثبات مصادر المعلومات وتوثيق الاقتباس.

4- تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال واسم الباحث ورتبته العلمية، والمؤسسة التابع لها، الهاتف، والفاكس والبريد الالكتروني وملخصين، في حدود مائتي كلمة أحدهما بلغة المقال والثاني بالغة الإنجليزية على أن يكون أحد الملخصين باللغة العربية.

5- تكتب المادة العلمية العربية بخط نوع simplified Arabicمقاسه 14 بمسافة 21 نقطة بين الأسطر، العنوان الرئيسي simplified 16 Grasالعناوين الفرعية simplified Arabic مقاسه 14.

6- هوامش الصفحة أعلى 02 وأسفل 02 وأيمن 02 وأيسر 02 ، رأس الورقة 01، أسفل الورقة 1.25 حجم الورقة عادي (A4).

7- يرقم التهميش والإحالات بطريقة آلية Not de fin على أن تعرض في نهاية المقال.

8- المقالات المرسلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.

9- المقالات المنشورة في المجلة لا تعبر إلا على رأي أصحابها.

10- كل مقال لا تتوفر فيه الشروط لا ينشر مهما كانت قيمته العلمية.

11-يحق لهيئة التحرير إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.

ملاحظة: ترسل المقالات على العنوان البريدي التالي : el-maaref@univ-eloued.dz

كلمة العدد

مع اشراقة العدد الجديد تستهل مجلة المعارف ثاني اعوامها و معها تتنامى الأحاسيس بأهمية بذل المزيد من الجهد بغية الاقتراب اكثر من الحقيقة التاريخية التي هي بغية المراد لكل مشتغل في ميدان البحث التاريخي خدمة الانسانية من باب الاسهام في اثراء المكتبة التاريخية و افساحا المجال امام الباحثين القادرين على التعبير عن كفاءاتهم و مهاراتهم الرائدة في سبيل تطوير عملية البحث و التحكم في آلياته تحقيقا لمسعى الوصول للنقطة التي تجعل الباحث أقدر على معانقة الحقيقة التي هي ضالة كل من ينشدها في تجرد من الذاتية و التزام بأكبر قدر من الموضوعية.

تستهل المجلة بهذا العدد عاما جديدا من عمرها و هي كلها امل في استقدام المزيد من الاقلام التي تأمل ان تصل عبرها لأعلى المراتب خدمة للمعرفة و اسهاما في التاريخ الانساني و تشجيعا على ان تكون افضل فضاء لمنتج المعرفة التي تقدح بها قرائح تلك النخبة التي كانت لها الارادة لأن تكون فاعلة بإيجابيه واقعية تترجمها بانسياب المداد عبر فضاء مجلة المعارف ليصل الى أبعد الآفاق محققا الافادة و الاستفادة عبر ما يحققه من أثر او ما يدفع به غيره ليتحرك في ذات الاتجاه او ما يعاكسه مع الابقاء على اليقين بان طريق الوصول الى الحقيقة يهم الجميع و يشترك في سبيل الاقتراب منه الجميع لتتحقق الفائدة المشتركة التي تعود بالنفع العميم على الجميع

يبقى لنا أن لا ننسى ما يحياه عالمنا العربي بصورة خاصة من احوال و اهوال في ظل استمرار الوضع الراهن الذي لا شك انه احوج ما يكون الى ان يكون للمهتم بالقضايا المصيرية للأمة أن يعبر عن التزامه بتنفيذ الواجب الذي يملى عليه على امل ان يتغير الحال لما هو افضل .

و تبقى مع كل عدد مجلة المعارف تفتح ابوابها لكل من يمد يده اليها في سبيل الارتقاء بها لما هو افضل فالنجاح لا يمكن ان يكون الا نتاج المنطق التشاركي الذي يحقق الخير العميم للجميع

مع خالص الود و التقدير

رئيس هيئة التحرير

أ – عمار غرايسه

الفهرس

الموضـــــوع	الصفحــة
كلمة العدد	06
مواسم الحج في عهد النبوة 8-10هـ/ 626-631م أ.د/وجدان فريق عناد / جامعة بغداد / العراق	09
النخبة الثورية وإشكالية السلطة في المؤسسات الانتقالية للدولةالجزائرية1962/1956 د/ أحمد مسعود سيد علي /جامعة المسيلة	44
ليفي بروفنسال وثيقة غير منشورة حول الحملة السعدية على السودان د. لوبنى زبير /جامعة القاضي عياض/ المغرب د. سمير آيت اومغار / جامعة القاضي عياض / المغرب	71
علاقة هجومات 20 أوت 1955 بالتنظيم في الولاية الثانية التاريخية التنظيم الصحّي – أنموذجا– أ/ خريس لعبيدي / جامعة الشاذلي بن جديد/ الطارف	88
تجربة مجلة الدراسات الإنسانية في إبراز البحث العلمي د. عبد الحكيم حسن إبراهيم سيد أحمد/ جامعة دنقلا/ السودان	113
التعليم الفرنسي بمنطقة سوف خلال العهد الاستعماري بين الرفض والتأثير. أ/البشير مقدود /جامعة الشهيد حمة لخضر / الوادي	136
شركة آل المقري التجارية و دورها في تمتين العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي . د. هوارية بكاي– جامعة ابي بكر بلقايد – تلمسان	159
ملامح من تاريخ بلاد الأمازيغ أ. محمد حماس/ جامعة ابن طفيل. كلية الآداب. القنيطرة. المغرب	179
الثورة التحريرية بالجنوب الغربي الجزائري (المنطقة الثامنة من الولاية الخامسة) منطقة العين الصفراء –أنموذجا–شهادة حية للمجاهد خليفي بونوة (ملازم بجيش التحرير الوطني) أ/ حسين تواتي /جامعة أبي بكر بلقايد/ تلمسان	221
الفن و العمارة في مملكة مالي الإسلامية د. نور الدين شعباني/ جامعة الجيلالي بونعامة/ خميس مليانة أ . زينب جعني/ جامعة غرداية	243

تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية
لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي المجلة
يخضع ترتيب الموضوعات بالمجلة لاعتبارات فنية لا ترتبط برتبة الباحث ولا مكانته العلمية

مواسم الحج في عهد النبوة 8–10هـ/ 626–631م

أ.د. وجدان فريق عناد

مركز احياء التراث العلمي العربي

جامعة بغداد

ملخص:

من خلال تتبع الرويات التاريخية لمواسم الحج في عهد النبوة نجد أن موسم الحج في سنة 8 هـ /629 م و9هـ/ 630 م شهد استمرار الحج الوثني الى جانب الحج الإسلامي ، مع أمتلاك الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) القوة السياسية لمنعه ، إلا أن ذلك الإلغاء جاء عبر مراحل، مراعيا العهود والمواثيق التي عقدها، والأعراف والتقاليد السائدة بين القبائل العربية ، فكانت سنة 9هـ / 630 م هي الحد الفاصل بين الحج الوثني والإسلامي، ونزلت سورة براءة، وكانت عادة العرب أن لا ينبذ العهد إلا من صاحب العهد أو من كان قريب منه، لذلك فعندما نزلت براءة على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : لا يؤدى عني إلا رجل من أهل بيتي، ثم دعا الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فقال له: أخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عهد فهو له إلى مدته" .

بذلك أصبحت كل الظروف مهيأة لإبراز أهمية موسم الحج في الحياة الإسلامية، فمن الناحية الزمانية عاد الزمان ليكون الحج في شهر ذي الحجة، ويكون هذا الشهر موعداً ثابتاً للحج في كل سنة بعد أن حرم الله النسيء، فكانت سنة 10 هـ / 631 م هي السنة التي حج فيها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حجة الوداع التي أقرت مناسك وسنن الحج الاسلامي .

المقدمة :

كانت الصفات الاخلاقية للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) معروفة عند المشركين قبل البعثة النبوية الشريفة، فهو الصادق الأمين، وشكلت شخصيته المثل الأعلى للإنسانية في جميع الجوانب الحياتية . فعندما قيل له : أدع على المشركين، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : "إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة " . وفي فتح مكة تعامل مع المشركين الذين أخرجوه وعملوا على إيذائه تعاملاً إنسانياً وأخلاقياً سامياً، وهو في أوج مظاهر النصر والقوة، لذلك عندما سأل أهل مكة :" ماترون أني فاعل بكم؟ فأجابوه: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم ..... قال (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء " .

لقد أصبح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد فتح مكة أقوى القوى السياسية في الحجاز، وكان قادراًعلى منع المشركين والقصاص منهم، إلا أنه كان أنموذجاً للمسلمين في تعامله مع أعدائه والمشركين . وعلى سبيل المثال لا الحصر حج المشركين ، ففي الوقت الذي كان فيه الرسول قادر (صلى الله عليه وآله وسلم) على أصدار أوامره بمنعهم من الحج إلا أنه لم يفعل ذلك، بل نجده اتخذ خطوات عديدة من أجل تهيئة مكة لحج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجة الوداع .

إن الثابت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه لم يحج في الإسلام بعد الهجرة غير حجة واحدة، هي حجة الاسلام في سنة 10هـ / 631م، وأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يحج إلا بعد أن اصبحت كل الظروف مهيئة ومناسبة لإبراز أهمية هذا الحدث في الحياة الإسلامية، فمن الناحية الزمانية عاد الزمان ليكون الحج في شهر ذي الحجة، ويكون هذا الشهر موعداً ثابتاً للحج في كل سنة بعد أن حرم الله النسيء "انما النسيء زيادة في الكفر يضل الله به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم

الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين" [1]. ومن الناحية المكانية تهيأت مكة في هذا الوقف لاستقبال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأداء هذه الفريضة، إذ أن السلطة السياسية والعسكرية استقرت بيد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد فتح مكة سنة 8هـ / 629م ، وعام الوفود سنة 9هـ/ 630م ،فضلاً عن أن مكة تطهرت من المشركين في السنة الأخيرة عندما نزلت سورة براءة، والتي حرّم الله فيها سبحانه على المشركين حج البيت، لأن حج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وشهوده لمناسك حج المشركين، وحجه معهم معناه إقرار بالحج الوثني، لذلك فأنه لم يحج إلا بعد أن تطهرت مكة منهم .

بدأ المسلمون بأداء فريضة الحج بعد فتح مكة ، وقد حج بالناس أمير مكة عتاب بن أسيد في سنة 8هـ / 629م ، وحج المشركون على ما كانوا عليه من قبل ، وكانت سنة 9هـ/ 630 م حداً فاصلاً بين الاسلام والوثنية ، إذ نزلت سورة براءة "براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين" [2] في نقض ما بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين المشركين من العهد الذي كان بينهم، وكان ذلك العهد عاماً خاصاً ، فالعام أن لا يصد أحد عن البيت إذا جاءه، ولا يخاف أحد في الاشهر الحرم، أما الخاص فكان بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين قبائل العرب إلى آجال مسماة.

لقد أعطى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالطريقة التي أنهى بها الحج الوثني ، درساً مهماً في الأخلاق وحفظ العهود حتى مع الاعداء والمشركين ، ليرسخ مبدأ مهماً من مبادئ الدين الاسلامي .

مواسم الحج في عهد النبوة:

فتح الله سبحانه وتعالى مكة للمسلمين في سنة 8هـ / 629م ، وفي هذه السنة حج المسلمون إليها بعد الفتح، وقد حج بالناس أمير مكة عتاب بن أسيد، وهو: عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي

القرشي الاموي[3]. كنيته أبو محمد، ويقال أبو عبد الرحمن[4]. أسلم يوم فتح مكة[5]. استعمله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على مكة عند خروجه إلى حنين، وعمره آنذاك ثمان عشرة سنة[6]، ولم يزل عليها حتى توفى الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وبقي على مكة حتى وفاته[7]، وكان عتاب أول الأمراء على مكة[8]. وقد قال له الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما ولاه مكة: "تدري على من استعملتك؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: استعملتك على أهل الله"[9]. روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وروى عنه سعيد بن المسيب وعبد الله بن عبيدة الربذي وعمرو بن عبد الله بن أبي عقرب وعطاء بن أبي رباح[10]. توفي يوم مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه[11]. وذكرت بعض الروايات أنه كان عاملاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه على مكة يوم وفاته[12]، وتلك رواية ضعيفة، وإن البلاذري كذبها[13].

أقام عتاب بن أسيد الحج للناس في سنة 8هـ/ 629هـ، وحج المشركون على ما كانوا عليه قبل الاسلام[14]، وكان على المشركين أبو سيارة العدواني[15] ، وذلك أن هذا الموسم شهد حج المسلمين والمشركين، وكان المسلمون بمعزل عن غيرهم ويقف بهم عتاب بن أسيد المواقف كونه أمير مكة، لا لأن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) أمره على الحج[16]، اما المسعودي فذكر أن الناس "حجوا أوزاعاً ليس عليهم أحد"[17] . واختلف فيما اذا كان عتاب بن أسيد يعد أول أمير للحج في الاسلام عندما حج بالناس هذه السنة وهو أمير على مكة، أم أن أبا بكر الصديق هو أول أمير للحج عندما بعثه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أميراً للموسم في السنة التالية[18]. ونحن نرجح أن يكون عتاب هو أول أمير للحج كونه حج بالناس كأمير على مكة، أما أبو بكر رضي الله عنه فهو أول أمير يرسله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من المدينة إلى مكة على الحج.

وفي سنة 9هـ/ 630 م بعث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أبا بكر الصديق ليحج بالناس[19]، وكان المشركون يحجون مع المسلمين، ويطوف رجال منهم عراة ليس على أحد منهم أي نوع من الثياب، معتقدين أن ذلك تعظيم

لحرمة البيت، ويقول الواحد منهم أطوف بالبيت كما ولدتني أمي ليس عليّ شيء من الدنيا خالطه الظلم، وكان بعضهم لا يقف بعرفة وانما ينزل عند المزدلفة[20]، وكذلك فأنهم عندما كانوا يحجون مع المسلمين يعارضونهم بأعلى أصواتهم ليغلطوهم في التلبية فيقولون "لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك"[21]، فضلاً عن أن الوفود كانت لا تزال تقدم إلى المدينة تعلن إسلامها ويلتقيها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يلقنها تعاليم الاسلام[22]، لهذه الأسباب كلها، أرسل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أبا بكر نيابة عنه ليحج بالناس.

خرج أبو بكر رضي الله عنه في ثلاثمائة رجل من المدينة، وبعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معه بعشرين بدنة قلدها وأشعرها بيده الشريف، وعليها ناجية بن جندب الأسلمي[23]، وساق أبو بكر رضي الله عنه خمس بدنات[24]. وأرسل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المال مع أبي بكر ليعمل به الطعام للحجيج .

كان حج أبو بكر في هذه السنة حداً فاصلاً بين الإسلام والوثنية في جزيرة العرب[25]، إذ نزلت سورة براءة "براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين"[26] في نقض ما بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين المشركين من العهد الذي كان بينهم، وكان ذلك العهد عاماً خاصاً ، فالعام أن لا يصد أحد عن البيت إذا جاءه، ولا يخاف أحد في الأشهر الحرم، أما الخاص فكان بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبين قبائل العرب إلى اجال مسماة[27]. وكانت عادة العرب أن لا ينبذ العهد إلا من صاحب العهد أو من كان قريب منه[28]، لذلك فعندما نزلت براءة على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان قد بعث أبا بكر رضي الله عنه ليقيم للناس الحج، قيل له "يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي، ثم دعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال له: أخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم) عهد فهو له إلى مدته"[29]. فخرج الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) على ناقة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العضباء، ولما ادرك أبا بكر الصديق بالطريق[30]، قال له أأمير أم مأمور؟ فقال علي (عليه السلام) : بل مأمور، ثم مضيا إلى مكة[31].

أقام أبو بكر الحج للناس والعرب إذ ذلك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها قبل الإسلام، وقد أتى عرفة من قبل ذي المجاز[32]، وكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أمره الوقوف بعرفة لكي يخالف المشركين الذين يقفون بجمع، ولا يدفع منها حتى الليل، وأن يدفع من جمع قبل طلوع الشمس[33]، حتى اذا كان يقوم النحر قام علي بن أبي طالب عليه السلام فأذن في الناس بالذي أمره به رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يحج بعد العام مشرك، ومن كان له عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عهد فهو له إلى مدته، وأجل الناس أربعة اشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل منهم إلى بلاده، وأبلغهم أنه لا عهد لمشرك ولا ذمة، إلا من كان له عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو الى مدته[34]، وأن هذه الأيام أيام أكل وشرب، وأن الله لا يدخل الجنة إلا من كان مسلماً، فقالوا: "نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك إلا من الطعن والضرب"[35]، ورجع المشركون، ولام بعضهم بعضاً وقالوا "ما تصنعون وقد أسلمت قريش، فاسلموا"[36] .

بعد انتهاء أيام الحج رجع أبو بكر الصديق، والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الى المدينة، ولم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان، وكانت براءة تسمى في زمان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) "المبعثرة" لما كشفت من سرائر الناس[37]، كما أنها تعد الضربة القاضية على الشرك عند العرب إذا لم يعد أحد منهم يستطيع دخول مكة إلا إذا كان مسلماً[38]، وكانت حجة أبي بكر هذه في شهر ذي القعدة[39].

لقد فرض الحج على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) – كونه ركناً أساسياً من أركان الاسلام الخمسة– وهو في المدينة [40]، ولا يمكن تحديد السنة التي فرض فيها الحج، ولكنها تكون بين سنة 5–10 هـ/ 626–631م [41]، وعلى الأرجح أن فرضه لم يكن قبل نزول قوله تعالى: "ولله على الناس حج البيت من أستطاع إليه سبيلاً ومن كفر فأن الله غني عن العالمين"[42]، وقوله تعالى: "وأتموا الحج والعمرة لله"[43].

إن الثابت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه لم يحج في الإسلام بعد الهجرة غير حجة واحدة، هي حجة الإسلام في سنة 10هـ/ 631م[44]، أما الاختلاف فكان في حجه (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل ذلك، وهل حج قبل نبوته، وكذلك بعد بعثته وقبل الهجرة، أما عن حجة قبل نبؤته (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد وردت إشارات إلى أنه كان يقف بعرفة مخالفاً بذلك قومه ويدفع مع الناس، وهذا من رعاية الله له[45]. أما عن حجه (صلى الله عليه وآله وسلم قبل هجرته إلى المدينة، فقد اختلفت المصادر في عددها فكانت بين حجتين[46]، وثلاث حجات[47].

كما أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يحج إلا بعد أن أصبحت كل الظروف مهيأة ومناسبة لإبراز أهمية هذا الحدث في الحياة الإسلامية، فمن الناحية الزمانية عاد الزمان ليكون الحج في شهر ذي الحجة، ويكون هذا الشهر موعداً ثابتاً للحج في كل سنة بعد أن حرم الله النسيء "انما النسيء زيادة في الكفر يضل الله به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين"[48]. ومن الناحية المكانية تهيأت مكة في هذا الوقف لاستقبال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأداء هذه الفريضة، إذ أن السلطة السياسية والعسكرية استقرت بيد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد فتح مكة سنة 8هـ/ 629م، وعام الوفود سنة 9هـ/ 630م[49]، فضلاً عن أن مكة تطهرت من المشركين في السنة الأخيرة عندما نزلت سورة براءة، والتي فيها حرم الله سبحانه على المشركين حج

البيت، لأن حج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وشهوده لمناسك حج المشركين، وحجه معهم معناه إقرار بالحج الوثني، لذلك فأنه لم يحج إلا بعد أن تطهرت مكة منهم[50].

ويبدو من تتبع الروايات في المصادر التاريخية ، أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان حريصاً على إعطاء المسلمين درساً تاريخياً فيه العديد من المؤشرات عن المنهج السلمي في معالجة القضايا ذات الأبعاد الدينية والسياسية ، من خلال الأسلوب المتدرج في إنهاء الحج الوثني ، على الرغم من امتلاكه القوة السياسية منذ فتح مكة سنة 8هـ/ 629م ، إلا أن الامر الالهي لم يأتي حينئذ ، وربما يمكن تفسير ذلك بمعان سامية للمنهج القرآني في الدعوة إلى الإسلا م وتطبيق أركانه باللين والحوار واحترام العهود والمواثيق مع الآخر أياً كانت عقيدته الإيمانية، والابتعاد عن استعمال القوة في فرض العقيدة .

حجة الوداع

لما عزم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على الحج في سنة 10هـ/ 631م، بدأ الاستعداد والتنفيذ من خلال إعلام المسلمين أولاً أن الله عز وجل فرض الحج عليهم، وأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) عازم على الحج هذا العام، وما أن أذن المؤذنون بذلك حتى قصد المدينة خلق كثير لمرافقة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والاقتداء به[51].

وما أن اوشك شهر ذي القعدة على الانتهاء حتى خرج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في اليوم الخامس والعشرين منه[52]، وكان ذلك يوم السبت[53] صاحباً معه كل نساءه "مغتسلاً متدهناً مترجلاً في ثوبين صحاريين من آزار ورداء"[54]، سالكاً طريق الشجرة بعد أن خطب وصلى الظهر أربعاً بالمدينة[55]. وعلى طول الطريق من المدينة إلى مكة استمر المسلمون الذين لم يدركوا خروجه (صلى الله عليه وآله وسلم) من المدينة ينظمون اليه، حتى قدر عددهم بأكثر من مائة

وأربعة عشر الفاً، حتى أن لقب الصحابي ناله الكثير منهم من مرافقة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)في حجته هذه فقط[56].

دخل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة نهار الأحد[57]، فقصد المسجد الحرام ودخله من باب بني شيبه[58] في وقت الضحى[59]، وما أن نظر الى البيت حتى رفع يديه ودعا (صلى الله عليه وآله وسلم) "اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة، وزد من عظمة من حجه واعتمره تشريفاً وتكريماً ومهابة وتعظيماً وبراً"[60]. وأدى تحية المسجد وهو الطواف[61]، فلما حاذى الحجر الأسود لمسه بيده الشريفة وقبله،[62]، وطاف سبعة أشواط رمل[63] في الثلاثة الأولى منها، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) مضطبع[64] بردائه[65]. وكان دعاؤه (صلى الله عليه وآله وسلم) بين الحجر الأسود والركن اليماني "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"[66]. وبعد أن أتم الطواف قصد مقام إبراهيم، وقرأ "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى"[67]. وجعل (صلى الله عليه وآله وسلم) المقام بينه وبين البيت، وصلى ركعتين قرأ فيهما سورتا الكافرون والاخلاص[68]. ثم عاد الى الحجر الأسود فاستلمه وخرج إلى الصفا والمروة من باب الصفا[69]، وقرأ "إن الصفا والمروة من شعائر الله"[70] ابدأ بما بدأ الله به[71]. فبدأ بالسعي وارتقى على الصفا، وما أن رأى البيت فاستقبل القبلة ووحد وكبر ودعا "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل قدير، لا إله الا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده"، وفعل الشيء نفسه على المروة[72] . وبعد أن أتم السعي كرر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يحل من إحرامه كل من لم يسق الهدى معه وقد تأخر البعض في تنفيذ أمره (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأنهم كرهوا أن يحلوا بينما يبقى هو محرماً، فبقوا على إحرامهم اقتداءاً بفعله (صلى الله عليه وآله سلم) ، فخطب بهم "قد علمتم أني أتقاكم لله وأصدقكم وابركم، لولا هدى لحللت كما تحلون، فلو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي...."[73].

وقصد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بكلامه هذا أن يعلمهم أنه اختار لهم الأفضل، عندئذ سمعوا، أطاعوا فتحللوا من إحرامهم[74]. وكانت نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع من أحل لأنهن لم يسقن معهن الهدي، وممن بقي على إحرامه مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أبو بكر وعمر بن الخطاب والزبير وطلحة وجماعة من أهل الوفر ممن ساق الهدي[75]. أما الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فبقي على احرامه، لأنه عندما قدم من اليمن التقى برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي استفهم منه عن احرامه، فلما علم أنه أهل باهلال النبي (صلى الله عليه وسلم)، أمره بالبقاء في الإحرام، إذ قال له: "بم أهللت؟ قال: بما أهل به النبي، قال: فأهد وامكث كما أنت...."[76]، في حين أمر(صلى الله عليه وآله وسلم) أبا موسى الاشعري أن يحل لأنه لم يسق معه الهدي[77] .

وبعد التحلل دعا للمحلقين ثلاثاً وللمقصرين مرة[78]، وقد سأله سراقة بن مالك بن جعشم مستفهماً عن أمر هذا الفسخ بين الحج والعمرة فيما إذا كانت لهذا العام فقط؟ فكان جوابه (صلى الله عليه وآله وسلم)، أن العمرة دخلت في الحج إلى الابد[79]. وبقي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نازلاً الابطح[80]، حتى كان يوم التروية (الثامن من ذي الحجة)، توجه الى منى، ومنها أحرم من كان قد تحلل، صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وبات بها، وقيل أن سورة المرسلات نزلت في ذلك اليوم[81]. وبعد طلوع شمس اليوم التالي (التاسع من ذي الحجة) سار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بطريق ضب[82] قاصداً عرفة، وقريش (الحمس) لا تشك أنه سيقف في المشعر الحرام متجاوزاً عرفة، إلا أنه تابع سيره حتى وقف في عرفة، لأن الله سبحانه أمره أن تكون الإفاضة منها "ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم"[83]. وقد ضربت له (صلى الله عليه وآله وسلم) في عرفة قبة في نمرة[84].

وما أن زالت الشمس حتى أتى بطن الوادي فخطب (صلى الله عليه وآله وسلم) على راحلته[85]، وبعد أن أنهى الخطبة أمر (صلى الله عليه وآله وسلم) بلالاً

بالأذان، فصلى الظهر والعصر قصراً بأذان واحد وإقامتين[86]، وبعد الصلاة ركب راحلته حتى نزل في الموقف واستقبل القبلة وأخذ بالدعاء والتضرع[87]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) "كل عرفة موقف إلا بطن عرفة"[88]. وبعرفة "استجيب دعاء المغفرة فيما عدا المظالم"[89]. وهنا سأله أهل نجد عن الحج، فكان جوابه صلى الله عليه وآله وسلم "الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد ادرك الحج، أيام منى ثلاثة"[90]. وبعد العصر من يوم الجمعة نزل قوله تعالى "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً"[91]. وبعرفة قال الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) "قفوا على مشاعركم فانكم على إرث أبيكم إبراهيم"[92]. وفيها سقط رجل من المسلمين عن راحلته فمات، وأمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يكفن باحرامه، وقال: "اغسلوا بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه، ولا تخمروا رأسه فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبياً"[93].

بقي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه المسلمون حتى غربت الشمس وصفرتها، فركب راحلته وأردف خلفه أسامة بن زيد، وأفاض كما أمره ربه من عرفة من طريق المأزمين[94] قاصداً المزدلفة[95]، وكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمر الناس بالسكينة في مسيرهم، مبتدأ بنفسه ليكون القدوة[96]، وكان موقفه (صلى الله عليه وآله وسلم) في المزدلفة بقزح[97]، وهناك توضأ وصلى المغرب والعشاء، كما في صلاة الظهر والعصر بعرفة، وبات بها[98]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): "إن كل المزدلفة موقف"[99].

ما أن طلع فجر يوم السبت العاشر من ذي الحجة وهو يوم الحج الاكبر- يوم العيد، يوم الاضحية[100] "أذن لأهل الضعف من الذرية والنساء أن يأتوا من قبل حطمه الناس"[101]. وأمرهم أن لا يرموا جمرة العقبة إلا بعد طلوع الشمس، وبعد أن صلى الصبح بالمزدلفة ركب راحلته، ورديفه هذه المرة الفضل بن العباس الذي التقط له الحصى للرمي مثل الخندق[102].

أسرع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في سيره عندما وصل الى بطن محسر[103]، لأنه الموضع الذي أنزل الله سبحانه عذابه بأصحاب الفيل[104]، وسلك

الطريق الوسط، حتى انتهى إلى جمرة العقبة فرمى بها، وكان الرسول (صلى الله وآله وسلم) ملازماً للتلبية، حتى بدأ الرمي قطع التلبية، وكان يكبر مع كل رمية[105]. وذكر أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان يعبر عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما خطب[106]، ثم قصد (صلى الله عليه وآله وسلم) المنحر، وقال "كل منى منحر"[107]. ونحر مائة بدنة، نحر منها ثلاثة وستون بيده الشريفة، وأكمل الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بقية المائة[108]. وذبح عن نسائه البقر[109]، وذكر أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ضحى بكبشين أملحين، واحد عن أمته وآخر عن محمد وآل محمد[110]. وأمر بأخذ قطعة من كل ما ذبح وطبخت بقدر واحد، وأكل لحمها وشرب من مرقها مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وأمره الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يتصدق بلحمها وجلالها وجلودها ولا يعطي شيئاً منها الجزار[111].

وبعد أن أتم النحر بدأ الحلق[112]، واعطى أبا طلحة الانصاري[113] شعر النصف الايمن من رأسه (صلى الله عليه وآله وسلم)، واقتسم بقية الحجاج النصف الآخر للتبرك، وقلم (صلى الله عليه وآله وسلم) أظفاره، وقص شاربه وعارضيه[114]. ودعا للمحلقين ثلاثاً وللمقصرين مرة[115]. وبعد الحلق لبس (صلى الله عليه وآله وسلم) ثياب وتطيب[116]، ثم أفاض قبل الظهر الى مكة وهو راكب راحلته[117]، فطاف الطواف الذي يسمى الفرض[118]، وطواف الزيارة[119]، وطواف الصدر[120].

بعد الطواف جاء (صلى الله عليه وآله وسلم) الى بئر زمزم، وكانت السقاية لعمه العباس، وقد ابقاها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده عند فتح مكة، وقال: "لولا أن يغلبكم الناس لنزلت فسقيت معكم، ثم ناولوه الدلو فشرب..."[121].

وبات بمنى ذاك اليوم، لتبدأ بعد ذلك أيام التشريق[122]، ويسمى اليوم الأول من أيام التشريق- الحادي عشر من ذي الحجة- يوم القر "لأنهم يقرون فيه بمنى"[123]،

ويسمى أيضاً يوم الرؤوس[124]. أما اليوم الثاني- عشر من ذي الحجة فيسمى يوم النفر الأول[125]، ويسمى أيضاً يوم الأكارع[126]. ويسمى اليوم- الثالث- الثالث عشر من ذي الحجة- يوم النفر الثاني[127]، ويسمى يوم الصدر لأن الناس يصدرون فيه من مكة إلى أماكنهم[128]. وذكر أن قوله تعالى "إذا جاء نصر الله والفتح"[129] نزل في وسط أيام التشريق[130]، فعرف (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه الوداع، فأمر براحلته وخطب[131] في ذلك اليوم[132]. واستثنى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عمه العباس من المبيت بمنى لسقايته، ورعاة الإبل لرعاية إبلهم[133]. وفي أيام التشريق كان (الرسول صلى الله عليه وآله وسلم) بعد زوال الشمس يرمي الجمار بالترتيب، فيبدأ باأولى، وبعد الرمي يدعو طويلاً، وكذلك عند الثانية، أما الثالثة فلم يقف عندها للدعاء بعد الرمي[134]. ونهى (صلى الله عليه وآله وسلم) عن صيام أيام التشريق فهي أيام أكل وشرب[135].

أكمل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الرمي في أيام التشريق، ولم يتعجل في النفر على الرغم من وجود الرخصة بالتعجيل من الله سبحانه بقوله "واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن أتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون"[136]، لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أمام المسلمين ومنه يأخذون مناسكهم، فكان يكرر في حجته "خذوا مناسككم، فأني لا أعرف لعلي لا أحج بعد حجتي هذه"[137]. وبعد ن أتم رمي اليوم الثالث، أفاض بمن بقي معه من المسلمين إلى المحصب[138]، وكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يجيب كل من سأل التأخير أو التقديم في بعض الأمور مثل الذبح قبل الرمي بعدم التحرج، حتى قيل "فما سئل يومئذ عن شيء قدم أو أخر إلا قال: اصنع ولا حرج"[139]. وكانت افاضته يوم الثلاثاء[140]، وفي المحصب ضربت له (صلى الله عليه وآله وسلم) قبة فنزلها، وصلى بالمحصب الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء[141]، وبعد أن هجع شيء من الليل نهض ودخل مكة للطواف والذي يسمى الوداع[142]، وطواف الإفاضة[143].

لقد حج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) "على رحل رث وقطيفة تساوي أربعة دراهم، أو لا تساوي، وقال: اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة"[144]. خرج (صلى الله عليه وآله وسلم) من مكة من أسفلها، من الموضع المعروف بكدى[145].

إن حجة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه هي التي أقرت مناسك وسنن الحج الاسلامي[146]. وهذه الحجة عينت مواقيت الاحرام الزمانية والمكانية، فالميقات الزماني تحدد بقوله تعالى "الحج اشهر معلومات"[147] وهي شوال وذو القعدة، وعشر ليال من ذي الحجة[148]، وفيها يكون احرام من نوي أداء فريضة الحج[149].

أما المواقيت المكانية للإحرام فهي، ذي الحليفة موضع إحرام أهل المدينة، والجحفة موضع أهل الشام، وقرن المنازل موضع إحرام أهل نجد، ويلملم موضع إحرام أهل اليمن، وذات عرق موضع إحرام أهل العراق ، وهذه المناطق تعد أماكن إحرام لأهلها ومن سلكها من غير أهلها[150].

وفي هذه الحجة وضع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سنن الإحرام والطواف الخاصة بالنساء من خلال أقواله وأفعاله (صلى الله عليه وآله وسلم)[151].

أما عن التلبية فقد اصبحت واحدة للمسلمين كلهم، فضلاً عن الوقوف بعرفة والسعي بين الصفا والمروة، وقد خالف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المشركين في وقت الإفاضة من المزدلفة[152]، وأصبح للحجاج المسلمين ملابس خاصة عند الإحرام[153].

أحل الاسلام التجارة في موسم الحج[154]. وقد كسى (صلى لله عليه وآله وسلم) في حجته هذه الكعبة الشريفة الثياب اليمانية[155]. وعرفت هذه الحجة بأسماء كثيرة منها: حجة الوداع، حجة الإسلام وحجة البلاغ، وحجة التمام[156].

ومن تلك الحجة ظهر منصب إمارة الحج وأمير الحج ، ونظر الفقهاء إلى منصب الإمارة بعين الدقة والاهتمام، لأن "ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا يقام الدين ولا الدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، فلابد لهم عند الاجتماع من رأس"[157].

وكان من الطبيعي أن تكون لإمارة الحج نصيبها من الأولوية في الاهتمام لدى الفقهاء، لكون الحج أحد الركائز الأساسية في العقيدة الإسلامية، ولأن من يتولى إمارة الحج يكون "قد حل بهذه المرتبة الشريفة فوق النيرين، وعلا محله على السماكين، وناب عن الإمام الأعظم في خدمة الحرمين الشريفين"[158]. وقد حدد الفقهاء الولاية على الحج بنوعين: ولاية على تسيير الحجيج وولاية على إقامة الحج[159].

وربما يمكننا القول أن مواسم الحج في عهد النبوة ،كانت مواسم تأسيس لمبادى أخلاقية يجب ان تراعى في تعامل المسلمين فيما بينهم وبين الآخرين المختلفين عنهم فكريا ، لما في ذلك من بيان لعظمة الرسالة التي بعث فيها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) رحمة للعالمين .

الخاتمة :

إن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الرحمة والقدوة والأسوة الحسنة ، ولابد ان يقتدي بسنته وسيرته وصفاته المسلمين وسائر الناس . لأن أتباع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوصل إلى الحق والرشاد، ومن ذلك فهو المثل الأعلى للسلوك الإسلامي في كيفية التعامل مع الكافرين .

فعندما دخل مكة بعشرة الاف مقاتل، محققا النصرعلى من حاربوه وأخرجوه ، وهو ماسك لزمام القوة والنصر، إلا أنه أعطى الأنموذج الأصدق للرحمة في التعامل حتى مع الأعداء، عندما قال لهم : " اذهبوا فأنتم الطلقاء".

وأعطى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صورة أخرى لما يتحلى به من أخلاق في موضوع الحج، فمع امتلاكه القوة لفرض قرار الغاء الحج الوثني، إلا أن ذلك الإلغاء جاء عبر مراحل، مراعيا العهود والمواثيق التي عقدها، والأعراف والتقاليد السائدة بين القبائل العربية .

فكانت سنة 9هـ / 630م هي الحد الفاصل بين الحج الوثني والإسلامي، ونزلت سورة براءة، وكانت عادة العرب أن لا ينبذ العهد إلا من صاحب العهد أو من كان قريب منه، لذلك فعندما نزلت براءة على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : لا يؤدى عني إلا رجل من أهل بيتي، ثم دعا الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فقال له: أخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عهد فهو له إلى مدته" .

قائمة الهوامش

[1] سورة التوبة، آية 37؛ أنظر كذلك: الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،ج10، دار الفكر (بيروت، 1988) ، ص129.

[2] سورة براءة ، الآية 1 .

[3] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت 218هـ) السيرة النبوية لابن هشام مع شرح أبي ذرالخشعمي ،ج4، تحقيق همام عبد الرحيم ومحمد بن عبد الله الصعاليك ، مكتبة المنار ،(الاردن ، 1988)، ص 200-201؛ ابن سعد، محمد بن منيع (ت230هـ)، الطبقات الكبرى، ج5،دار صادر ،(بيروت ، د.ت) ص446؛ المقدسي، المطهر بن طاهر أبو زيد احمد بن سهل البلخي (ت القرن الرابع الهجري). البدء والتاريخ (منسوب اليه)، ج5 (باريس،

1916)، ص107؛ ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد الاندلسي (ت456هـ). جمهرة أنساب العرب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار صادر (القاهرة ، 1948)، ص104.

[4] ابن حبان، محمد بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي (ت 354هـ). الثقات، ج3، مطبعة دائرة المعارف العثمانية (الهند، 1975)، ص304؛ ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت 630هـ). أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محي إبراهيم البنا وآخرون، ج3، دار الشعب (د.م، د.ت)، ص556.

[5] ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد
ت 463هـ). الاستيعاب في معرفة الاصحاب تحقيق علي محمد البجاوي، القسم الثالث، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة، د.ت)، ص1023.

[6] قيل أن عمره عندما استخلفه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)على مكة كان نيفا وعشرون سنة، انظر: ابن الاثير، أسد الغابة، 556/3؛ النووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف (ت 676هـ). تهذيب الاسماء واللغات، ج1، إدارة الطباعة المنيرية، (القاهرة، د.ت) ص318؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ) تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير الأعلام، تحقيق محمد محمود عثمان، ج1، مطبعة السعادة، (مصر، 1985) ص509؛ الخضراوي، أحمد بن محمد، العقد الثمين في فضائل البلد الأمين، تحقيق كاظم الشيخ جواد الساعي، مطبعة القضاء (النجف، 1958) ص110.

[7] البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ). أنساب الاشراف، ج4-ق2، مطبعة جامعة القدس (القدس، 1938)، ص150؛ ابن حبان، الثقات، 3م304؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 1023/3-1024، ابن قدامة، موفق الدين ابي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي (ت 620هـ). التبيين في أنساب القرشيين، تحقيق محمد نايف الدليمي، منشورات المجمع العلمي العراقي (بغداد، 1982) ص169؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت 820هـ). مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج،

ج1، عالم الكتب، (بيروت 1964) ص61؛ المقريزي، تقي الدين أبي محمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم الشافعي (ت 845هت). النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، المكتبة الحيدرية (النجف، 1966) ص29.

[8] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت395هـ)، الأوائل، تحقيق محمد السيد الوكيل ، مطبعة دار أمل (طنجة ، د.ت)، ص222؛ الفاسي، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي المكي المالكي (ت832هـ)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج1، مطبعة السنة المحمدية (القاهرة ، د.ت)،ص 161؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ). الوسائل الى معرفة الاوائل، تحقيق ابراهيم العدوي وعلي محمد عمر، مكتبة الخانجي (القاهرة، د.ت) ص103.

[9] الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت 207هـ). المغازي، تحقيق مارسدن جونسن، ج3، دار المعارف، (مصر، د.ت) ص959، ابن سعد، الطبقات، 446/5؛ انظر كذلك: دحلان، احمد زيني. السيرة النبوية والآثار المحمدية (بهامش كتاب انسان العيون في سيرة الامين، المامون المعروف بالسيرة الحلبية للحلبي، ج2، ط3، المطبعة الازهرية، (القاهرة، 1932)، ص339.

[10] الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس، بن المنذر التميمي الحنظلي (ت 327هـ). الجرح والتعديل، ج7، دار إحياء التراث العربي (بيروت، 1952)، ص11؛ ابن حجر، شهاب الدين إبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ). تهذيب التهذيب، ج7، دار صادر (بيروت، 1327هـ)، ص89.

[11] خليفة بن خياط، أبو عمرو العصفري البصري (240هـ)، الطبقات، ج4، تحقيق سهيل زكار ، مطابع وزارة الثقافة ، (دمشق، 1966)، ص694؛ ابن حبان، الثقات، 304/3؛ المقدسي، البدء والتاريخ (منسوب)، 107/5؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، 508/1؛ الفاسي، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد علي المكي المالكي (ت 832هـ). شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام،

ج2، دار إحياء الكتب العربية، د.م، 1956، ص163؛ المقريزي، النزاع والتخاصم، ص29.

[12] انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ)، تاريخ الطبري ،ج4، تحقيق ، محمد ابو الفضل إبراهيم ، دارالمعارف ،(القاهرة، 1977)،ص479، 597، 623، 39/4، 94؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ)، نهاية الارب في فنون الادب ،ج9، المؤسسة المصرية ،(القاهرة ، د.ت) ص398؛ ابن فهد المكي، محمد بن محمد عمر القرشي الهاشمي (ت 885هـ). اتحاف الورى باخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت، ج2، مكتبة الخانجي، (القاهرة، 1983)، ص4.

[13] أنساب الاشراف، ج4-ق2/ 150؛ انظر كذلك: الفاسي، شفاء الغرام، 164/2.

[14] ابن هشام، السيرة النبوية، 201/4 .

[15] ابن فهد المكي، اتحاف الورى، 561/1 .

[16] الواقدي، المغازي، 959/30؛ 959/30؛ الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت 250هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملخص، ط2، مطابع دار الثقافة (مكة المكرمة، 1965).ص185-186؛ ابن فهد المكي، اتحاف الورى، 561/1؛ عبد الغني، عارف. تاريخ أمراء مكة المكرمة من 8هـ-1344هـ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق، 1992)، ص87.

[17] المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ج 4 ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،ص396.

[18] أبو زرعة، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان بن عمرو النصري الدمشقي (ت 218هـ). تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق شكر الله نعمة الله القوجاني، ج1 (د.م، د.ت) ص589؛ ابن الأثير، أسد الغابة، 556/3.

[19] ابن سعد، الطبقات، 168/2؛ خليفة بن خياط، أبو عمرو العصفري البصري، (ت 240هـ). تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ج1، مطبعة الآداب (النجف، 1967) ص57؛ ابن حبيب، محمد بن أمين بن عمر الهاشمي (ت 245هـ) ، المحبر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ،(حيدر آباد ، 1942)، ص12؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت292هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، ج2، المطبعة الحيدرية ، (النجف ، 1964)،ص 65؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، 4 /396؛ الفاسي، شفاء الغرام، 213/2.

[20] ابن هشام، السيرة النبوية، 253/4 ودحلان، السيرة النبوية، 382/2؛ الخربوطلي، علي حسني. الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية (مصر، د.ت) ص ص257–259؛ عامر، محمد مهدي، قصة كبيرة في تاريخ السيرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (القاهرة، د.ت) ص332.

[21] الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت 764هـ). عيون التواريخ، تحقيق حسام الدين القدسي، ج1، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1980)، 381.

[22] هيكل، محمد حسين. الصديق أبو بكر، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة 1964)، ص44؛ الشريف، أحمد إبراهيم. الدولة الإسلامية الأولى، دار القلم (القاهرتن 1965)، ص245؛ الخربوطلي، الرسول في المدينة، ص257.

[23] ناجية بن جندب الأسلمي: من بني سهم أحد بطون أسلم شهد مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الحديبية، وعمرة القضية، وفتح مكة. وكان يتولى قيادة هدي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه العمرات وفي حجة الوداع. مات بالمدينة . انظر: ابن سعد، الطبقات 314/4.

[24] الواقدي، المغازي، 1077/3؛ ابن سعد، الطبقات، 168/2؛ الطبري، تاريخ، 122/3؛ المسعودي، مروج الذهب، 396/4؛ ابن حبان، الثقات، /113؛ ابن سيد الناس، فتح الدين أبو الفتح محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى الشافعي (ت 734هـ). عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير،

ج2، ط2، دار الجيل (بيروت، 1974)، ص231؛ الكتبي، عيون التواريخ، 375/1.

[25] مسلم، صحيح مسلم، 495/3؛ مظهر، جلال، محمد رسول الله سيرته وأثره في الحضارة، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1971)، ص376.

[26] سورة التوبة، آية 1، انظر: الطبري،جامع البيان ،ج10/ 58-60.

[27] الواقدي، المغازي، 1077/3؛ ابن هشام، السيرة النبوية، 253/4-254؛ الكلاعي، أبو الربيع سليمان بن موسى الأندلسي (ت634هـ)، الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء،ج2، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مطبعة السنة المحمدية ،(القاهرة ، 1968)، ص409؛ النويري، نهاية الإرب، 439/16.

[28] دحلان، السيرة النبوية، 382/2؛ عامر، قصة كبيرة، ص332.

[29] ابن هشام، السيرة النبوية، 256/4؛ انظر كذلك: البلاذري، أنساب الأشراف، 383/1.

[30] روي أن صدر سورة براءة نزلت قبل خروج أبي بكر، وأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث بها معه، ثم ألحق به الإمام علي (عليه السلام) فأخذها منه، وعندها رجع ابو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء؟ قال: لا ولكن لا يبلغ عني غيري، أو رجل مني . أنظر: اليعقوبي، تاريخ، 66/2؛ الطبري، تاريخ، 122/3-123.

[31] أبو زرعة، تاريخ أبي زرعة، 589/1؛ ابن سعد، الطبقات، 168/2؛ الكلاعي، الاكتفاء، 409/2-410؛ الديار بكري،حسين بن محمد بن الحسن (ت966هـ) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، ج2 ،(القاهرة ، 1866)،ص141 ؛ ينظر : وجدان فريق عناد العارضي، أثر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في إمارة الحج 8-40هـ/ 629-660م، مطبعة الصنوبر للطباعة والتوزيع، 2015 ، ص 56 .

[32] ابو السعادات، مبارك بن محمد بن الأثير الجزري (ت 606هـ). جامع الاصول من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد حامد الفقي، ج3، ط3، دار أحياء التراث العربي، (بيروت، 1983)، ص496.

[33] الواقدي، المغازي، 1077/3؛ ابن فهد المكي، اتحاف الورى 565/1.

[34] الواقدي، المغازي، 1077/3-1078؛ ابن هشام، السيرة النبوية، 256/4-257؛ ابن سعد، الطبقات، 169/2؛ ابن حبيب، المحبر، ص12؛ المسعودي، مروج الذهب، 396/4؛ ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن محمد النمري القرطبي (ت 463هـ). الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، لجنة احياء التراث الاسلامي (القاهرة، 1966)، ص267؛ ابن فهد المكي، اتحاف الورى، 566/1.

[35] الطبري، تاريخ، 123/3؛ ابن سيد الناس، عيون الاثر ، 231/2.

[36] الطبري، تاريخ، 3،123؛ ابن سيد الناس، عيون الاثر، 231/2 ؛ وجدان فريق عناد العارضي ، المصدر السابق ، ص 58 .

[37] الكلاعي، الاكتفاء، 410/2؛ ؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، 2/ 141-142؛ الشريف، الدولة الإسلامية، ص 250-252.

[38] ابن فهد المكي، اتحاف الورى، 565/1؛ دينية، أتيين الفونس. محمد رسول الله، ترجمة عبد الحليم محمود، ط3، الشركة العربية للطباعة والنشر، (د.م، 1959)، ص290.

[39] أبو زرعة، تاريخ أبي زرعة، 590/1؛ ابن عبد البر، الدرر، ص267.

[40] ابن عبد البر، الاستيعاب، 44/1.

[41] ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت 751هـ). زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق شعيب الارنؤوط وعبد القادر الارنؤوط، ج2، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1986)، ص101؛ ابن مفلح، شمس الدين المقدسي ابي عبد الله محمد (ت 763هـ) ،الفروع،ج3، ط3، عالم الكتب (بيروت، 1967) ص241 ؛ ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل القرشي (ت 774هـ)،السيرة النبوية،ج4، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط3، دار الرائد العربي (بيروت، 1987) ،

ص211؛ السيرة النبوية، 211/4؛ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ). فتح الباري، شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989، ص483؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، 503/1؛ الجزائري، أبو بكر. الحج المبرور في الكتاب والسنة (د.م، 1979)، ص ص12-13.

[42] سورة آل عمران، آية 97.

[43] سورة البقرة، آية 196؛ أنظر كذلك: الطبري، جامع البيان، 206/2 وما بعدها.

[44] ابن سعد، الطبقات، 188/2؛ خليفة بن خياط، تاريخ، 158/3؛ اليعقوبي، تاريخ، 99/2؛ الطبري، تاريخ، 158/3؛ المسعودي، مروج الذهب، 297/2؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 44/1؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت 597هـ) الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عبد الواحد،ج2، مطبعة السعادة (مصر، 1966). ص.525.

[45] ابن هشام، السيرة النبوية، 262/1؛ السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن أبي الحسن الخشعمي (ت 581هـ)،الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام،ج1، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت، 1978) ص234.

[46] ابن سعد، الطبقات، 189/2؛ الطبري، تاريخ، 160/3، ابن عبد البر، الدرر، ص276؛ السهيلي، الروض الانف، 247/4؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 591/1؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 101/2؛ الكتبي، عيون التواريخ، 397/1.

[47] الذهبي، تاريخ الإسلام، 591/1.

[48] سورة التوبة، آية 37؛ أنظر كذلك: الطبري، جامع البيان، 129/10.

[49] ابن سعد، الطبقات، 94/2-95؛ احمد، مصطفى ابو ضيف. دراسات في تاريخ العرب منذ ما قبل الاسلام الى ظهور الامويين، مؤسسة شباب

الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، (الاسكندرية، 1982)، ص ص126-127؛ عامر، قصة كبيرة، ص339.

[50] ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 102/2؛ أحمد، دراسات في تاريخ العرب، ص128.

[51] ابن هشام، السيرة النبوية، 333/4؛ ابن سعد، الطبقات، 172/2-173؛ النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار (ت 303هـ). سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، ج5، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 1930)، ص156.

[52] النسائي، سنن النسائي، 121/5-122؛ الطبري، تاريخ، 148/3؛ ابن كثير، السيرة النبوية، 216/4؛ ابن فهد المكي، اتحاف الورى، 568/1.

[53] الواقدي، المغازي، 1089/3، أبو زرعة، تاريخ ابي زرعة، 169/1؛ ابن سعد، الطبقات، 173/2؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 583/1؛ ابن الوردي، أبو حفص زين الدين عمر (ت 749هـ). تاريخ ابن الوردي، المطبعة الوهبية، (القاهرة 1285هـ)، ص135؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 3/2 10-106؛ وهناك من جعل خروجه يوم الخميس، أنظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الاندلسي (ت 45هـ). حجة الوداع، ط2، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، (بيروت، 1966)، ص46؛ وهناك من جعله يوم الاثنين، أنظر: أبو زرعة، تاريخ أبي زرعة، 169/1؛ بينما جعله آخرون لست بقين من ذي القعدة، أنظر: ابن حزم، حجة الوداع، ص ص155-158؛ ابن سيد الناس، عيون الاثر، 172/1؛ ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل القرشي (ت 774هـ). الفصول في سيرة الرسول (ص)، مكتبة الشرق الجديد، (بغداد، د.ت)، ص ص32-33.

[54] ابن سعد، الطبقات، 173/2؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 106/2.

[55] ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 106/2.

[56] الفاسي، العقد الثمين، 268/1؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، 149/2؛ بينما ذكرت بعض الروايات أن عدهم (90) الفاً، أنظر: الديار بكري، تاريخ

الخميس، 149/2، وأخرى بين (70و 100) ألف، انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ). العبر في خبر من غبر،تحقيق صلاح الدين المنجد، ج1، (الكويت، 1960)، ص12؛ الكتبي، عيون التواريخ، 394/1.

[57] ابن حزم، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت 456هـ). جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى، تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد، دار المعارف (مصر، د.ت)، ص26؛ ابن سيد الناس، عيون الاثر، 273/2؛ أما ابن سعد فجعل دخوله مكة يوم الثلاثاء، انظر: الطبقات الكبرى، 173/2.

[58] وهو أحد أكبر أبواب المسجد الحرام الخمسة، وهو باب بني عبد شمس عبد مناف وبهم كان يعرف قبل الإسلام وبعد الإسلام، أنظر: البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي (ت 487هـ). جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الله يوسف الغنيم، المطبعة العصرية، (الكويت، 1977)، ص65.

[59] ابن سعد، الطبقات، 173/2؛ ابن كثير، السيرة النبوية، 302/4.

[60] ابن سعد، الطبقات، 173/2؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 224/2؛ ابن كثير، السيرة النبوية، 301/4.

[61] مسلم، صحيح مسلم، 374/3-375؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 225/2؛ وله اسماء أخرى، هي طواف القادم، طواف الورود، طواف الوارد، طواف التحية، طواف القدوم، تحية البيت العتيق، أنظر: ابن كثير، السيرة النبوية، 304/4، الموسوعة الفقهية، الموسوعة الفقهية، مطبعة الموسوعة الفقهية،ج17، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية (الكويت، 1989). ص 62.

[62] الذهبي، تاريخ الإسلام، 583/1.

[63] الرمل: الإسراع في المشي مع تقارب في الخطى بدون وثوب أو عدو أي الهرولة أنظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت 393هـ)،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق احمد عبد الغفور عطار،ج4، دار الكتاب

العربي (مصر، 1956) ،ص1713؛ ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت 711هـ)، لسان العرب،ج13، دار صادر (بيروت، 1955)، ص314.

[64] هو "اعراء منكبه الايمن، وجمع الرداء على الايسر" أنظر: أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت 275هـ).سنن أبي داود، ج2، دار الحديث (القاهرة، 1988) ، ص183؛ النووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف (ت 676هـ). الإيضاح في مناسك الحج، تحقيق محمد هاشم المجذوب الرفاعي الحسيني، دار ابن خلدون للطباعة والنشر (دمشق، د.ت)، ص64.

[65] ابن حيان، الثقات، 125/2.

[66] سورة البقرة، آية 201، أنظر: ابن سعد، الطبقات، 178/2؛ أبو داود، سنن أبي داود، 186/2؛ ابن الجوزي، الوفا، 526/2.

[67] سورة البقرة، آية 125، انظر: الطبري: جامع البيان، 537/1.

[68] ابن سعد، الطبقات، 173/2؛ أبو داود، سنن ابي داود، 194/2؛ ابن حبان، الثقات، 125/2؛ ابن عبد البر، الدرر، ص277؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ، 583/1.

[69] ابن سعد، الطبقات، 73/2؛ ابن الجوزي، الوفا، 530/2؛ ابن عبد البر، الدرر، ص ص280–281؛ النووي، الإيضاح، ص64–70؛ ابن بلبان، علاء الدين علي الفارسي (ت 739هـ). الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، مج6، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1987)، ص50.

[70] سورة البقرة، آية 158.

[71] ابن حيان، الثقات، 125/2؛ ابن سيد الناس، عيون الاثر، 174/2؛ ابن كثير، السيرة النبوية، 321/4.

[72] ، مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت 261هـ)،صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق عبد الله أحمد أبو زينة،ج3، دار الشعب (القاهرة، د.ت)339؛ ابن حبان، الثقات، 126/2؛ ابن عبد البر،

الـدرر، ص ص277-278؛ ابـن الجـوزي، الوفـا، 530/2؛ النـووي، الإيضاح، ص ص76-82.

[73] ابن كثير، السيرة النبوية، 335/4.

[74] السهيلي، الروض الانف، 248/4.

[75] ابن حزم، حجة الوداع، ص49؛ السهيلي، الروض الانف، 248/4؛ ابن سيد الناس، عيون الاثر، 274/2.

[76] ابن هشام، السيرة النبوية، 332/4؛ ابن سعد، الطبقات، 188/2، انظر كـذلك: ابـن حبـان، الثقـات، 126/2؛ ابـن عبـد البـر، الـدرر، ص278؛ السـهيلي، الـروض الانـف، 248/4؛ ابـن الجـوزي، الوفـا، 531/2؛ الـذهبي، تاريخ الاسلام، 584/1؛ ابن الوردي، تاريخ، ص135، ابن كثير، الفصول ص98.

[77] ابن حزم، حجة الوداع، ص50؛ ابن سيد الناس، عيون الاثر، 275/2، ابن حجر، فتح الباري، 785/3.

[78] هناك اختلاف في موضع هذا الدعاء، هل كان في الحديبية أم في حجة الوداع، والأرجح أنه كان في الموضعين، وكذلك هناك اختلاف أيضاً في موضعه في حجة الوداع هل كان بعد التحلل من السعي بين الصفا والمروة أم في منى، والأرجح أنه كان في المروة، ذلك أن دعاؤه سيكون أنسب في هذا الموضع لمن استجاب لدعوته صلى الله عليه وآله وسلم لمن سمعوا وأطاعوا دعوته بالتحلل، أما وقوعه بمنى فلا ضرورة له، لأن الحلق والتقصير فيها ضرورة شرعية لازمة، أنظر الكاندهلوي، محمد زكريا حجة الوداع وعمرات النبي صلى الله عليه وسلم، مطبعة ندوة العلماء (الهند، د.ت)، ص65.

[79] ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 275هـ). سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج2، دار الحديث، (القاهرة، د.ت)، ص993؛ ابـن سـيد النـاس، عيـون الاثـر، 274/2؛ الـديار بكـري، تـاريخ الخميس، 150/2.

[80] ابن سعد، الطبقات، 173/2؛ الأبطح: الأبطح والمحصب وخيف بني كنانه موضع واحد، والمسافة التي تفصل الأبطح عن مكة وعن منى واحدة ، إلا أنه أقرب ألى منى . أنظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت 626هـ)،معجم البلدان،ج1، دار صادر (بيروت، 1955) ، ص74.

[81] ابن حبان، الثقات، 172/2؛ ابن عبد البر، الدرر، ص281؛ ابن الجوزي،الوفا، 531/2؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، 584/1.

[82] ضب: اسم الجبل الذي مسجد الخيف في أصله. أأظر: الزمخشري، محمد بن عمر (ت 578هـ)، الأمكنة والمياه والجبال، تحقيق إبراهيم السامرائي، مطبعة السعدون، (بغداد، د.ت)، ص147؛ الحموي، معجم البلدان، 451/3.

[83] سورة البقرة، آية 199: أنظر كذلك: الطبري، جامع البيان، 293/2.

[84] أبو داود، سنن أبي داود، 195/2؛ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، 1001/1؛ ابن حبان، الثقات، 127/2؛ ابن عبد البر، الدرر، ص282؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 584/1.

[85] ذكرت بعض الروايات انه (صلى الله عليه وآله وسلم) خطب قبل يوم التروية في السابع من ذي الحجة . أنظر: الواقدي، المغازي، 1100/3؛ ابن سعد، الطبقات، 173/3، وقد ذكرت الأصول الأولى خطبته (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجة الوداع، إلا أن معظمها لم يكن واضحاً في بيان الموضع مع خطبته كاملة، فالبعض يوردها مشيراً إلى أنها خطبته في حجة الوداع دون تحديد للمكان. أنظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 333/4–335؛ السهيلي، الروض الانف، 248/4؛ البرهان فوري، كنز العمال، 116/5–118؛ والبعض الآخر يسمى المكان إلا أنه ذكر شيء من الخطبة بشكل موجز خال من القواعد المتبعة في القاء الخطب. أنظر: ابن سعد، الطبقات، 184/2–185؛ أبو داود، سنن أبي داود، 202/2–205؛ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، 1204/2–1205، 1015–1016؛ ابن حبان، الثقات، 144/2؛ ابن عبد البر، الدرر، ص283؛ ابن الجوزي، الوفا، 532/2 .

[86] مسلم، صحيح مسلم، 346/3؛ ابن الجوزي، الوفا، 532/2؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 276/2.

[87] ابن حبان، الثقات، 128/2؛ النووي، الإيضاح، ص ص82-95.

[88] ابن هشام، السيرة النبوية، 336/4؛ ابن سعد، الطبقات، 173/2؛ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، 1001/2-1002؛ الطبري، تاريخ، 152/3، ابن عبد البر، الاستيعاب، 323/1؛ الكتبي، عيون التواريخ، 394/1.

[89] ابن ماجة، سنن ابن ماجة، 1002/2؛ ابن الجوزي، الوفا، 524/2.

[90] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن ابراهيم الجعفي (ت 256هـ)،التاريخ الكبير، ج3، مطبعة دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد، 1361هـ/ 1942)،ص244.

[91] سورة المائدة، آية 3.

[92] أبو داود، سنن أبي داود، 196/2.

[93] مسلم، صحيح مسلم، 294/3؛ أنظر: ابن حزم، حجة الوداع، ص51، ابن سيد الناس، عيون الأثر، 276/2.

[94] المأزمين: تثنية المأزم من الأزم، وهو العض، والأزم: الضيق، ومنه سمي هذا الموضع، وهو موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة، وهو شعب بين جبلين يفضي اخره الى بطن عرفة، وبه المسجد الذي يجمع فيه الإمام بين الصلاتين الظهر والعصر، وليس عرفات من الحرم، وإنما حد الحرم من المازمين، فاذا جزتهما الى العلمين المضروبين فما وراء العلمين من الحل، اخذ من المازم وهو الطريق الضيق بين جبلين.

[95] المزدلفة: اختلف في سبب تسميتها وقيل مزدلفة من الازدلاف وهو الاجتماع وقيل لازدلاف الناس في منى بعد الافاضة، وقيل لاجتماع الناس بها، وقيل لازدلاف آدم وحواء بها لاجتماعهما، وقيل لنزول الناس بها زلف الليل. وقيل الزلفة القربة، فسميت مزدلفة لأن الناس يزدلفون فيها الى الحرم، وهو مبيت الحجاج ومجمع الصلاة، اذ صدروا من عرفات وهو مكان بين بطن محسر والمازمين. والمزدلفة المشعر الحرام ومصلى الامام يصلي فيه المغرب والعشاء والصبح. أنظر، الحموي، معجم البلدان، 121/5.

[96] ابن سعد، الطبقات، 174/2، 180؛ مسلم ،صحيح مسلم، 347/3؛ أبو داود، سنن أبي داود، 196/2؛ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، 1004/2، ابن حزم، حجة الوداع، ص52؛ ابن الجوزي، الوفا، 533/2.

[97] قزح: القرن الذي يقف الإمام عنده بالمزدلفة عن يمين الإمام، وهو المقبرة، وهو الموقد الذي كانت توقد فيه النيران قبل الإسلام، وهو موقف قريش قبل الإسلام اذا كانت لا تقف بعرفة. أنظر: الحموي، معجم البلدان، 341/4.

[98] ابن سعد، الطبقات، 174/2؛ ابن حبان، الثقات، 128/2؛ ابن حزم، حجة الوداع، ص52؛ ابن عبد البر، الدرر، ص283؛ ابن كثير، الفصول، ص98.

[99] ابن هشام، السيرة النبوية، 337/4؛ الطبري، تاريخ، 125/3.

[100] ابن حزم، حجة الوداع، ص52؛ النووي، الايضاح، ص97؛ اثن سيد الناس، عيون الأثر، 276/2.

[101] ابن سعد، الطبقات، 174/2؛ ابن سيد الناس، عيون الاثر، 2م277؛ أنظر كذلك: أبو داود، سنن أبي داود، 201/2؛ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، 1007/2؛ ابن كثير، السيرة النبوية، 361/4-364.

[102] الخندق: الحجر دون الانملة. النووي، الإيضاح، ص ص349-350، انظر ابن سعد، الطبقات، 174/2، 180-182؛ مسلم، صحيح مسلم، 349/3-350؛ ابن حبان، الثقات، 128/2-129؛ ابن الجوزي، الوفا، 533/2.

[103] محسر: موضع ما بين مكة وعرفة، وقيل بين منى وعرفة، وقيل بين منى والمزدلفة. الاصطخري، الأقاليم، ص8؛ الحموي، معجم البلدان، 62/5.

[104] مسلم، صحيح مسلم، 416/3-417؛ ابن بلبان، الاحسان، 68/6؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 256/2؛ ابن كثير، السيرة النبوية، 368/4.

[105] ابن سعد، الطبقات، 174/2، 180؛ مسلم، صحيح مسلم، 351/3؛ أبو داود، سنن أبي داود، 207/2؛ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، 1008/2-1009، ابن حبان، الثقات 129/2، ابن الجوزي، الوفا، 97/2.

[106] ابن سيد الناس، عيون الاثر، 278/2.

[107] ابن هشام، السيرة النبوية، 337/4؛ الطبري، تاريخ، 152/3؛ ابن عبد البر، الدرر، ص279؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 267/2؛ الكتبي، عيون التواريخ، 394/1.

[108] مسلم، صحيح مسلم، 352/30؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، 586/1.

[109] ابن عبد البر، الدرر، ص284؛ ابن سيد الناس، عيون الاثر، 278/2.

[110] ابن الجوزي، الوفا، 525/2؛ البرهان فوري، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت 975هـ)، كنز العمال في سنن الاقوال والافعال،ج5، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1979)،ص227.

[111] ابن سعد، الطبقات، 177/2؛ اليعقوبي، تاريخ، 99/2؛ ابن حبان، الثقات، 129/2؛ ابن عبد البر، الدرر، ص279؛ ابن الجوزي، الوفا، 534/2.

[112] ابن سيد الناس، عيون الاثر، 278/2؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 268/2؛ وقد ذكرا أن اسم حلاقه (صلى الله عليه وآله وسلم) هو معمر بن عبد الله بن حنظلة بن عوف.

[113] أبو طلحة الأنصاري: زيد بن سهل بن الأسود زوج ام أنس بن مالك، شهد بدر وجميع المشاهد يعد من فرسان الرسول صلى الله عليه وسلم، توفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة 34هـ/ 654م. انظر: ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن احمد التميمي البستي (ت 354هـ). مشاهير علماء أمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، مؤسسة الكتب الثقافية (بيروت، 1987)، ص34.

[114] ابن سعد، الطبقات، 174/2؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 588/1.

[115] مسلم، صحيح مسلم، 435/3؛ ابن بلبان، الإحسان، 71/6؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 270/2.

[116] ابن سعد، الطبقات، 174/2.

[117] مسلم، صحيح مسلم، 352/3.

[118] ابن ماجة، سنن ابن ماجة، 1017/2؛ ابن كثير، الفصول، ص98.

[119] ابن حبان، الثقات، 129/2؛ ابن بلبان، الإحسان، 72/6؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 270/2-278.

[120] ابن سيد الناس، عيون الأثر، 278/2؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 270/2.

[121] ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 278/2؛ انظر كذلك: ابن سعد، الطبقات، 183/2؛ ابن حبان، الثقات، 129/2؛ ابن عبد البر، الدرر، ص284؛ ابن الجوزي، الوفا، 534/2.

[122] سميت أيام التشريق لأنهم كانوا يشرقون فيها لحوم الأضاحي في الشمس والهواء لئلا تفسد. أنظر: النويري، نهاية الارب، 148/1.

[123] النووي، الإيضاح، ص83؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 587/1؛ ابن كثير، السيرة النبوية، 405/4.

[124] ابو السعادات، جامع الأصول، 203/4، ابن سيد الناس، عيون الأثر، 279/2.

[125] النووي، الإيضاح، ص83، ابن كثير، السيرة النبوية، 405/4.

[126] ابن سيد الناس، عيون الأثر، 279/2.

[127] النووي، الإيضاح، ص83؛ ابن كثير، السيرة النبوية، 405/4.

[128] ابن هشام، السيرة النبوية، 83/1.

[129] سورة النصر، آية 1.

[130] ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 289/2.

[131] ذكر البعض أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) خطب بمنى أضاً يومي الثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة. أنظر: ابن سيد الناس، عيون الأثر، 279/2؛ الموسوعة الفقهية، 66/17.

[132] ابن سعد، الطبقات، 74/2؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 279/2؛ ابن كثير، الفصول، ص98.

[133] مسلم، صحيح مسلم، 447/3؛ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، 1019/2، ابن بلبان، الإحسان، 75/6.

[134] ابن سيد الناس، عيون الأثر، 279/2.

[135] ابن سعد، الطبقات، 187/2.

[136] سورة البقرة، آية 203، النظر: البخاري، التاريخ الكبير، 243/3؛ الطبري، جامع البيان، 306/2.

[137] ابن سعد، الطبقات، 181/2؛ ابو داود، سنن ابي داود، 207/2.

[138] المحصب: موضع فيما بين مكة ومنى وهو إلى منى أقرب، وهو بطحاء مكة وهو خيف بني كنانه، وحده فيما بين الحجون ذاهباً الى منى، والمحصب ايضاً موضع رمي الجمار بمنى وهذا من رمي الحصباء: الحموي، معجم البلدان، 62/5.

[139] أبو داود، سنن أبي داود، 217/2-218؛ البرهان فوري، كنز العمال، 280/5-281.

[140] ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 290/2.

[141] أبو داود، سنن أبي داود، 286/2.

[142] مسلم، صحيح مسلم، 464/3؛ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، 1020/2.

[143] مسلم، صحيح مسلم، 443/3، ابن حزم، جوامع السيرة، ص262.

[144] ابن ماجة، سنن ابن ماجة، 965/2؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 588/1؛ ابن فهد المكي، اتحاف الورى، 569/1-570.

[145] ابن ماجة، سنن ابن ماجة، 981/2؛ النسائي، سنن النسائي، 200/5؛ ابن حزم، جوامع السيرة، ص262؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 280/2؛ ابن بلبان، الإحسان، 81/6.

[146] إن بيان الاختلافات الفقهية فيما بين المذاهب الإسلامية في موضوع الحج ليس من شأن هذا البحث، وللاطلاع على ذلك أنظر: الشافعي، أبي عبد الله بن ادريس (ت 204هـ)، الام، ج2، دار الفكر ،(بيروت، 1980) ص113 وما بعدها؛ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، (ت 456هـ). المحلى، تحقيق عبد الرحمن الجزيري، ج7، إدارة الطباعة المنيرية، (مصر، 1349هـ) ص36 وما بعدها؛ المرغياني، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني (ت 593هـ). الهداية شرح بداية المبتدئ، ج1، المكتبة الاسلامية (د.م، د.ت) ص ص134-189، ابن قدامة، موفق الدين

أبي محمد عبد الله أحمد بن محمد (ت 620هـ). المغني، ج3، دار الكتاب العربي (بيروت، د.ت) ص159 وما بعدها؛ الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير اليمني (ت 1182هـ). سبل الإسلام شرح بلوغ المرام، ج2، دار الجيل (بيروت، 1980) ص727 وما بعدها؛ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت 1255هـ). نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، ج5، دار الفكر (بيروت، د.ت) ص2 وما بعدها.

[147] سورة البقرة، آية 197؛ الطبري، جامع البيان، 257/2.

[148] هناك اختلاف بشأن اليوم العاشر (يوم النحر)، انظر: الموسوعة الفقهية، 40/17.

[149] النووي، الايضاح، ص35.

[150] مسلم، صحيح مسلم، 253/3-258، أبو داود، سنن أبي داود، 147/2-148؛ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، 972/2-973، النسائي، سنن النسائي، 122/5-125؛ الجماعيلي، تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور القدسي الدمشقي الصالحي (ت 600هـ). عمدة الأحكام من كلام خير الأنام، مطبعة السنة المحمدية، (القاهرة، 1953) ص ص290-291؛ النووي، الإيضاح، ص ص35-36؛ ابن حجر، فتح الباري، 490/3-498؛

[151] مسلم، صحيح مسلم، 305/3-308، أبو داود، سنن أبي داود، 148/2-149، 215، ابن ماجة، سنن ابن ماجة، 971/2-972، 988، 1020.

[152] مسلم، صحيح مسلم، 3م411-413؛ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، 1006/2؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 214/2-215.

[153] أبو داود، سنن أبي داود، 170/2-172؛ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، 977/2-978.

[154] أبو داود، سنن أبي داود، 145/2.

[155] الأزرقي، أخبار مكة، 253/1؛ اما ابن سعد فذكر أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كسى الكعبة الحبرات: الطبقات، 148/1.

[156] مسلم، صحيح مسلم، 301/3؛ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، 1016/2؛ الطبري، تاريخ، 132/3، 183، 228؛ ابن كثير، السيرة النبوية، 211/4.

[157] الجزيري، عبد القادر محمد بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم الأنصاري (ت 977هـ). درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، المطبعة السلفية (القاهرة، 1384هـ)، ص83.

[158] الجزيري، المصدر نفسه، ص83.

[159] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت 450هـ). الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحرية للطباعة، (بغداد، 1989) ص171؛ ابو يعلى، ابو الحسين محمد بن القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء (ت 526هـ). الأحكام السلطانية (د.م، د.ت) ص92.

النخبة الثورية وإشكالية السلطة في المؤسسات الانتقالية للدولة الجزائرية1962/1956

د .أحمد مسعود سيد علي

قسم التاريخ

جامعة المسيلة

الملخص باللغة العربية:

تشكل هذه الدراسة محاولة لقراءة متأنية لإشكالية السلطة التي طرحتها النخبة الثورية زمن حرب التحرير الجزائرية1962/1954ضمن المؤسسات الانتقالية للدولة الجزائرية كما حددتها مواثيق الثورة ،سواء مؤتمر الصومام في أدبياته ،وما تمخض عنه من نشوء لجنة التنسيق والتنفيذ كهيئة تنفيذية ،والمجلس الوطني للثورة الجزائرية كهيكل برلماني احتكم إليه الخصماء طيلة مدة الثورة للتموقع داخل هيئات الثورة.

وهي أي هذه الدراسة تنشد رصد البصمات التي تركها هؤلاء وأولئك عبر سلسلة المناقشات التي كان يسجلها المجلس الوطني للثورة،والتي كانت تخص مصير الكفاح المسلح والثورة برمتها،وطبيعة المؤسسات الانتقالية للدولة الجزائرية المنشودة،والتي كانت أيضا تتخذ في الكثير من الأحيان طابعا سجاليا ، للعديد من القضايا والمسائل المتعلقة بالثورة ومشروع الدولة المراد بعثها،طابعا سجاليا أسس في تقديرنا لخطاب وثقافة ديمقراطية رغم الظروف التي كانت تمر بها الثورة،شكلت في حد ذاتها خريطة أولية للعملية السياسية وطبيعة اللعبة السياسية في الجزائر المستقلة.

الملخص باللغة الفرنسية:

.Cette étude constitue. une tentative de lecture lente du problème du pouvoir qui a était posé par l'élite révolutionnaire durant la révolution algérienne 1954/1962 au sein de divers .institutions transitoire de L état algérienne .

ét telle que elle fut déterminé dans les chartes de la révolution que se soit au congrès de la somame est ses chartes et de se qu'il

est résolut telle que le C.C.E autant que instance exécutive , est le C.N.R.A. comme une instance parlementaire et d' arbitrage durant toute la durée de la révolution ; ce qui fait de lui une instance de la course au pouvoir .

une etude qui vise à suivre les empreintes laissées par ceux-ci et ceux qui à travers une série de discussions qui ont été enregistrés par le Conseil national de la Révolution, et qui appartenait au sort de la lutte armée et toute la révolution, et la nature des institutions de la transition de l'état désiré algérienne, qui a également pris beaucoup de fois le caractère Sjalaa, pour beaucoup les questions concernant la révolution et le projet de l'État pour être envoyés, le caractère Sjalaa fondée en appréciation pour le discours et la culture de la démocratie, en dépit des conditions qui ont été expérimentés par la Révolution, a été formé dans le même plan préliminaire pour le processus politique et de la nature du jeu politique dans la Algérie independent.

.

I– المجلس الوطني للثورة أوت 1961،وبروز قضية المكتب السياسي:

1-1- خطاب إثبات الذات ونفي الأخر:

بدا واضحا عشية دورة أوت1961،أن أوضاع الثورة تنظيميا كانت تسير نحو التصدع وهو ما صرح به بعض المؤتمرين جهارا وحذروا من مغبة تحويل السجال الكلامي إلى خارج أشغال المجلس بما يعني انفلات الوضع واللجوء إلى حلول غير شرعية[1].

إن الشواهد في هذا الصدد كثيرة بحيث يكفي العودة إلى مناقشات المجلس الوطني للثورة في اجتماعه بطرابلس بين 27/09/أوت1961،ذلك أن ظروف انعقاد أشغال هذا الأخير جاءت عشية احتدام الصراع بين هيئة الأركان العامة والحكومة المؤقتة،لأجل ذلك فإن الجلسات الأولى من الأشغال والتي عادة ما

كانت تخصص لاستعراض تقرير السياسة العامة للحكومة المؤقتة وحصيلة نشاط مختلف وزارات الحكومة المؤقتة منذ الدورة الأخيرة للمجلس أي في جانفي1960الى غاية أوت1961،عادة ما كانت تشهد هذه الجلسات طابعا روتينيا وتشهد غيابا للعديد من أعضاء المجلس.لكن لما تعلق الأمر بالنقاش العام وتم طرح القضايا الشائكة أخذ طابع النقاش يسير بطريقة –بدت لنا عبر القراءة المتأنية لجل التقرير– عفوية نحو اقتناع كل المؤتمرين بشلل أجهزة الثورة،فلا الحكومة المؤقتة كانت تشكل فريقا منسجما بما أن طاقمها كان يدين بالولاء للوزير الوصي على وزارته،فالوزارات لم تكن تشكل مؤسسات تنسق العمل بين بعضها البعض بل كانت كل وزارة تسير وفق هوى ورؤى المسئول الأول عنها[2]، ولا قادة الولايات كانوا متحررين من الانتماءات الضيقة،فالولاية الأولى والخامسة كانت تعلن ولاءها لبوصوف أم الثانية فكانت تدين بالولاء لبن طوبال، والثالثة لكريم أم الرابعة فكانت مشبوهة بالانتماء إلى كريم منذ اجتماع عقداء الداخل في ديسمبر1958، من جهتها كانت الفيدراليات الثلاث تابعة تنظيميا لوزارة الداخلية محل رهان بين هيئة الأركان العامة والحكومة المؤقتة.

والحالة هذه فإن طابع السجال البرلماني الذي ميز جلسات أشغال دورة أوت 1961،حول جل القضايا التي سجلها المجلس كان يتجه صوب هدم وتقزيم كل الانجازات التي حققتها الثورة إلى ذلكم الحين ،فالمناقشات كانت تركز على نفي الأخر وتجريمه والتأكيد على أدائه السلبي وتثبيت الأنا في شكل نرجسي ينم عن طموح جارف لتولي زمام الأمور دون تقديم بدائل عقلانية.

في تلك الأجواء السجالية بين المؤتمرين أو بالأحرى بين قيادة الأركان العامة وبين كريم وبن طوبال وبوصوف انطلقت النقاشات العامة حول العلل الحقيقية التي شلت أجهزة الثورة،وهل بالفعل كانت أجهزة الثورة عاطلة أم أن المسألة كانت متعلقة بأشخاص فشلوا في تأدية مهامهم الثورية ولم يكونوا في مستوى المسؤولية التي خولت لهم.

–2–1–لجنة رباعية لمعاينة تشكيل المكتب السياسي:

لقد أخذت المناقشات العامة التي خاض فيها المؤتمرون في دورة أوت1961،من جلسة 17الى 21أوت1961، طابعا سجاليا انطلق من تقييم حصيلة نشاط الحكومة المؤقتة طيلة فترة الثمانية عشرة من جانفي1960الى أوت1961،وانتهى بالإقرار بشلل مؤسسات الثورة وضرورة استحداث هيكل جديد يشكل السلطة العليا للثورة في شكل مكتب سياسي يكون مقره بالداخل،ومنه خلص مكتب دورة أوت 1961، إلى تعيين لجنة رباعية أوكلت لها مهمة دراسة طبيعة هذه الهيئة الجديدة وصلاحيتها وعلاقتها بباقي أجهزة الثورة بالخارج،هذا وقد تشكلت اللجنة من السادة:[3] نورالدين بن سالم مسئول فيدرالية جبهة التحرير الوطني بالمغرب

– كريم بلقاسم، علي منجلي، لخضر بن طوبال، سعد دحلب

وبعد مشاورات طالت كل المؤتمرين بخصوص قضية استحداث مكتب سياسي خلصت اللجنة إلى عرض التقرير التالي:[4]

- يخضع لسلطة المكتب السياسي كل من: وزارة التسليح والاتصالات العامة. وزارة المالية.

وزارة الشؤون الاجتماعية.،الفيدراليات الثلاث التابعة لجبهة التحرير الوطني بتونس والمغرب وفرنسا.

- المنظمات الجماهيرية اتحاد العام للعمال الجزائريين ،الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.
- قيادة الأركان العامة لجيش التحرير الوطني تأخذ طابعها السياسي والعسكري في آن واحد، كما أن التعليمات والأموال الموجهة للداخل يجب أن تعبر عن طريق قيادة الأركان العامة.

علاقة المكتب السياسي بالداخل:

- يعمل على إرسال الإطارات إلى الداخل.
- العمل على بعث و تنظيم الولاية السادسة من جديد[5].
- الإسراع في تقديم الدعم للولاية الثالثة.

- إعادة ربط المنطقة الحرة بالعاصمة مع الولاية الرابعة.

وعليه فإن مقترح اللجنة الرباعية المكلفة بدراسة إمكانية استحداث مكتب سياسي جاء بطريقة لم تزد إلا في إثارة الكثير من الغموض الذي كان يسود بعض النصوص واللوائح التي كان يستصدرها المجلس الوطني، لأجل ذلك اعتبر العقيد علي كافي تقرير اللجنة الرباعية مدعاة للعبث وتبديد الوقت لأنها لم تلتزم بسير النقاش العام الذي خاضه المؤتمرون في المجلس الوطني للثورة منذ جلسة السابع عشر17/أوت1961،أي قرابة أسبوع،كما اتهم اللجنة الأنفة الذكر بالمصادرة على المطلوب والمراوغة،لأنها لم تفصل في مسألة استحداث لجنة عليا أو مكتب سياسي وحددت مهلة الدخول[6].

الرائد عمر أو صديق من جهته اعتبر تقرير اللجنة خالي من روح المناقشات التي طرحها المجلس بما أنها لم تحدد مقر ومهلة للقيادة الجديدة المنشودة[7].

3-1- من محاولة تشكيل قيادة مزدوجة إلى تحديد مقر القيادة:

لقد بدا واضحا أن أشغال دورة أوت1961،للمجلس الوطني للثورة آلت إلى الانسداد بعد أن حاولت اللجنة الرباعية السابقة الذكر الالتفاف على مسألة استحداث قيادة عليا للثورة وتحديد مقرها رغم محاولتها تجاوز الشق الثاني من القضية أي دخول القيادة الجديدة،إلا أن المؤتمرين أصروا على ضرورة إعادة مناقشة القضية بجدية وحزم،فكان من الطبيعي أن يتراجعا الخصمين فريق الحكومة المؤقتة الذي كان ضد إنشاء قيادة جديدة تعلوا على السلطة التنفيذية،وفريق هيئة الأركان الذي كان مع استحداث ذاك النوع من القيادة لكنه كان يتحايل على مناقشة مسألة تحديد مقرها،ومنه انتهى الطرفان إلى الاقتناع بضرورة قبول المبدأ ضمنيا وفي هذا الصدد جاء تدخل العقيد هواري بومدين الذي دعا إلى مناقشة القضيتين معا في آن واحد أي مقر وطبيعة القيادة المراد استحداثها[8]، وعلى الرغم من دعوة رئيس الجلسة السيد عمر بوداود إلى ضرورة مناقشة المسألتان معا وحسم الموضوع[9]، إلا أن المؤتمرين في المجلس الوطني انقسموا إلى فريقين ،فريق أقر بضرورة دمج القضيتان مع بعض أي استحداث مكتب سياسي وتحديد مقره وفريق أراد الفصل في المسألتين ومناقشة كل جزء على حدا والظاهر أن تخوفات

طرفا الصراع أي الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان العامة وحساباتهما من قضية استحداث مكتب سياسي وتحديد مقره كانت جد واضحة خلال المناقشات وهي التي قد تفسر طبيعة السجال الذي وقع فيه المجلس دون الفصل في المسألة على الرغم من أنه كان قد استحدث لجنة رباعية ناقشت القضية،لكننا رأينا كيف انتهى تقرير ذات اللجنة وكأن بها خضعت لتوجيهات طرفا الصراع،وبالرغم من ذلك فإن المجلس الوطني ظل كعادته يصادر على المطلوب ويمارس سياسة الهروب إلى الأمام وانتهى في الأخير إلى قبول الرأي الداعي لتجزئة المقترحين الخاصان بمناقشة مسألة استحداث مكتب سياسي وتحديد مقره ومهلة لدخوله بحيث أرجأ قضية مناقشة طبيعة وصلاحية المكتب السياسي المنشود استحداثه إلى ما بعد الفصل في مسألة تحديد المقر.

4-1- المجلس الوطني يميع قضية استحداث المكتب السياسي:

خلال جلسة الرابع والعشرين من شهر أوت1961، للمجلس الوطني أي بعد أسبوع من المناقشات والجدال العقيم-1961/08/17-1961/08/24 انتهى المجلس الوطني للثورة إلى نقطة البداية التي انطلق منها بتاريخ السابع عشر من شهر أوت1961،حيث تقرر استحداث لجنة رباعية أسندت لها مهمة الاعتكاف على إجراء مشاورات مع المؤتمرين للتقرير في مسألة استحداث مكتب سياسي نظيرا للحكومة المؤقتة وتحديد مقره،لكننا رأينا نتيجة التقرير الذي قدمته اللجنة مما جعل المؤتمرين يشككون في مصداقيتها ويعتبرون عملها أمرا عبثيا لأنها لم تلتزم بتوصية المجلس التي من خلالها استحدثت.

وفي جلسة الرابع والعشرين من شهر أوت تهاطل على مكتب دورة المجلس الوطني للثورة سيل من اللوائح التي تقدم بها المؤتمرون بخصوص مسألة استحداث مكتب سياسي وتحديد مقره،لوائح جعلت من مكتب الدورة يعلن تعذره عن دراستها كلها، لأجل ذلك دعا إلى ضرورة تشكيل لجنة تعتكف على دراستها ودمجها ضمن لائحة واحدة تحقق الإجماع،لكن المؤتمرين لم يكترثوا إلى طلبه،فقام المكتب

على اثر ذلك بجمع كل المقترحات وأدمجها في ثلاثة حلول متباينة وأخضعها لعملية التصويت،مقترحات لخصها رئيس الجلسة السيد أوصديق في:[10]

- ضرورة دخول الحكومة المؤقتة وكل إطارات جيش وجبهة التحرير الوطني.
- بعض المقترحات حددت مهلة للدخول والبعض الآخر رفض تحديد المهلة.
- البعض الأخر أرجأ مسألة تحديد مهلة الدخول وطالب بإنشاء هيئة تنسيق بين الولايات في انتظار تحقيق مسألة الدخول.

لقد حاول السيد محمد الصديق بن يحي رئيس دورة المجلس الوطني للثورة الجزائرية إبراز التباين بين فريق الحكومة المؤقتة ومن تبعهم من المؤتمرين و هيئة الأركان العامة،ونفى أن يكون هذا الخلاف قائم حول قضية الدخول من حيث المبدأ أي دخول الحكومة المؤقتة وكل إطارات جيش وجبهة التحرير الوطني،ذلك أن الرفض المبدئي لهذه المسألة كان قد يسبب إحراجا كبيرا للفريق الذي يعلن عن نيته صراحة ويجعل منه محل شبهة كبرى بتخليه عن الالتزام بقرارات المجلس الوطني منذ دورة ديسمبر1959/جانفي1960،وإنما أوضح أن مرد هذا التباين هو تكتيكي بين الفريقين حول النقطتين الأخيرتين المدرجتين في جملة اللوائح التي تقدم بها المؤتمرون أي تحديد مهلة للدخول من عدم تحديدها،أو رجاء المسألة إلى إشعار آخر ودعوة الولايات لتشكيل لجنة تنسيق بين الولايات[11].

- ومنه دعا إلى عرض المقترح الخاص بتحديد مهلة للدخول على المؤتمرين وكانت نتائج عملية التصويت كالأتي:[12] 15صوت بنعم 29صوت لا،ثم قدم مكتب المجلس الوطني المقترح الداعي إلى استحداث قيادة مركزية أو مكتب سياسي بالداخل على المؤتمرين للتصويت عليه ،لكن معارضة العقيدين هواري بومدين قائد هيئة الأركان العامة و لخضر بن طوبال والسيد بن يوسف ابن خدة الذين

اقترحوا إرجاء القضية في شكل توصية يستصدرها المجلس الوطني في نهاية أشغاله[13]،جعلت من هذا المقترح لا يشهد النور والغريب في أشغال دورة المجلس الوطني أن المؤتمرين أنفسهم أخذوا يميعون في القضايا التي كانوا قد كلفوا أنفسهم من قبل عناء مناقشاتها في أجواء جدال عقيم وحاد دام طيلة أسبوع،إذ سرعا نما أذعنوا لمقترح بن طوبال وهواري بومدين وبن خدة، بعد أن صوتوا لصالح عملية إرجاء قضية استحداث مكتب سياسي بالداخل،حيث جاءت نتائج التصويت كالأتي[14]:بنعم26صوت و صوت واحد ضد. مما يجعل عدد المصوتين:27مصوت.

إن ظاهرة تمييع القضايا التي كان يطرحها المجلس الوطني للثورة لا يمكن تحديد آلياتها بشكل دقيق،فهي في أغلب الأحيان كانت تحاك خيوطها في كواليس المجلس ،ويصعب على الباحث تتبعها من خلال المحاضر،ذلك أن هذه الأخيرة كانت تقيد من طرف كاتب تعينه في العادة مصالح وزارة التسليح و الاتصالات العامة الذي كان بدوره يقوم بتدوين المحاضر رفقة جهاز تسجيل الذي لم نجد له آثر في دور الأرشيف على الرغم من أن المحاضر كانت تختم بتقرير –محضر مراقبة– مراقبة يدونه كاتب الجلسة ذاته،بعد أن يقوم بمراقبة كل المحاضر المدونة في الدورة مع التسجيل الصوتي الذي كان هو أيضا إلى جانب القاعة المخصصة لأشغال المجلس يقارن من خلاله ما سجل عبر جهاز التسجيل وما تم تدوينه.

ظلت إذا ظاهرة التمييع والتناقضات التي كانت تسجلها المحاضر ظلت ظاهرة للباحث المتمعن فيها ،ويكفي في هذا الصدد الاستشهاد بمسألة التصويت التي كانت تبرز مدى الاستهتار بالقوانين الداخلية للمجلس وعدم الاكتراث من جهة بالقضايا المصيرية التي كانت تطرح،ففي العملية الأولى التي تعلقت بالتصويت للمقترح الخاص بتحديد مهلة للدخول كان عدد المصوتين أربعة وأربعون مصوت وهو رقم لا يعكس عدد المشاركين في دورة أوت 1961،أما في العملية الثانية التي خصصت للتصويت لصالح إرجاء مسألة الدخول كان عدد المصوتين سبعة وعشرين،مما يوحي أن عدد لابأس به من المؤتمرين يكون قد غادر الأشغال لفترة

قصيرة أو أنه كان يمتنع عن التصويت،وبحساب عدد المشاركين في الدورة فإن عدد الذين غادروا قاعة الأشغال لفترة من الزمن أو امتنعوا عن التصويت هو بالضبط سبعة عشرة عضو[15].

والظاهر أن فريقا الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان العامة يكونا قد استغلا فترة خروج بعض المؤتمرين خارج القاعة المخصصة لأشغال الدورة أو امتناع البعض عن التصويت بفعل مرارة النقاشات وطابعها الروتيني القاتل والمنهك للأعصاب، ليقوما بعد ذلك الفريقين المتخاصمين بتمرير لائحة صوت لصالحها أقرت بضرورة إرجاء مناقشة مسألة الدخول في شكل توصية يستصدرها المجالس الوطني للثورة،وهو ما يفسر عودة الجدال العقيم والسجال بين المؤتمرين في الجلسة المسائية للرابع والعشرين من أوت 1961، حيث اعتبر بعض المؤتمرين أن المجلس الوطني غدا ينتهك سيادته بما أنه أخذ يكرس في سياسة تمييع القضايا المصيرية للثورة وأعلنوا رفضهم إرجاء مناقشة قضية دخول قيادة الثورة بالداخل في شكل توصية يتولى المجلس الوطني اصدرا ها في نهاية الأشغال[16].

-5-1-مكتب سياسي أم لجنة حرب:

حينها قرر مكتب المجلس الوطني تكليف لجنة خماسية ،تشكلت من السادة: عمر بوداود، أحمد بومنجل، أحمد فرنسيس، والرائدين عمر أوصديق وعزا لدين، وكلفها بدراسة جميع المقترحات التي تقدم بها المؤتمرون وتكثيف التشاور معهم بغية تحقيق الإجماع[17] ، وبعد مشاورات مكثفة وسريعة مع المؤتمرين خلصت اللجنة إلى :

- الإبقاء على قيادة موحدة والمتمثلة في الحكومة المؤقتة.
- توسيع صلاحية مكتب المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وتخويله حق الفصل في النزاعات التي تحدث بين أعضاء الحكومة المؤقتة، وفي حال حدوث نزاع بين مكتب المجلس والحكومة المؤقتة يدعو المكتب، المجلس الوطني للثورة للاجتماع لحل النزاع.

- إنشاء لجنة حرب لتعزيز الكفاح المسلح بالداخل، تتشكل من وزير الداخلية، وزير التسليح والاتصالات العامة، قائد هيئة الأركان العامة ورئيس الحكومة[18].

للوهلة الأولى بدا واضحا أن بصمات هيئة الأركان العامة في التقرير الذي خلصت إليه اللجنة الخماسية التي كلفها المجلس الوطني لإجراء مشاورات مكثفة مع كل أعضاء المجلس واستصدار لائحة تحقق الإجماع،كانت جد واضحة،وهو الأمر الذي سجله بعض المؤتمرين حيث تسألوا عن مغزى وجود قائد هيئة الأركان العامة ضمن لجنة الحرب المراد إنشاؤها،بل اعتبر السيد بن يوسف ابن خدة هذه اللجنة استنساخ للجنة الوزارية الحرب المستحدثة نظريا منذ جانفي 1960،في مؤتمر طرابلس الأول للمجلس الوطني للثورة الجزائرية[19].

شكلت إذا محاولة هيئة الأركان العامة لتثبيت نفسها عبر أطر تنظيمية استحدثتها الثورة في المجلس الوطني حينما سعت لوضع قدم قوي داخل المكتب السياسي المزمع إنشاؤه،محاولة رائدة ستعززها لاحقا في دورات المجلس الوطني وتلعب دور رئيس في تعطيل وشل مؤسسات الثورة بما يفتح المجال لفض كل النزعات التي جمعتها مع فريق الحكومة المؤقتة والولايات الرافضة لسياستها نحو الحلول القائمة على المواجهة خارج أدراج المجلس الوطني للثورة.

بعد مغادرة هيئة الأركان العامة لأشغال الدورة تعثرت أشغال دورة أوت 1961،ولم تستأنف إلا في اليوم الموالي أي بتاريخ1961/08/26، حيث حاول مكتب الدورة الحسم في التقرير الذي أعدته اللجنة الرباعية بقيادة أحمد فرنسيس،لكن معارضة كريم بلقاسم ولخضر بن طوبال لقضية تواجد قائد هيئة الأركان العامة في اللجنة المزمع إنشاؤها ، أخرت عملية الحسم في المسألة[20]، مما دفع بمكتب الدورة إلى طرح المقترح برمته للتصويت وكانت النتائج كالأتي[21]: عدد المصوتين:24عضو ،المصوتون بنعم:21، المصوتون ب: لا:03

هكذا جاءت نتائج التصويت على المقترح الذي قدمته اللجنة الخماسية بقيادة أحمد فرنسيس،والذي أكد على الإبقاء على سلطة الحكومة المؤقتة،ووسع من صلاحية مكتب المجلس الوطني للثورة،كما أقر أيضا باستحداث لجنة حرب ضمت إلى جانب رئيس الحكومة المؤقتة،وزيرا الداخلية والتسليح والاتصالات العامة ووزير الداخلية بالإضافة إلى قائد هيئة الأركان العامة[22].

II- تصدع المجلس الوطني للثورة ماي/جوان1962وفشل قادة الداخل في مواجهة قيادة الثورة بالخارج:

جاءت ظروف انعقاد دورة المجلس الوطني للثورة27ماي/05/جوان 1960، جد مغايرة لتلك التي شهد تها الدورات السابقة،ذلك أنها لم تكن مبرمجة من طرف الحكومة المؤقتة ولا مكتب المجلس الوطني للثورة الجزائرية، ولا حتى من ثلثي أعضائه الذين خضعوا في النهاية لتحالف بن بلة وهيئة الأركان العامة وضغطوا على الحكومة المؤقتة لبرمجة دورة استثنائية للمجلس،علاوة على ذلك فإن ظروف هذه الدورة جاءت كمحصلة لحالة الانسداد التي شهدتها مؤسسة المجلس الوطني للثورة قبل ذلك منذ دورة أوت 1961،حيث انتهت بطريقة شبه رسمية إلى التعليق، على الرغم من أن أشغال الدورة تواصلت بطريقة سادها الكثير من الغموض واختتمت بإصدار بيان الاختتام،علاوة على ذلك أن ذات الدورة السابقة الذكر كانت قد شهدت خرق لسيادة المجلس بطريقة تنم عن عدم الاكتراث من طرف المؤتمرين،بحيث تغيب عن الجلسات الختامية مايقارب من نصف المشاركين في الدورة وعددهم أربعة وأربعون ،فحينا غادر سبعة عشر عضو أشغال الدورة قبل اختتامها بثلاثة أيام ليلتحق بهم أعضاء هيئة الأركان بعد ذلك بيوم مما جعل عدد المتغيبين عشرون عضو،لكننا رأينا كيف أن المجلس غظ الطرف عن ذلك ولم يتخذ أي إجراء تجاه هذا الخرق لقوانينه الداخلية،ولم تشر أيضا المحاضر من طرف مقرر الجلسة إلى ذلك، غادر أعضاء هيئة الأركان العامة إذا أشغال الدورة قبل نهايتها

بتاريخ 1961/08/25 معبرين عن تذمرهم من المآل الذي آلت اليه السلطة التشريعية للثورة و عجزهم عن تثبيت قائد هيئة الأركان العامة في لجنة الحرب المزمع إنشاؤها[23]، ولم يحسم المجلس الوطني في نهاية أشغاله بتاريخ1961/08/27، في قضية استحداث مكتب سياسي ولا لجنة الحرب التي كان قد عرضها على ما تبقى من المؤتمرين وصوتوا لفائدة إنشائها وكما عرضتها اللجنة الخماسية المعينة من قبل المجلس بتاريخ1961/08/24، لكن المجلس في النهاية لم يستصدر أي توصية أو اللائحة أشارت إلى نشوء اللجنة[24].

لقد قفز المجلس الوطني على قراراته بشكل كان يدل على أن كلا الفريقين كانا يحضر لمواجهة خارج الأطر التنظيمية التي استحدثتها الثورة، واختتم أشغاله في ظروف سادها التوجس والخيفة ،من جهتها انتقلت هيئة الأركان العامة بعد مغادرتها لأشغال دورة أوت إلى ألمانيا حيث المقر العام لفيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا[25].

2-7المناقشات الخاصة بطبيعة المكتب السياسي المنشود:

ظلت جل النقاشات التي خاضها المؤتمرون فيما يتعلق بالقيادة المراد استحداثها في شكل مكتب سياسي يتولى إدارة شؤون الجزائر المستقلة بعيد الإعلان عن نتائج الاستفتاء إلى انعقاد المؤتمر الوطني، تصب في تحديد تركيبته ، صلاحيته وعلاقته بالحكومة المؤقتة و الولايات بالداخل ،مما جعل أشغال الدورة تتحول كعادتها إلى حلبة صراع بين تحالف بن بلة وهيئة الأركان العامة والحكومة المؤقتة.

لقد بدا واضحا أن هذا تحالف كان يريد تهميش أو على الأقل تحييد القادة الميدانيين للولايات[26] بالداخل من المؤسسات التي كان يعتزم مشروع برنامج جبهة التحرير الوطني استحداثها، لأجل ذلك فإن العناصر المحسوبة على هذا التحالف كانت ترفض توسيع مجالس الولايات[27]، بما أن مشروع البرنامج كان يقر بضرورة إجراء المكتب السياسي لمشاورات مع الولايات بغية انتخاب أعضاء المجلس الوطني[28]، من جهة أخرى طرحت قضية تواجد حزب جبهة التحرير

الوطني كهيكل تنظيمي بالداخل إلى جانب تنظيم الولايات التاريخية واقترح بن بلة ومهري مرحليا الإبقاء على سلطة هذا الأخيرة في المرحلة الأولى لاستحداث هياكل الدولة لأنها ستنصهر في النهاية داخل الحزب[29].

هكذا بدا وضع المؤسسات الانتقالية للثورة عشية الاستقلال، كما أقر الملحق الثاني الذي حدد المهام الفورية لجبهة التحرير الوطني ذلك أن هذه الأخيرة ظلت هي النظام أو الدولة في فترة الاحتلال، لكن بعد الاستقلال فإنها ستتحول إلى حزب، سيتولى إدارة شؤونه مكتب سياسي الذي يعمل بدوره على التحضير لانعقاد المؤتمر الوطني وانتخابات المجلس الوطني ،أما عن الحكومة المؤقتة فإن مهمتها ستغدو أكثر فأكثر مؤقتة خلال المرحلة التي تلي الإعلان عن نتائج الاستفتاء،بما أنها ستتولى التحدث باسم الدولة الجزائرية مع الحكومة الفرنسية وستزول وظيفتها بميلاد المجلس الوطني[30].

أما بخصوص تركيبة المكتب السياسي وعدد أعضائه فلقد اقترح بوضياف أن يكون ذا طابعا سياسيا وعسكريا في آن واحد وتحت إمرة قائد عسكري[31]،أما كريم فإنه أكد على القيادة جماعية وركز على أهليتها للحكم ودعا المجلس الوطني إلى تشكيل لجنة صبر أراء تعمل على استشارة المؤتمرين بخصوص أعضاء المكتب السياسي[32].

آيت أحمد ركز على الجانب الديمقراطي في تشكيلة المكتب السياسي واعتبر الأمر بمثابة محك حقيقي لمصير الجماهير الشعبية التي ظلت متعلقة بالمشروع الثوري ،لأجل ذلك دعا إلى ضرورة أن يكون التمثيل داخل المكتب تمثيل فعليا، وعليه اعتبر تمثيل عضو من كل ولاية أمر ضروريا فضلا عن بقية التنظيمات الجماهيرية[33]،بما يعني توسيع العضوية داخل المكتب السياسي لجميع الشرائح والفئات،وهو إذ اقترح ذلك فإنه علل ذلك بمهمة المكتب السياسي بناء على مشروع برنامج الجبهة وهي العمل لتحضير المؤتمر الوطني،والحالة هذه فإن انعقاد هذا الأخير سيكون تحصيل حاصل وتتويج لجهود المكتب السياسي[34] .

تحالف بن بلة هيئة الأركان العامة ركز على ضرورة أن تكون القيادة الجديدة منسجمة ودع إلى ضرورة الاقتصار على عدد محدود للعضوية في المكتب

السياسي بغية الحفاظ على انسجام أعضائه، واعتبر توسيع العضوية في تشكيلة المكتب السياسي بما يجعل منه جمعية مماثلة للمجلس الوطني للثورة في حال انضمام ممثلي الولايات والمنظمات الجماهيرية هو مدعاة للعبثية لأن هؤلاء سيتم استشارتهم إلى حين انعقاد المؤتمر الوطني ، فضلا أن تمثيلهم لن يكون ذا أهمية كبرى بما أن القيادة الجديدة سيكون مقرها بالداخل[35].

كما اقترح أن يقوم المجلس الوطني للثورة بعد تشكيله للمكتب السياسي أن يقوم بإحاطة هذا الأخير بأمانة عامة تنتخب من أعضاء المجلس الوطني للثورة تعمل في انتظار انعقاد المؤتمر الوطني على حل الخلافات بين المكتب السياسي والولايات بشأن توسيع مجالس هاته الأخيرة كما تحل المشاكل التنظيمية أيا كانت طبيعتها[36].

أما العقيد هواري بو مد الدين فإنه أكد على ضرورة تحديد العضوية في المكتب السياسي ودعا إلى اختيار الشخصيات القوية التي تجعل من المكتب السياسي فريق قوي ومنسجما ،كما طالب بتخويله السلطات المطلقة لتفادي تكرار التجارب الفاشلة للهيئات القيادية التي استحدثتها الثورة من قبل، الأمر الذي سيؤهله لمواجهة التحديات التي تفرضها مرحلة ما بعد الاستقلال بما في ذلك اتفاقية ايفيان[37].

4- 7لجنة سبر الآراء و الجولة الأخيرة في التنافس على السلطة داخل المجلس الوطني:

شكلت جلست أمسية الخامس من جوان 1962، آخر جلسة عقدها المجلس الوطني وفق القوانين الداخلية لجبهة التحرير الوطني،فبعد أن استشارة لجنة سبر الآراء جميع المؤتمرين لانتقاء قائمة تشكل المكتب السياسي تحظى بقبول ثلثي أعضاء المجلس الوطني أعلن رئيس اللجنة السيد محمد بن يحي نتائج عملية السبر التي قامت بها اللجنة:

- يعتبر المكتب السياسي القيادة جديدة و الوحيدة لجبهة التحرير الوطني بين دورتي المجلس الوطني للثورة و إلى غاية انعقاد المؤتمر الوطني.

- أغلبية المؤتمرين آثروا أن تكون تشكيلة المكتب السياسي محدودة العدد.
- أجمع المؤتمرون على تحديد أعضاء المكتب السياسي بسبعة شخصيات .
- حددت نهاية صيف1962،كحد أقصى لانعقاد المؤتمر الوطني.
- أما فيما يخص القائمة التي حظيت بثلثي أصوات المجلس فإن اللجنة فشلت في تحقيق ذلك.

وعليه فإن لجنة سبر الآراء أعلنت و هي تعرب عن تأسفها على فشلها في تأدية مهمتها بالنظر إلى أنها لم تتمكن من انتقاء قائمة تحظى بقبول ثلثي أعضاء المجلس، لأجل ذلك اقترحت على هذا الأخير ،القيام مرة أخرى بتعيين لجنة ثانية دون الخوض في نقاش عام حول سبب فشل اللجنة.

إلى ذلكم الحين ظلت أشغال المجلس الوطني تكتسي طابعها العام القائم على السجال السفسطائي تارة واللغط السياسي تارة أخرى والكولسة في أروقة القاعة المخصصة للأشغال تارية أخرى،لكن أن يتحول النقاش البرلماني إلى حالة الانسداد التي تجعل من غير الممكن مواصلة الأشغال فهذا الذي لم تسجله جل محاضر الدورات التي عقدها المجلس الوطني منذ تأسيسه،لكن يبدوا أن ليلة الخامس من شهر جوان1962، حملة معها تراكمات ومخلفات حرب التحرير برمتها لتحول حلبة المجلس الوطني من ساحة سجالية لأجل التنافس على السلطة إلى حلبة حقيقية استبدلت فيها لغة الحوار البرلماني إلى لغة ساقطة كانت تنذر بانفجار الوضع والمواجهة العسكرية الحاسمة بين فرقاء السلاح.

ويكفي للتدليل على ذلك تتبع ذات المحاضر و حالة التوتر التي ميزت اللغة المستعملة بين المؤتمرين بعد أن أعلنت اللجنة السابقة الذكر عن فشلها،بحيث تبنى البعض طرح اللجنة القاضي بعدم فتح نقاش عام حول أسباب فشلها والاقتصار على تقديم تقرير مفصل للجنة ثانية ستكلف بذات المهمة كي يتسنى لها تجاوز العقبات التي حالت دون نجاح اللجنة الأولى[38].من جهة أخرى كانت عملية فتح النقاش العام بالنسبة للفريق الأول وهو المحسوب على الحكومة المؤقتة كانت تعني

إبراز كل المآخذ والضغائن المتراكمة طوال سنوات الحرب كما أن البوح بأسرار اللجنة أي الكشف عن القائمة التي حظيت بأغلبية دون تحقيقها لثلثي المصوتين قد يعطي الفرصة لعناصر هذه القائمة حق الرد وبالتالي فإن أشغال المجلس ستخترق القانون الداخلي للمجلس الذي ينص على أن الاقتراع يكون بالنسبة للأشخاص سريا،علاوة على ذلك فإن البوح بالقائمة أمام المجلس سيجعل من هذا الأخيرة تعتقد في نفسها قيادة جديدة حتى ولو لم تتحصل على ثلثي الناخبين[39].

فحين اعتبر تحالف بن بلة هيئة الأركان العامة استحداث لجنة ثانية قبل فتح نقاش عام حول أسباب فشل اللجنة الأولى هو مدعاة للعبثية واستهتار بسيادة المجلس الذي هو مؤهل سلفا لطرح جميع القضايا التي يراه ضرورية للسير الحسن لأشغاله حتى وإن تعلق الأمر بالأشخاص[40]،كما ركز على ضرورة أن تقوم اللجنة بالكشف عن القائمة[41] التي كادت أن تتحصل على ثلثي الناخبين واعتبر الأمر لا يمس بالعرف الذي جرت عليه أشغال دورات المجلس الوطني للثورة حينما يتم الإعلان عن القائمة التي حظيت بالقبول النسبي[42] .

وفي أثناء اعتزام مكتب المجلس الوطني تنظيم عملية تصويت بغية تحديد عمل لجنة سبر الآراء المعتزم انتخابها ثانية هل يتوقف على مناقشة النقطة الخامسة من تقرير اللجنة السابقة الذكر أي تشكيلة المكتب السياسي أو تعيد مناقشة كل النقاط دفعة واحدة بما أن الفريق الأول فشل في مهمته؟[43].

في ذلك الحين أثار العقيد طاهر زبيري قضية اعتزامه التصويت بثلاثة وكالات- باسم الرواد عمار ملاح ،محمد صالح يحياوي، إسماعيل مصطفى محفوظ- ادعى أنه مفوض من مجلس الولاية الأولى[44]،مما يخوله أربعة أصوات فكان رد رئيس الحكومة المؤقتة سريعا وغير معترف بالحق المزعوم لقائد الولاية الأولى كما ذكره بأن الحكومة المؤقتة قبل انطلاق أشغال الدورة راجعت الوكالات وقدمتها لمكتب الدورة،علاوة على ذلك فإن نظام الوكالات جرت العادة أن يتم الفصل فيه قبل انطلاق أشغال الدورة لأنها كانت تودع مكتوبة لدى مكتب المجلس الوطني بعد أن يتسلمها من الحكومة المؤقتة ، وأكد أن زبيري لا يمتلك إلا صوتا واحدا[45]،

وعلى الرغم من أن قائد الولاية الأولى حاول إضفاء الشرعية على الوكالات المزعومة على اعتبار أنه كان مكلف من طرف الحكومة المؤقتة بتنصيب مجلسها الجديد،فإن بن طوبال اعتبر الممثلين المعينين من طرف زبيري لم يحصلوا بعد على اعتماد الحكومة المؤقتة[46].

ولأجل الفصل في تلك المسألة النظامية والحفاظ على استمرارية أشغال الدورة، استفسر رئيس مكتب المجلس الوطني لدى رئيس الحكومة المؤقتة هل توجد بحوزة هذه الأخيرة الوكالات المزعومة من طرف قائد الولاية الأولى فكان رد بن خدة بالنفي[47].

حينها تدخل بن بلة بأسلوب متوترا وأعلن مساندته لقائد الولاية الأولى وهو إذ فعل ذلك فإنه ناور[48] لأجل انضمام قادة الولاية الأولى إلى تحالفه ضد الحكومة المؤقتة،فاعتبر رئيس الحكومة المؤقتة موقف بلة هذا ينم عن مناورة خرج بها عن إجماع فريق الحكومة المؤقتة الذي هو جزء منها بما أنه نائب الرئيس ،حينها اشتط بن بلة غضبا وقام بشتم رئيس الحكومة المؤقتة،فقام بن خدة على اثر ذلك بمغادرة أشغال الدورة ثم لحق به بعض فريق الحكومة المؤقتة جاعلين من دورة المجلس معلقة لأجل غير مسمى....

كان من الطبيعي إذا أن تنتهي أشغال الدورة إلى ما انتهت اليه، في الجولة الأخيرة التي سجلت على حلبة المجلس ،بحيث كان كل صوت جدير بتحقيق الفوز على الخصم لأجل ذلك طرحت مسألة توسيع العضوية في المجلس الوطني كما رأينا سابقا، وفي أثناء المناقشات لاحظنا سابقا أيضا كيف استفسر محمد روينة عن الولاية السادسة عن أحقيته في التصويت باسم الوكالات الأربع التي كان يمتلكها ونبه مكتب المجلس أنه قدمها قبل بداية الأشغال، كان حريا بقائد الولاية الأولى أن يتدخل حينها أسوة بممثل الولاية السادسة الذي أكد مكتب المجلس الوطني أحقيته للتصويت باسم مجلس ولايته، مما يجعل موقف طاهر زبيري يشوبه الكثير من الريبة فلو كان يمتلك الوكالات فعلا لطرح القضية في بداية الأشغال،والظاهر أن هذا الأخير يكون قد استدرج في أروقة المجلس الوطني من طرف تحالف بن بلة وهيئة الأركان العامة في أثناء عملية الاستشارات التي كانت

تقوم بها لجنة سبر الآراء ،وزج به في مغامرة مع مكتب المجلس الوطني كانت نتائجها ستعزز من حضور تحالف بن بلة هيئة الأركان في كلتا الحالتين، بحيث إذ اعتمدت وكالات قائد الولاية الأولى فإن الأصوات المعترف بها ستضاعف من حظوظ مجموعة بن بلة، وفي حال تعذر الأمر فإن الأمر سينتهي بشلل أشغال الدورة والحيلولة دون تمكن فريق الحكومة المؤقتة الذي كان سيحظى بالأغلبية النسبية،أغلبية كان بإمكانها أن تكرس و تأسس لشرعية ثانية لفريق الحكومة المؤقتة،وسيكون من الصعوبة بمكان في إستراتيجية تحالف بن بلة وهيئة الأركان تقويضها .

لقد كانت المعركة الفاصلة بين الحكومة المؤقتة وتحالف بن بلة وهيئة الأركان تتطلب تحقيق ثلثي أصوات الناخبين من أعضاء المجلس الوطني لأجل ذلك فإنه في أثناء بدية الاستشارات التي نظمتها لجنة سبر الآراء شهدت الأروقة المحاذية للقاعة المخصص لدورة طرابلس الأخيرة ،شهدت تشنج كبير بين المؤتمرين جراء الكولسة التي كان يقوم بها طرفا الصراع ويبدوا أن تحالف بن بله وهيئة الأركان العامة كان الأكثر اندفاعا وعدوانية في هذا الاتجاه لحسم الموقف لصالحه بالظفر بأغلبية الثلثين أي 45/صوت وهو ما لم يحققه منذ انطلاق أشغال الدورة ، والشواهد في ذلك غير بعيدة بحيث رأينا سابقا أن المجلس الوطني كان قد نظم قبل الحادثة التي فجرت الدورة ثلاث انتخابات عدا تلك التي حقق فيه المصوتون الإجماع حينما تعلق الأمر بالتصويت لصالح إقرار مشروع برنامج جبهة التحرير الوطني،أما في الانتخابات التي خصصت بداية من الجلسة الثانية بتاريخ 1962/05/27،فإن الأغلبية النسبية كانت دائما لصالح الحكومة المؤقتة سواء لما تعلق الأمر باستبدال مكتب المجلس الوطني حيث حققت فريق الحكومة المؤقتة 38صوت أما تحالف بن بله وهيئة الأركان العامة29صوت،وفي انتخابات الخاصة بإدراج قضايا إضافية إلى جدول الأعمال سجل 39لصالح الحكومة المؤقتة و28صوت لهيئة الأركان العامة.

وعلى الرغم من الأغلبية نسبية التي حققتها الحكومة المؤقتة فإنها لم تساعدها بالظفر بثلثي أصوات الناخبين،فكيف بتحالف بن بله وهيئة الأركان العام الذي

ظل بحساب الأصوات بعيد عن تحقيق حتى الأغلبية النسبية،والظاهر أن أجواء الدورة برمتها كانت تسير نحو الانفجار وتحويل الصراع خارج أروقة المجلس لكن طرفا الصراع علق آمال كانت تحمل معها سراب سرعان ما تبدد للناظرين وجعل تحالف بن بله وهيئة الأركان العامة يعتقد في استحالة تحقيق طموحاتهم داخل أروقة المجلس.

كانت نتيجة انسحاب رئيس الحكومة المؤقتة و بعض الوزراء من أشغال دورة طرابلس الأخير إيذانا بانشطار المجلس الوطني للثورة الذي ظل إلى ذلكم الحين يؤدي في دور محوري يحتكم اليه المتخاصمون سواء من الداخل ضد قيادة الثورة بالخارج منذ أوت1956، أو بين الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان العامة منذ صيف1961،دور محوريا لعبه المجلس الوطني طيلة فترة الحرب أهله ليكون حلبة صراع شديد بين العصب المتناحرة والزعماء الطموحين لتبوء مناصب قيادية في هيئات الثورة.

إن هذه الظاهرة هي التي تفسر في جوهرها التعديلات المستمرة التي طالت برلمان الثورة منذ تأسيسه في أوت1956،حيث كان عدد أعضائه 34عضو ثم تضاعف إلى 54عضو في أوت1957،ثم 56عضو في دورة ديسمبر159جانفي1960،لينتهي به المطاف في الدورة المعلقة ماي/جوان1962، ب67عضو، هذا التضاعف لم تكن تفرضه ظروف الكفاح المسلح ولا الحاجة للكفاءات السياسية بقدر ما فرضته رغبة العصب المتصارعة لتأكيد تموقعها داخل برلمان الثورة ،والشاهد في ذلك أن نسبة حضور فئة السياسيين كانت في تقلص مستمر داخل المجلس إلى أن انحصرت في ثلة قليلة في صيف1962.

لقد استغل أنصار بن بلة انسحاب فريق الحكومة المؤقتة من أشغال الدورة قبل نهايتها استغلال سافرا بحيث قاموا بصياغة محضر تقصير وقعه أربعون مؤتمر ضد الحكومة المؤقتة المنسحبة من أشغال الدورة دون أن تخطر مكتب المجلس الوطني وقاموا بتزكية المكتب السياسي بتشكيلته التي لم تحقق ثلثي أصوات الناخبين ليلة مغادرة رئيس الحكومة المؤقتة لأشغال الدورة،لتنزلق بذلك الثورة عشية الاستقلال

في حرب شبه أهلية بين رفقاء السلاح لم تنتهي إلا باستقالة الحكومة المؤقتة واعترافها بسلطة المكتب السياسي بتاريخ السابع من شهر أوت1962.

الهوامش:

-ثبت المختصرات: -م.و.أ:المركز الوطني للأرشيف- و.م.ث.ج:وثائق المجلس الوطني للثورة الجزائرية. -م.م.و.ث.ج:محاضر المجلس الوطني للثورة الجزائرية.

[1]- م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج: دورة أوت1961،جلسة يوم24/أوت1961، مداخلة الرائد سليمان ،علبة مصورة: C023

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج: دورة أوت1961،جلسة

[2] يوم17/أوت1961،مداخلة كريم بلقاسم ،علبة مصورة: C021

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة :C021

[3] يوم21/أوت1961، مداخلة محمد بن يحي علبة مصورة رقم -4م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة يوم21/أوت1961، تقرير اللجنة الرباعية ،علبة مصورة رقم: C024

5- سبق للمجلس الوطني للثورة الجزائرية في دورة ديسمبر1959/جانفي1960أن أقر بإعادة تنظيم الولاية السادسة التي ظلت تدار شؤونها من طرف قيادة غير معترف بها منذ حادثة اغتيال قائدها الطيب الجغلالي في 29جويلية 1959،لكن المجلس الوطني إذاك لم يعين قيادة جديدة للولاية وكذلك الأمر في دورة أوت1961،مما يوحي بأن مصير الولاية ظل عالق إلى ذلكم الحين بين فريقي الحكومة المؤقتة التي كانت تبحث عن قيادة بديلة تراهن عليها وهيئة الأركان العامة التي كانت تحضر لبسط نفوذها على ولايات الداخل.

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة :C021

[6] -يوم23/أوت1961، مداخلة العقيد علي كافي علبة مصورة رقم

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة :C021

[7] -يوم23/أوت1961، مداخلة عمر أوصديق علبة مصورة رقم

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة :C021

[8] - يوم23/أوت1961، مداخلة العقيد هواري بومدين علبة مصورة رقم

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة -- :C021

[9] يوم23/أوت1961، مداخلة عمر بوداود علبة مصورة رقم

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة :C022

[10] -يوم24/أوت1961، مداخلة عمر بوداود علبة مصورة رقم

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة :C022

[11] -يوم24/أوت1961، مداخلة محمد بن يحي علبة مصورة رقم

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة :C022

[12] - يوم24/أوت1961، علبة مصورة رقم

13 - م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة

يوم24/أوت1961، مداخلة العقيدين بومدالدين ،لخضر بن طوبال والسيد بن يوسف ابن خدة علبة مصورة رقم:

C022

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة - :C022

[14]- يوم24/أوت1961، علبة مصورة رقم

-15 - تشكل هذه الحالة دليل على الاستهتار بالقوانين الداخلية للمجلس لأن مسار المناقشات سيثبت أن العدد الذي تم ذكره في المتن ولم يصوت كان خارج أشغال الدورة بدليل أنه ظل خارج الأشغال الى تاريخ 1961/08/26حيث تم التصويت على تقرير اللجنة الخماسية كما سنبين

لاحقا.أنظر: – م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة يوم26/أوت1961، علبة مصورة رقم:C024

– م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة :C022

[16] يوم24/أوت1961، علبة مصورة رقم

17– عين السيد أحمد فرنسيسس رئيس لهذه اللجنة، أنظر:

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة :C022

يوم24/أوت1961، علبة مصورة رقم

-- م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة :C022

[18] يوم24/أوت1961، مداخلة أحمد فرنسيس، علبة مصورة رقم

[19]– م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة

يوم24/أوت1961، مداخلة السيد بن يوسف ابن خدة علبة مصورة رقم C022

[20] –م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة

يوم26/أوت1961،مداخلة العقيدين كريم وبن طوبال علبة مصورة رقمC024

– م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة :C024

[21] يوم27/أوت1961، علبة مصورة رقم

22– م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة

يوم26/أوت1961،مداخلة رئيس الجلسة عمر بوداود علبة مصورة رقم: C024

– م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة :C022

[23] يوم25/أوت1961، علبة مصورة رقم

– م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورةأوت1961،جلسة :C024

[24] يوم27/أوت1961، علبة مصورة رقم

[25] Mohammed harbi: Le F.L.N;OPCIT;P:281

-استفسر العقيد هواري بومدين عن طبيعة التعليمة التي وجهتها الحكومة المؤقتة إلى الولايات والتي دعت فيها إلى ضرورة[26]

تقديم الدعم للجنة المؤقتة، استفسر عن طبيعة هذا الدعم بطريقة أثارت الشبهة لدى فريق الحكومة المؤقتة،فكان رد محمد يزيد حازما حينما أكد أن الدعم اقتصر على عناصر جبهة التحرير في اللجنة المؤقتة وليس كل عناصرها.أنظر:

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة يوم31/ماي1962، مداخلة بومدين، ومحمد يزيد علبة رقم12ملف04 رقم 12-ملف04

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة [27] يوم31/ماي1962، مداخلة منجلي ،سليمان، بومدين علبة - رقم 12-ملف04

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة [28] يوم31/ماي1962، مداخلة محمد يزيد علبة

[29] -م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة يوم31/ماي1962، مداخلة أحمد بن بلة وعبد الحميد مهري علبة رقم 12-ملف04 رقم 12-ملف04

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة [30] - يوم31/ماي1962، مداخلة محمد يزيد علبة - رقم 12-ملف04

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة [31] يوم31/ماي1962، مداخلة محمد بوضياف علبة رقم 12-ملف04

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة [32]- يوم31/ماي1962، مداخلة كريم بلقاسم علبة

[33]– لقد اعتبر الطاهر زبيري قائد الولاية الأولى تمثيل الولايات في المكتب السياسي أمر لا مناص منه لأجل تسهيل مهمة المكتب بالداخل بما أنه كان مقرر أن يقوم بإجراء معاينة للوضع الداخلي وهو الأمر الذي لن يتم إلا بمساعدة الولايات،كما اعتبر تمثيل المنظمات الجماهيرية غير ذا أهمية بما أنها منضوية في الولايات.أنظر:

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة يوم03/جوان1962، مداخلة العقيد طاهر زبيري علبة رقم 13–ملف03

[34]– اعتبر محمد خيضر مقترح آيت أحمد الخاص بتوسيع العضوية في المكتب السياسي للمنظمات الجماهيرية عائقا إضافيا سيعزز من شلل المؤسسات كما اعتبر بن بلة الأمر سابقة خطيرة قد تفتح الأبواب في المستقبل لجميع التنظيمات لكي تطالب بحق التمثيل في الهيئات العليا، أيت أحمد من جهته أكد أن الأمر لن يغدو سابقة خطيرة بقدر ما يؤسس لنظام ديمقراطي.أنظر:

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة، يوم31/ماي1962، مداخلة آيت أحمد، محمد خيضر وبن بلة، علبة رقم12ملف04

[35]– م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة يوم31/ماي1962، مداخلة قاضي بوبكر عن الولاية الخامسة علبة رقم 12– ملف04

– رقم 12–ملف04

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة

[36] يوم31/ماي1962، مداخلة الرائد قايد أحمد علبة

يبدو أن المواجهة والسجال بين تحالف بن بلة وهيئة الأركان العامة أخذ خلال المناقشات التي خصصت لاستحداث المكتب السياسي أخذت طابعا رقم 13–ملف04

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة

[37] - يوم05/جوان1962، مداخلة محمد بن يحي علبة

[38]- م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة يوم05/جوان1962، مداخلات محمد خيضر، محمد يزيد، كريم بلقاسم علبة رقم 13-ملف04

- رقم 13-ملف04

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة

[39] يوم05/جوان1962، مداخلة بن طوبال وكريم بلقاسم علبة رقم 13-ملف04

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة

[40]- يوم05/جوان1962، مداخلة الرائد علي منجلي علبة

- ضمت القائمة علاوة على الزعماء الخمس،العقيد محمدي سعيد والرائد حاج [41]بن علا

- لقد استعمل العقيد هواري بومد الدين مصطلح الأغلبية حينما طالب [42] بالكشف عن القائمة التي حظيت التي كانت أوفر حظا لكنها

لم تتحصل على ثلثي الناخبين مما يوحي أن تحالف بن بلة هيئة الأركان كان يرى في نفسه قد كسب المعركة سلفا.أنظر:

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة يوم05/جوان1962، مداخلة العقيد هواري بومدين علبة رقم 13-ملف04

- رقم 13-ملف04

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة

[43] يوم05/جوان1962، مداخلة محمد بن يحي علبة

رقم 13-ملف04

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة

[44]- يوم05/جوان1962، مداخلة العقيد طاهر زبيري علبة

- رقم 13-ملف04

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة

[45] يوم05/جوان1962، مداخلة بن يوسف بن خدة علبة

--[46] -م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة يوم05/جوان1962، مداخلة العقيدين زبيري وبن طوبال علبة رقم 13-ملف04

[47]- تلكم آخر كلمة سجلتها محاضر المجلس الوطني في دورته غير المكتملة في ليلة السادس من شهر جوان1962،لينتهي المسار الطويل الذي قطعه برلمان الثورة دون أن يستصدر توصيات أو لوائح بل الأدهى أنها لم ترفع رسميا جلساتها وتعلن اختتامها.أنظر:

م.و.للأرشيف:و.م.و.ث.ج.دورة27/ماي05/جوان1962،جلسة يوم05/جوان1962، مداخلة رئيس الحكومة بن يوسف بن خدة علبة رقم 13-ملف04

[48]- يذكر علي هارون أن بن بلة جاءه إلى غرفته بفندق المهير حيث كان مخصص الإقامة لأعضاء المجلس الوطني في أثناء الاستشارات التي كانت تقوم بها لجنة سبر الآراء وعرض عليه تشكيلة المكتب السياسي التي تضم فضلا عن الزعماء الخمس حاج بن علا ومحمدي سعيد وهي القائمة التي كانت في نظر بن بلة مؤهلة لتحظى بقبول ثلثي الأصوات،وتضع مصلحة الثورة فوق كل شيئ، لكن هارون يروي أنه اعتبر الأمر غير مقبول لأنه أكد لبن بلة ضرورة إضافة الباءات الثلاث بالنظر إلى مسيرة ثورية وكقادة بارزين خلال سنوات الثورة،لكن بن بلة لم يكن مستعد لذلك بل اقترح إضافة عضو أو عضوين من فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا على إضافة الباءات الثلاث،ويبدو أن بن بلة كان يريد

احتواء الفيدرالية التي في نظره ظلت تحت الوصاية المباشرة لبوضياف غريمه كما اعتبر مشروع برنامج طرابلس الذي حضرته الفيدرالية هو من وحي بوضياف.
أنظر: علي هارون: خيبة الانطلاق، مرجع سابق:ص:28- 29

ليفي بروفنسال

وثيقة غير منشورة حول الحملة السعدية على السودان

د . لوبنى زبير – جامعة القاضي عياض – المغرب

د. سمير آيت اومغار – جامعة القاضي عياض – المغرب

تعد الوثيقة موضوع هذه الدراسة واحدة من الوثائق الفريدة، لأنها الوحيدة التي تبقت من أرشيف الحملة التي أمر بها السلطان السعدي أحمد المنصور سنة 1590م ضد المملكة الإسلامية لكاو وتمبوكتو. وهي وثيقة تؤكد ما جاء في المصادر الأساسية حول الحملة كمناهل الصفا للفشتالي ونزهة الحادي للإفراني وتاريخ الفتاش لمحمود التنبكتي وتاريخ السودان لعبد الرحمان السعدي.

يعود تاريخ الرسالة إلى يوم 7 دجنبر 1591م، أما مرسلها فهو الباشا محمود زرقون القائد العام للحملة السعدية، ومستقبلها هو أحد أفراد أسرة أقيت، الشيخ عمر بن محمود أقيت الذي تولى القضاء بتمبوكتو يوم 1 فبراير 1585م. ويدور مضمون الرسالة حول الانتفاضة التي اندلعت بتومبكتو بعد احتلال السعديين لها، والإجراءات السعدية لمواجهة هذه الانتفاضة، المتمثلة في إرسال وحدة عسكرية موالية يترأسها فارسان من أركان الجيش السعدي هما بامي بن برون والقائد مصطفى لإعادة النظام. وقد وجدت هذه الرسالة ضمن أحد المجاميع بالقسم العربي من مكتبة الإسكوريال، والذي يضم جزءا مهما من المكتبة الملكية السعدية القديمة.

Le document qui fait l'objet de cette communication, est un document unique, puisque c'est le seul qui reste des archives de la conquête ordonnée par le sultan saadien Ahmad al-Mansour en 1590 contre le royaume musulman de Gao et Tombouctou.

C'est un document qui viens renforcer les sources fondamentale sur cette expédition, comme *Manahil al-safa* d'al-Fachtali, *Nuzhat al-hadi* d'al-Ifrani, *Tarikh al-Fattach* de Mahmoud al-Tinbukti et surtout *Tarikh al-Soudan* de Abd al-Rahman al-Saadi.

Le document qui est une lettre datée du 7 décembre 1591, fut envoyée par le pacha Mahmud Zarqun commandeur générale des troupes saadiennes, à un membre de la famille Aqit, qui est le cheikh Omar ben Mahmud Aqit, cadi de Tombouctou depuis le 1er février 1585. Son contenu tourne autour de la révolte de Tombouctou après sa conquête par les Saadiens, et les procédures Saadienne pour affronter cette révolte, en envoyant un contingent loyaliste commandé par deux officiers de l'état major, Bami ben Barun et le qaid Mustafa pour rétablir l'ordre dans la ville. La lettre fut trouvée par E. Lévi provençal, dans un recueil factice au fond arabe de la bibliothèque de l'Escurial, qui comprend une importante partie de l'ancienne bibliothèque royale saadienne.

يعتبر ليفي بروفنسال من بين الباحثين المستعربين الذين تركوا بصمات متميزة في مجال البحث في تاريخ المغرب بفضل الرصيد العلمي الذي خلفه؛ فبعد توظيفه في مصلحة الشؤون الأهلية بشمال المغرب، اهتم بروفنسال بالمنطقة فنشر بالأرشيفات البربرية (*Les Archives berbères*) مقالات متعددة عن اللهجات والإثنوغرافيا والأركيولوجيا. وعلى إثر انتقاله للمدرسة العليا للغة العربية (ستصبح سنة 1921م معهد الدراسات العليا المغربية) بدأ . بإشارة من العميد

روني باسي . بالاشتغال على أطروحته "تاريخ الشرفا"، وطيلة سنوات دراسته ركز في أبحاثه على المغرب، فأنجز دراسة حول موقع شالة بمعية هنري باسي.

كان وراء تميز ليفي بروفنسال، اهتمامه بإخراج الوثائق من الأرشيفات واقتران اسمه بنشر الوثائق الدفينة، وهو ما يعكسه موضوع أطروحته الثانية المعنونة بـ: "النصوص العربية في ورغة"، وتوجهه العلمي للسنوات ما بعد 1923م؛ ففي هذا التاريخ سافر إلى إسبانيا ، حيث أسنَدَ إليه وزير التعليم العمومي مهمة البحث في مكتبة الإسكوريال عن الوثائق الكفيلة بانجاز فهرس للمخطوطات العربية الخاصة بالعلوم الدينية والجغرافيا والتاريخ؛ هناك سيعثر بين مجموعة من الأوراق على وثائق ديوانية موحدية قام بنشرها، كما استغل إقامته بإسبانيا لنسج علاقات وثيقة مع المؤرخين والمستشرقين الإسبان.

وبفضل معرفته بخزائن الكتب العمومية والخاصة بالمغرب، توصل لنشر نصوص عربية جديدة كمذكرات الزيري عبد الله وثلاث رسائل في الحسبة ونقائش عربية جديدة، ووصف غير منشور لبلاد الأندلس، ومجموعة من النصوص التاريخية العربية المنشورة بالقاهرة، فتمكن عبرها من إلقاء الضوء على فترات غير معروفة بشكل جيد، وحسم النقاش في مجموعة من القضايا المختلف حولها[1].

ووثيقتنا موضوع الدراسة هي من الوثائق التي عثر عليها ليفي بروفنسال وكشف عنها لتضاف إلى البيبليوغرافية الخاصة بحملة السلطان أحمد المنصور السعدي على السودان.

وُجدت هذه الوثيقة داخل مخطوط للقرآن الكريم، ويُعتقد أن مُستقبِلها الشيخ عمر أقيت قد احتفظ بها ضمن مُصحفه الخاص الذي تمت مصادرته من أسرة الأقيتيين، و احتفظ به فيما بعد بإحدى الخزانات السعدية. نُشرت هذه الوثيقة لأول مرة في العدد الثاني من مجلة *Arabica*[2] التي أسسها بروفنسال نفسه.

لماذا ترجمنا هذه الدراسة؟ يكتسي هذا العمل مشروعيته من تعذر وصول مجموعة من الباحثين للمجلة التي نشرت نص الوثيقة للمرة الأولى و الوحيدة، فبات العمل على ترجمة الدراسة و نشر الوثيقة مرة أخرى شيئا ضروريا لمباشرة الكتابة

التاريخية حول الحملة المنصورية على السودان؛ كما أضفنا عدة هوامش توضيحية للدراسة ميَّزناها عن هوامش ليفي بروفنسال بلفظة (المترجمان).

نص الدراسة المُترجمة

شكلت الحملة التي أمر بها السلطان السعدي أبو العباس أحمد المنصور سنة 1590م (1000هـ) ضد المملكة الإسلامية لكاو وتمبوكتو وعاهلها الزنجي حديث العهد بالملك[3] أسكيا إسحاق الثاني، حلقة عنيفة في تاريخ السودان نهاية القرن 16م.

تقررت الحملة بموجب نصائح القادة الأندلسيين من محيط العاهل المغربي، بل وأنجزت تحت إشرافهم، وكان لهذا الحدث أثر في تدفق ذهب السودان بكميات مهمة على خزينة الدولة، ما منح المنصور لقبه التشريفي الثاني: الذهبي، وهي نتيجة أهم بكثير مما حققه الحدث نفسه على مستوى إخضاع طوق النيجر لسلطة السعديين.

إن ملابسات الحملة بقدر ما هي هشة وعابرة فإنها معروفة بشكل جيد. ودون الحديث عن حوليات الأسرة السعدية، خاصة مناهل الصفا للفشتالي[4] ونزهة الحادي للإفراني[5]. هناك كتابان إخباريان متباينا القيمة يرويان أخبار الحملة بتفصيل هما تاريخ الفتاش لمحمود التنبكتي[6]، وبشكل أخص تاريخ السودان[7] لعبد الرحمان السعدي. أما بالنسبة للمصادر الأوربية فهي غير منعدمة، كرواية المجهول الإسباني المؤرخة بسنة 1591، والتي عثر عليها ونشرها هنري دو كاستري سنة 1923[8].

سنذكر باختصار تواتر الأحداث، بمجرد ما تم تقرير القيام بالحملة وتجهيزها، وضعت تحت قيادة القائد الأندلسي جوذر، وقد تكونت فرق الجند التي تولى قيادتها والبالغ عدد أفرادها أربعة آلاف[9] وهو عدد قليل شيئا ما، من رماة راجلين

أو على الخيول، كلهم من العلوج الإسبان، وجزء مهم من أصحاب الرماح العرب، وقد غادر هذا الجيش الصغير مراكش في موكب عظيم يوم 16 أكتوبر 1590م، استتبع فيما بعد بحامية مهمة، وقد وصل الجيش إلى النيجر قرب تومبكتو[10] بعد 135 يوما من المشي المضني الذي خلف خسائر ثقيلة في الجيش السعدي.

تجنب جودر مدينة تومبكتو وانحرف نحو الشرق، متتبعا عن قرب الضفة اليسرى لنهر النيجر، قصد الهجوم على كاو عاصمة أسكيا، حيث كان هذا الأخير ينظم المقاومة. وقع اللقاء يوم 13 مارس 1591م بتوندبي[11]، و أفضى إلى اندحار قوات الملك الزنجي رغم أهميتها العددية[12] وانتصار الجيش المغربي، ثم جاز الأسكيا الضفة اليمنى للنيجر طالبا السلم، فتم له ذلك[13].في هذه الأثناء احتل جودر كاو ثم انجلى عنها أملا في العثور على مناخ أكثر سلامة[14]، وفي 25 أبريل من نفس السنة (1 رجب 999) كان دخوله السلمي لتومبكتو.

أعلم السلطان السعدي بسرعة وظن أن جودر قد برهن عن حِلم كبير تجاه أسكيا فعزله، وأرسل من أجل قيادة الحملة[15] في نهاية شهر يونيو قائدا علجا آخرا هو الباشا محمود زرقون، مع تكليفه بمهمة متابعة فتح السودان واحتلال كاو.

وصل القائد الجديد للجيش السعدي بسرعة لتومبكتو يوم 17 غشت[16]، أخذت الحملة منحى آخر إذ تم اجتياز النهر[17] والوصول إلى مناطق الذهب. بعيد ذلك انتهت حملة السودان بسهولة دون أدنى مقاومة من السكان. ليبدأ مسحوق الذهب (التبر) بالتدفق على مراكش[18].

كانت تومبكتو في هذه الحقبة بؤرة نشيطة للثقافة المالكية، وكان القضاة الذين تعاقبوا عليها ينحدرون كلهم من أسرة فقهاء واحدة وهي الفرع الصنهاجي لأقيت، أحفاد محمد أقيت، الذي كان حيا في النصف الأول من القرن 15م، وقد أصبح حفيده محمود بن عمر المزداد سنة 1463م قاضي تومبوكتو سنة

1498م وتوفي سنة 1548م. ومارس ثلاثة من أبنائه بالتعاقب القضاء بالحاضرة السودانية الثانية: الأول منهم هو محمد الذي توفي سنة 1565م، والثاني هو العاقب المتوفى سنة 1583م، وأخيرا عمر بن محمود[19] الذي تولى نفس المنصب يوم 1 فبراير 1585 (تمام محرم 993) وسيبقى محتفظا بهذا المنصب طيلة ثمان سنوات[20].

هذا القاضي الأخير هو الذي سيخاطبه القائد جوذر عند دخوله لتومبكتو، طالبا منه إيجاد إقامة مناسبة له بالمدينة وأن يعين له داخلها مكانا لإنشاء قصبة ومخزن للبارود [21]، ولم يبد هذا القاضي – مدفوعا بالضرورة – أية ممانعة لإعلان ولائه لأحمد المنصور[22].

شهورا قليلة بعد ذلك اندلعت انتفاضة بتومبكتو لما كان الباشا محمود زرقون قائدا عاما للحملة السعدية محل جوذر. وقد ذكرت ملابسات هذا التمرد الذي أخمد بسرعة[23] بتفصيل في تاريخ الفتاش[24] ولا داع لتكرارها هنا.

من الطبيعي، بحكم موقع وجود القائد السعدي في السودان على بعد مرحلة من كوكيا، أن يراسل قاضي تومبكتو ليطلب منه الحسابات ويعلمه بإرسال وحدة عسكرية موالية يترأسها فارسان من أركان جيشه هما بامي بن برون[25] والقائد مصطفى[26] لإعادة النظام. فأرسل له لذلك رسالة، يوم 7 دجنبر 1591م (21 صفر 1000هـ)، ونصها هو الذي سنجده هنا، منسوخا، مكتوبا ومصحوبا بالترجمة[27].

إنها الصدفة وحدها التي كانت وراء مساهمتي في إغناء الوثائق العديدة حول الحملة السعدية على السودان، بهذه الوثيقة غير المنشورة والأصيلة. إذا كانت لا تزودنا إلا ببعض التفاصيل الجديدة وحمولتها التاريخية محدودة، فإن خصوصيتها تكمن في كونها بدون شك الوثيقة الوحيدة لأرشيف الحملة التي لم تتعرض للاندثار.

عثرت صدفة قبل خمسة وعشرين سنة على رسالة الباشا محمود زرقون إلى القاضي عمر بن محمود أقيت، أثناء معاينتي للمجاميع المصطنعة والتي لم تفهرس بعد بالقسم العربي من مكتبة الإسكوريال، والذي يضم، كما نعلم جزء مهم من المكتبة الملكية السعدية القديمة[28].

أقحمت هذه الرسالة المستعجلة في مخطوط قران مبتور البداية[29]، وكتبت على ورق أبيض من حجم 27 على 20 سم، تشغل الرسالة وجه الصفحة كاملا مع إضافتين كما جرت العادة في دواوين الغرب الإسلامي، الأولى بالهامش الجانبي على اليمين ابتداء من الأسفل، والثانية على الهامش العلوي للرسالة، ويستمر النص على ظهر الورقة؛ أما الخط فهو من الطراز المغربي السريع الخالي من التكلف. تبدو الرسالة استنادا إلى طريقة كتابة حروف التوقيع أنها قد كتبت كاملة بيد الباشا محمود نفسه. أما الأسلوب، فهو قليل التهذيب، دارج في عمومه ولا يقرب إلى طريقة تنميق كتاب القصر في تلك الفترة.

قبل الختام نضيف بعض الكلمات، حول مصير متلقي هذه الرسالة، التي حفظت بشكل عجيب من عوائد الزمن والإنسان. كل شيء يحيل على الظن أن خضوع القاضي عمر بن محمود أقيت كان ظاهريا، فسرعان ما سينقض بيعته للعاهل السعدي، ليقلده في ذلك جميع أفراد عائلته، خاصة ابن عمه الشهير أحمد بابا، مؤلف نيل الابتهاج وكفاية المحتاج، كتكملتين لسجل فقهاء المالكية لابن فرحون المسمى الديباج[30]. أمام موقف الأقيتيين[31]، اتخذ أحمد المنصور في حقهم قرار النفي وأمر بترحيلهم إلى مراكش[32]، حيث وصلوا، مكبلين بالسلاسل، يوم 21 ماي 1594 (1رمضان 1002)، ووضعوا تحت الإقامة المحروسة ولم يطلق سراحهم إلا سنتين بعد ذلك، يوم 19 ماي 1596 (21 رمضان 1004)، في تلك الأثناء توفي عميد الأسرة، القاضي عمر بن محمود، يوم 16 شتنبر 1594 (1 محرم 1003)، وخصص له داخل العاصمة السعدية قبر قرب ضريح القاضي عياض الشهير[33].

نص رسالة الباشا محمود زرقون للقاضي عمر بن محمود أقيت

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد

الأجل الأفضل، الأرضى الأحظى الفاضل، القاضي الأعدل سيدي عُمر بن محمود. أحمد الله عواقبكم وجعل النجاح فيما ترومونه ووَفَّقكم سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكيف أنتم وكيف حالكم تَوَحَّشْناكم غاية.

هذا وإنَّنا كتبناه لكم يوم الأحد الحادي عشرون من صفر مُتِم الألف بالقرب من كُوكْيَة برحلة، من محلّة مولانا السعيدة المنصورة، عن خير وعافية، ونِعَم من الله متوالية مُتوافية في سائر جيش مولانا المنصور خلَّد الله سلطانه وإن تشوَّقتم إلى أخبار العبد سُكْيا، وما آل إليه أمرُه، تبعناه إلى أن لقيناه في بلد لا يُسمع له فيها ذِكْرٌ بالكُلّية من بركة مولانا نصره الله وتفرقت عنه جموعُه وأشياعُه وأتباعُه، وطهَّر الله عزَّ وجلَّ منه البلاد، وأراح منه العباد، لله الحمدُ والمنَّة ولقى ما سوَّلته نفسه من أسوإ الحال، وانقادت الناس كلها للطاعة، القاصي والداني، وسكنت روعة الناس والرَّعية من التواريك والسودان واطمأنَّت قلوبُهم، وزال ما كان بهم من الجزع حتى أن الرعية والحمدُ لله في أَمن وأَمان من بركة مولانا السلطان. وأهل الزيغ والفساد، والتخليط والعناد، قطَّعنا دابرهم ومادَّتهم من هذه البلاد، إلى أن شملت العافية الخاصَّ والعامَّ. وهذه الدولة الهاشمية لا يضُرُّها إن شاء الله عزَّ وجلَّ من خاذَلها أو عانَدَها، حتَّى تتعاقب الشهور والأعوام، إلى أن تستولي على الأقرب والأبعد، وهذا الأمرُ قلَّده المولى الكريم، لحَفَدَة نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم إلى أن يضع أمانته في يد عيسى إن شاءَ الله.

وقد بلغنا ما هُم عليه أهل تِنْبُكتو من الهَرَج والتخليط، وما سوَّلت لهم أنفسُهم مع من أتاهم من خُدَّام الباغي المفسد سُكيا، وضايقو أصحابَنا الذين هناك، وسوَّلت لهم أنفُسهم ما يلقونه إن شاء الله في أقرب وقت: إنَّه على ما يشاء قدير. كيفَ، وأنت قُدوة هذا الصقع السوداني، ومسموع كلمة، ويحدث هذا

الهرج بمحضركم، مع أنَّكُم من أحبَّاء هذه الدولة الهاشميَّة، وتترك العامة على غرضها، مع أنكم تطيقون على إطفاء نار الفِتن، والعامّة لا عقل لها: إن لم يَجدوا مَن يردعهم ويُحذِّرُهم عن فعلهم الذميم، لا يلتفتون إلى ما يأتيهم من عواقب الأمور، الحاصِل إنَّ عمدة هذه المسأَلة عليكم، وذنوب الرعيَّة والمساكين المهدَرة دِمَاؤهم على رقبتك، لأنَّك قاضِي الإسلام، وتعرف ما بينك وبين الله عزَّ وجلَّ وتعرف ما يستوجب نَّاكِثَ عهدِ بيت النبوّة مولانا أبي العبّاس المنصور.

إلى هذا، ها نحن وجَّهنا لتلك الناحية أربعمائة راميٍ من أعيان جيش مولانا المنصور، لتدويخ تلك البلاد، وإطفاء نار الفِتَن بها، وتمهيدِ تلك البلاد. ومن ظهر فيه فسادٌ، يستوجب العقوبة بموجب شريعة النبيّ الكريم صلَّى الله عليه وسلَّم وقد أخذنا، والله عليك، لأَجل ما نعتقده فيك من المحبَّة في هذه الدولة السعيدة. كَيفَ لم تُعرِّفنا، حين حدث هذا الهَرَج، مع أحَد مَرَاسليك لأَنَّ أهل هذه البلاد كُلّها منقادة للسمع والطاعة إليكم، ومُمَتّلِين أمْرَكم لو كلَّفتَ على أحد من أهل البلاد الإتيان إلينا، لفعل لاكِن ظهرت لنا أمور، وقبلنا معذرتكم بها. ونحن لا نحتاج إلا الدُّعاء الصالح منكم، وبَرَكتُكم تصحبُنا، وأمَّا الغير، هَنِّ نفسك منه إن شاء الله عزَّ وجلَّ بحوله وقوَّته إن عادت العقرب، عُدْنا لها، والنعلُ لها حاضرٌ، مع أن أهل تِنْبُكتو عَامَلناهم بالخير الجزيل: أدَّينا عليهم ما أُخِذَ منهم من المظالم واحتاج الجيش إلى الزرع، واشتريناه بذَهَبنا خشية من تغيير قلوب أهل تنبُكتو، واحتَجْنا إلى لإبل، واشتريناها أيضًا هذا كلُّه من شفقتنا عليهم، لم نكلِّفوهم بشيء، ولا ضايقَناهم في أمر من الأمور، وكلُّ من احترم بجانبكم، عامَلناهُ بخير.

إلى هذا، ها نحنُ وجَّهنا بامِي بن بَرُون مع القائد مصطفى، بأربعمائة راميًا من جيش مولانا المنصور، لتمهيد تلك البلاد وتسكينها. وما عليكم أن تكلّم الخبر لأهل البلد، وتُسكِّنَ روعتهم، لأنَّ الذي صدر منهم، عَلِمْنا انَّه بالقهر منهم، وعَفَونا عنهم، وسمَحنا لهم لوجوهكم. والسلام.

وكتب مملوك المقام العليّ:

محمود لطَّف الله به، أمين.

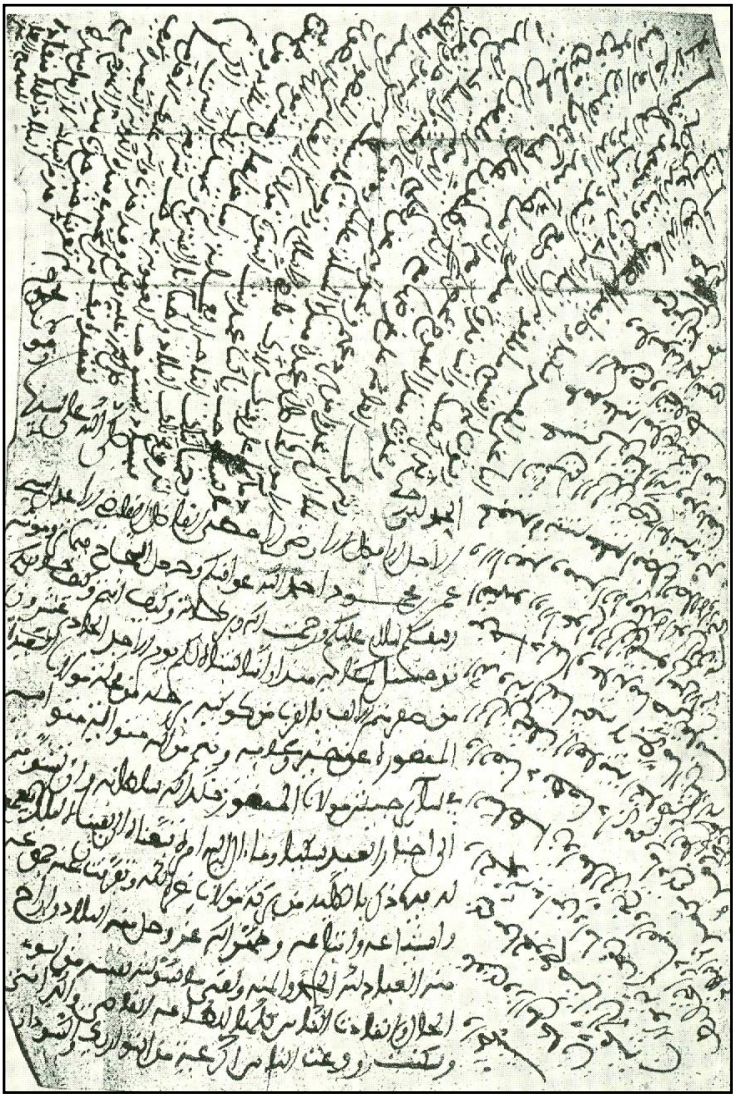

رسالة الباشا محمود زرقون لقاضي تمبوكتو. (وجه الرسالة)

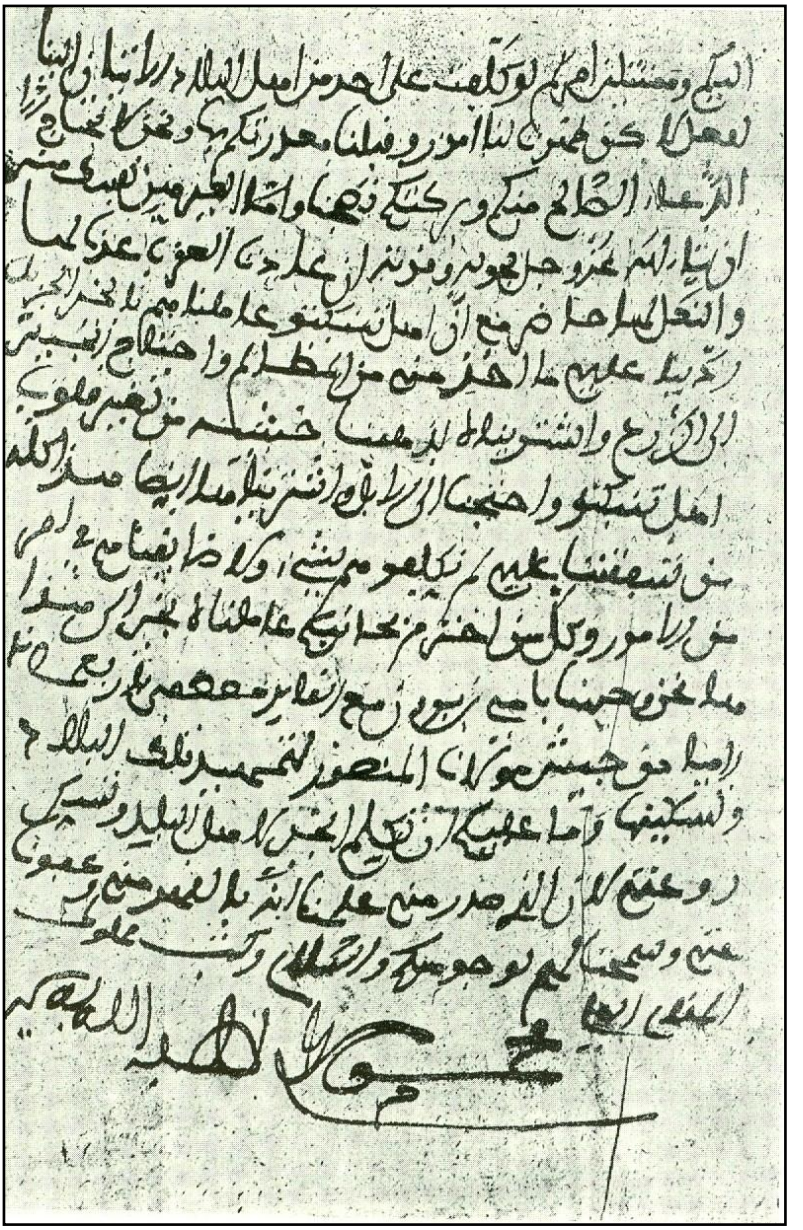

رسالة الباشا محمود زرقون لقاضي تمبوكتو. (ظهر الرسالة)

[1] Terrasse, H., "*Nécrologie E. Lévi-provençal, (1894- 1956)*", *in* **Hespéris**, Tome XLIII, 3e et 4e trimestres. 1956, pp. 251-255.

[2] Provençal, L., "*Un document inédite sur l'expédition Sadide au Soudan*", *in* **Arabica**, tome II, Fascicule I, janvier 1955, pp. 89-96.

[3] تولى أسكيا إسحاق الحكم يوم الأحد الثالث عشر من جمادى الأولى عام 996 هـ. أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، وقف على طبعه هوداس، Librairie d'Amérique et d'orient, Adrien Maisonneuve، باريس، 1981. ص. 125. (المترجمان)

[4] حول المؤلف ومؤلفه ينظر كتابنا:

Historiens des Chorfa, Paris, 1922, pp. 92-97.

وحوليات الفشتالي التي عُثر عليها ولم تنشر بعد. (نشر كنون عبد الله نسخة مختصرة من الكتاب تحت عنوان: **مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا**، المطبعة المهدية، تطوان، 1964، في 247 صفحة تقديما و نصا عدا الفهارس). (المترجمان).

[5] ***Ibid***., pp. 112-131.

[6] نشر وترجم من طرف:

Houdas, O., Delafosse, M., ***Documents arabes relatifs à la l'histoire du Sudan***, (*PELOV*, cinquième série, IX- X), Paris, 1913.

[7] نشر وترجم من طرف:

Houdas, O., Benoist, E., (*PELOV*, cinquième série, XII-XIII),Paris, 1898. Cf.

حول هذين المؤلفين: ***GAL***, II, 467-68 ; ***S*** II, 717. ـ مؤلف ثالث، أكثر اختصارا ومجهول، يعود لنفس الفترة، معنون بتذكرة النسيان (cf, ***GAL***, loc. cit.).

ألف عبد الرحمان السعدي كتابه هذا سنة 1650م، وقد تعقب فيه تاريخ السودان الغربي من خلال إمبراطورياته وممالكه كما تعرض فيه للعمارة والحياة الاجتماعية للسودانيين ولأثر الحملة السعدية على البلاد، عثر على الكتاب في جِنِي من طرف فليكس دوبوا Félix Dubois. (المترجمان).

[8] De Castries, H., "*La conquête du Soudan par El-Mansour (1591)*", *in* **Hespéris**, Tome III, 1923, pp. 433-488.

هذا البحث هو الأفضل حول المسألة.

[9] يذكر عبد الرحمان السعدي أن المنصور أرسل: 3000 راميا من بين أصحاب الخيل والرجل، ومعها من الأتباع ضعفين في محرم 999هـ. أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص. 176. (المترجمان).

[10] "نزلوا عند قرية كربر، أقام بها الباشا جوذر احتفالا فرحا بوصولهم النهر سالمين ، وكان ذلك يوم الأربعاء 4 جمادى الأولى 999هـ". أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص. 139. (المترجمان).

[11] بموضع يقال له تنكندبغ قرب تندبي. أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص 140. (المترجمان).

[12]. حسب أخبار عبد الرحمان السعدي بلغت قوات الأمير أسكيا إسحاق اثني عشر ألفا وخمسمائة من الخيل وثلاثين من أرباب الرجل. أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص. 140. (المترجمان).

[13] في انتظار وصول جواب السلطان على الرسالة التي بعث بها جوذر يستشيره في طلب الملك إسحاق الصلح مقابل أداء ضريبة سنوية إضافة إلى أموال طائلة. أنظر الإفراني محمد، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تقديم و تحقيق

عبد اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، 1998. ص. 94. (المترجمان).

[14] كان القائد جوذر باشا قد سئم الإقامة في كاو كما أن الجيش اشتكى من وخامة تلك البلاد واستيلاء الأسقام عليهم. أنظر: الإفراني محمد، **نزهة الحادي**، صص. 167- 168. و في المناهل أن العساكر خيمت بكاو "وألقوا بها عصى التسيار واعتاموها دار قرار ثم ألفوها مستوئبة وخيمة الهواء منحرفة المزاج لا تقتنص بها الصحة إلا بشرك علاج ولا يستشعر بها برد الصحة إلا من ألف جوها ودب من وكرها وربى في أفقها وأما الوارد عليها فقلما سلم من عادية وخامتها إلا بعد استحكام صبغتها ولبس جلدتها فطرقتهم بسبب ذلك الوعك وسرت فيهم الأسقام ودبت في جميعهم أو كادت الأوجاع والآلام وحذروا مغبة استيلاء الآلام على جميع العساكر فلم يكن لهم حينئذ مندوحة من ارتياد بقعة سواها وإدالتها ووافق ذلك إرسال العبد سكية إليهم وإلقاء نفسه عليهم نزوعا إلى السلم...". أنظر الفشتالي عبد العزيز، **مناهل الصفا على مآثر موالينا الشرفا**، دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، د.ت. ص. 146. (المترجمان).

[15] دامت فترة قيادة جوذر لجيش الحملة مدة تسعة أشهر من شهر محرم إلى 26 من شهر شوال. مجهول، **تذكرة النسيان في أخبارملوك السودان**، مخطوط مُصور بالبوابة الالكترونية للمكتبة الوطنية الفرنسية، ص. 2. (المترجمان).

[16] الجمعة 26 شوال عام 999 هـ. أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص. 145.

"محمود بن علي بن زرقون وطلوعه يوم السادس والعشرين من شوال عام التاسعة والتسعين جاء من مراكش في ثمانين راميا كاتبهم مامي بن برون وصل تنبكت يوم الجمعة السادس والعشرين من شوال ومعه القائد عبد العال والقائد حمو بركة فعزل جوذر مباشرة. وتحول الجيش معه". أنظر: **تذكرة النسيان في أخبار ملوك**

السودان، ص. 2. والسعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص. 144. (المترجمان).

[17] "بمجرد وصول الباشا محمود بن زرقون المدينة أمر بإنشاء قوارب جديدة لأن القوارب التي كان يستخدمها السكان لاجتياز النهر هرب بها صاحب المرسى عند وصول جوذر إلى تمبكتو. وكان مجموع ما تمكن الباشا محمود من صنعه من قوارب قاربين فقط". أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، صص. 145- 146. و**تذكرة النسيان**، ص. 2. (المترجمان).

[18] حول العلاقات الاقتصادية بين المغرب والسودان، أنظر الدراسة المتميزة لموريس دولافوس:

Delafosse, M., *"Les relations du Maroc avec le Soudan à travers les âges"*, *in* **Hespéris**, Tome IV, 1924, pp. 155-174.

"ولما فتح عليه مماليك البلاد السودانية حمل له من التبر ما يغير الحاسدين ويحير الناظرين حتى كان المنصور لا يعطي الرواتب إلا النضار الصافي والدينار الوافي وكانت ببابه كل يوم أربع عشر ماية مطرقة تضرب الدينار دون ما هو معد لغير ذالك من صوغ الإفراط والحلي وشبه ذلك ولأجل ذلك لقب بالذهبي لفيضان الذهب في زمانه.". أنظر: الإفراني محمد، **نزهة الحادي**، ص. 168. (المترجمان).

[19] يرد اسمه في تاريخ السودان أيضا هكذا: الخطيب محمود درامي، وهو من القلة الذين بقوا بتمبوكتو مع الطلبة ومن لم يقدر من الهروب منها من التجار بعد هزيمة الأمير اسكيا، وقد التقى بالباشا جوذر وقام بضيافته. أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص. 141. (المترجمان).

[20] كل هذه التفاصيل واردة في تاريخ الفتاش:

Tarih al-fattas., pp. 219 et n. 3, 227 et passim.

[21] ورد عند عبد الرحمان السعدي أن الباشا جوذر طاف المدينة وطالعها ووجد أكبر حوماتها عمارة هي حومة الغدامسيين، فاختارها للقصبة وشرع في بناها . أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص. 142. (المترجمان).

[22] ***Ibid***., p. 278.

[23] ابتدأ التمرد من محرم فاتح عام مكمل ألف واستمر إلى 12 ربيع الأول. أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص. 156.

[24] Trad. Fr., p. 299 sqq. Récit moins détaillé dans ***le tarih al-Sudan***. Trad., p. 240.

[25] يرد اسمه في تذكرة النسيان مرة برون وأخرى مامي بن بردوان، وعند عبد الرحمان السعدي مامي بن بارون، كان كاتب الفرقة التي بعثها السلطان أحمد المنصور بقيادة محمود بن زرقون، ويرجع إليه الفضل في انتهاء الفتنة بين أهل تمبوكتو وقائدها السعدي مصطفى، وصفه عبد الرحمان السعدي بالرجل العاقل اللبيب القسيس، حكم جني مدة سنتين، توفي حوالي 1021. (المترجمان). أنظر: السعدي عبد الرحمان، صص. 205،171،157،145. و**تذكرة النسيان**، ص. 2. (المترجمان).

[26] يحمل قائدان من الحملة هذا الاسم: مصطفى التركي ومصطفي بن عسكر: Cf. H. De Castries, ***op.cit***., p. 445.

[27] سنُعرض هنا عن إيراد نص الترجمة الفرنسية وسنكتفي بالنص العربي. (المترجمان).

[28] انظر مقدمة الجزء المنشور برعايتنا لفهرس المخطوطات العربية بالإسكوريال: (*PELOV*, sixième série, III), Paris, 1928, pp. VIII-IX.

[29] Fonds arabe Esc. n° 1900 (= *legajo* n° 17).

[30] أنظر كتابنا:

Historien des Chorfa, pp. 250-255.

خصص أحمد بابا في كتابيه كل فقيه من أسرته بترجمة.

[31] حسب رواية عبد الرحمان السعدي لا يبدو أن الأقيتيين نقضوا أو امتنعوا عن بيعة السلطان السعدي حيث أسِروا بالجامع عند اجتماعهم، بعد وصول دورهم لتقديم البيعة علنا للسلطان كما فعل أهل تمبوكتو قبلهم بيومين اثنين. أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، ص. 169. (المترجمان).

[32] حول كيفية الإيقاع بأسرة الأقيتين أو الفقهاء. أنظر: السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، صص. 169-174. (المترجمان).

[33] ***Tarih al-Sudan***, trad. fr., p. 324.

من المحتمل أن تكون الرسالة المنشورة هنا قد حُملت من طرف عمر أقيت من تومبكتو إلى مراكش حافظا إياها في نسخته المخطوطة من القرآن، لتنتقل بعد ذلك مع القرآن لخزانة الكتب السعدية بعد مصادرة وقعت إثر وفاته بقرار سامٍ.

علاقة هجومات 20 أوت 1955 بالتنظيم في الولاية الثانية التاريخية التنظيم الصحّي – أنموذجا–

أ . خريس لعبيدي
جامعة الشاذلي بن جديد/ الطارف

ملخص:

يعالج هذا المقال موضوعا في غاية الأهمية لارتباطه بأبعاد ونتائج هجومات 20 أوت 1955، وعلاقتها بالجانب التنظيمي والعملي للثورة التحريرية بالمنطقة الثانية (الشمال القسنطيني)، حيث عرفت الثورة بهذه الأخيرة إثر الهجومات دفعا قويا وحاسما والتحاق الجماهير بمجاهديها وعلى إثر ذلك فكّر زيغود ورفاقه في كيفية معالجة انشغالات الجماهير الشعبية وحلّ مشاكلهم المختلفة، فتقرر إنشاء المجالس الشعبية التي تعدّ الخلية (النواة) الأساسية للتنظيم القاعدي للثورة التحريرية بالمنطقة الذي سيعرف (أي التنظيم) بعدها تطورا وتعميما ليشمل باقي القطاعات والنواحي الأخرى الاجتماعية والاقتصادية...ولعلّ أنّ التنظيم الصحي بالولاية الثانية يندرج في هذا الإطار، وذلك تماشيا مع مبادئ وأهداف بيان أول نوفمبر وما قدمته من حلول لاسترجاع السيادة الوطنية وإعادة بناء الدولة الجزائرية.

وتكمن أهمية هذا الموضوع أيضا في كونه يضفي أضواء نتمنى أن تعرّف بهذا الجانب الذي تعدّى حدود الولاية ليشمل كافة أنحاء التراب الوطني وكل المجالات الحيوية للثورة، بحيث كان لتنظيم الرعاية الصحية علاقة مباشرة بالتنظيم الإقليمي لجيش التحرير الوطني، فضلا عن الطب والتمريض الميداني الذي يقدم الإسعافات الأولية، لدرجة أنّ المسؤول الصحي كان على مستوى كل القيادات. وإذا كان هذا التنظيم قد عرف مراحل مختلفة، وتطور مع تطور قدرات الثورة فقد توصل إلى إقامة مستشفيات منيعة وأرسى نظام وقاية صحية بكل ما في هذا المفهوم من معنى، ولم يقتصر هذا التنظيم على العلاج فقط بل تعداه إلى ميدان التكوين، فأصبح بالتالي نظاما صحّيا قائما بذاته عبّر عن إحدى الأسس

واللبنات التي أفرزتها هجومات 20 أوت 1955 لاسترجاع وبناء الدولة الجزائرية المغيّبة من طرف الاستعمار الفرنسي منذ 1830.

Cette intervention aborde un sujet très important en raison de sa liaison avec le coté organisationnel et pratique de la santé pendant la révolution algérienne en « wilaya historique 2 ». Toute l'importance du sujet réside en ses brillantes perspectives. Nous souhaitons ainsi faire connaitre ce coté qui a dépassé les frontières de la wilaya pour se répandre sur tout le territoire national et sur tous les domaines actifs de la révolution, de telle sorte que l'organisation des soins de santé était liée directement à l'organisation régionale de l'armée de libération nationale. Ainsi, la médecine et le domaine des soins infirmiers donnaient les premiers soins, dans la mesure que le responsable de la santé était au niveau de toutes les autorités de « la wilaya » à« El Kasma ».

Même si cette organisation a connu différentes phases, elle a su évoluer et développer des aptitudes tout le long de la révolution, elle est parvenue à établir des hôpitaux imprenables, et mettre en place un système de prévention sanitaire proprement dit. Cette organisation ne s'est pas contentée d'assurer le traitement, mais son expansion a gagné le terrain de la formation devenant ainsi un système de santé indépendant.

الموضوع:

تماشيا مع محتوى بيان أول نوفمبر 1954ــ الوثيقة المرجعية الأساسية الأولى لإعادة بناء الدولة الجزائرية التي غيّبها الاستعمار في الجزائرــ بما تضمّنه من مبادئ وأهداف وما قدمه من حلول لاسترجاع السيادة الوطنية، فإنّ التنظيم يعدّ العمود الفقري للثورة التحريرية، وأحد دعائمها وركائزها الأساسية التي أوصلتها إلى النجاح، وبه تمكنت من حشد الطاقات البشرية والمادية التي ضمنت ديمومتها

واستمراريتها حتّى حققت النصر، ويظهر ذلك في محطتين بارزتين، الأولى من أول نوفمبر 1954 حتى مؤتمر الصومام 1956، والثانية من مؤتمر الصومام 1956 حتّى استرجاع السيادة الوطنية ، وقد انتهجت الثورة في كلا المحطتين خطتين متكاملتين في التنظيم، لا يستغني أحدهما عن الآخر، خطة أفقية وتشمل الجانب السياسي متمثلا في جبهة التحرير الوطني التي أوكل إليها تنظيم الشعب وتعبئته وتوحيد الجماهير، وخطة عمودية وتتمثل في أفراد جيش التحرير الوطني[1].

وعلى غرار باقي المناطق شرعت المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني)[2] في تنظيم خلايا جيش التحرير الوطني معتمدة في ذلك على المناضلين الحياديين من حزب الشعب الجزائري، ومع مرور الوقت بدأت النواة الأولى تكبر والرغبة في التطوع تتزايد، وهو ما تطلب تنظيما محكما وحازما[3] خصوصا بعد هجومات 20 اوت 1955 التي أفرزت أفواجا كبيرة من المتطوعين والملتحقين بالثورة في الشمال القسنطيني على وجه الخصوص، ومن كافة شرائح المجتمع الجزائري الذي عرف تحوّلا عميقا في كافة النواحي الاجتماعية و الثقافية والاقتصادية ...فالتقارير الفرنسية ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ تؤكد أنّ الشعب بعد هجومات 20 أوت 1955 أصبح أكثر تلاحم من ذي قبل والدليل أنّ هؤلاء المجاهدين قد أصبحوا أكثر قوّة وأكثر تنظيما[4] خصوصا بعد التحاق الطلبة الجامعيين بالثورة في الشمال القسنطيني قبيل انعقاد مؤتمر الصومام، وكان من أبرز الملتحقين المتطوعين من طلبة جامعة الجزائر: الأمين خان (طب)، علاوة بن بعطوش(حقوق)، الطيب فرحات(رياضيات)، والطاهر بن مهيدي...حيث كلّف زيغود يوسف بن بعطوش بتقنين النصوص والقرارات والشؤون الإدارية، والأمين خان بتنظيم الخلايا الأولى التأسيسية لمراكز طبّية عبر تراب المنطقة، ومن هنا كانت اللبنة الأولى لمنظومة صحية ثورية، عبّرت عن القطيعة مع الاستعمار وشكّلت أحد مظاهر السيادة الوطنية وواحد من أسس إعادة بناء الدولة الجزائرية، لأنّ البعض قد يرى بأن الثورة هي مجرد مجابهة عسكرية مسلحة بين صاحب القضية الشرعي والعدو المحتل، بالإضافة إلى السجون والمعتقلات والتعذيب والإعدامات والنفي... لكن وفي خضم كل ذلك هناك تحول عميق في المجتمع من كافة النواحي الاجتماعية

والثقافية والاقتصادية...[5] . ويندرج النظام الصحي الذي أقامته الثورة التحريرية منذ 1956 في إطار تلك التحولات الكبرى التي عرفها الشعب الجزائري، بل ويعدّ واحدا من الميادين الأساسية التي لعبت دورا هاما إبّان الثورة التحريرية من أجل انتزاع الحرية والاستقلال[6].ومن هنا عرفت الولاية الثانية مثلما هو الشأن في جميع الولايات تحولات جذرية في مختلف الميادين خصوصا على المستوى الصحي منذ سنة 1955[7].

إننا لا نستطيع أن نلمّ بمدى الصعوبات التي عانى منها المجاهدون والمجاهدات العاملون في هذا الميدان، إلاّ إذا ألقينا نظرة على الوضع الطبي والصحي لأبناء الشعب الجزائري إبّان الاحتلال. فدراسة الطب في الجامعات كانت تقريبا حكرا على أبناء المعمرين، ماعدا قلة قليلة من الجزائريين لم تتعد في الفترة ما بين 1939و1954 الـ101 طالب كان قد حالفهم الحظ أن ينالوا مقاعدهم في الجامعات، ويتمكنوا من دراسة الطب[8]، وكان أفراد الشعب الجزائري الذين كانوا يعيشون في حالة كبيرة من البؤس والفقر في القرى والجبال، وفي الأحياء الفقيرة من المدن يعانون وضعا صحّيا مزريا نظرا لعدم توفر الأطباء الجزائريين من جهة، ونظرا لغلاء تكاليف العلاج لدى الأطباء الفرنسيين[9]. وكان التّداوي الشائع لدى الجزائريين هو ما يعرف بالطب الشعبي التقليدي الذي يعتمد أساسا على وصفات علاجية من الأعشاب، بالإضافة إلى العسل وزيت الزيتون، ورغم ذلك فإنّ الطب الشعبي التقليدي قد أثبت فائدته في علاج العديد من الأمراض.كما كانت هناك عائلات جزائرية تتوارث مهنة تجبير الكسور، كان أفراد الشعب يلجؤون إليهم في حالة إصابتهم بكسور، وقد استفادت الثورة من خبرة هؤلاء الأشخاص في تجبير كسور المجاهدين[10]. إلاّ أنّ الطب الشعبي لا يفي بالمطلوب في علاج الغالبية من الأمراض التي كانت تفتك بالناس والناتجة معظمها عن سوء التغذية، وعدم صلاحية ونظافة مياه الشرب، فانتشرت الأوبئة الفتّاكة التي أودت بحياة أعداد كبيرة من الجزائريين.

هكذا كانت الوضعية الصحية للسواد الأعظم من الشعب الجزائري عشية اندلاع الثورة التحريرية، ولازمت تلك الحالة انطلاق العمل المسلح في أول نوفمبر

1954، إذ بدا قطاع الصحة بصورة عامة منعدم تماما، وحتّى الإطارات الطبية في هذه المرحلة كان تكوينها في معظمه بسيطا جدّا، مما استلزم إيجاد أنواع وأساليب جديدة في العلاج والأدوية، نظرا للإصابات والجروح التي كانت تلحق بالمجاهدين وأفراد الشعب الجزائري جرّاء استعمال العدو لأسلحة فتّاكة بهدف القضاء على الثورة.وأصبح ضروريا على الثورة ومسؤوليها، أن تولي اهتمام كبير لميدان الصحة، نظرا لما يؤديه من دور في حفظ حياة المجاهدين وعلاج إصاباتهم، بالإضافة إلى تقديم العلاج لأفراد الشعب. لذلك فإنّ المرحلة الأولى من عمر الثورة والممتدة ما بين 1954و1956 عانت الكثير في هذا الميدان الحسّاس والأساسي، وقد استمر الحال إلى غاية إضراب الطلبة في 19 ماي 1956 والتحاقهم بصفوف الثورة حيث أعطوا نفسا قويا لقطاع الصحة من خلال التحاق العديد من طلبة الطب والصيدلة وكذلك طلبة التمريض، فكان دافعا قويا للنهوض بهذا الجانب المهم، وتشكلت بذلك النواة الأولى للقطاع الصحي التابع لجيش التحرير الوطني[11].

فبيان أول نوفمبر، بحكم الظروف الصعبة التي اندلعت فيها الثورة(تسبيق عملية التفجير على التنظيم)، لم يشر لا من بعيد ولا من قريب إلى مسألة الصحة خلال الثورة التي دعا إلى تفجيرها، لكنه ترك المجال للاجتهاد بضرورة تكييف الوسائل لتكون منسجمة مع العمل الثوري ومحققة للهدف والغاية المرسومة والمعلنة[12]، حيث ورد فيه:(استمرار الكفاح بكل الوسائل إلى أن تتحقق أهدافنا، وذلك طبقا للمبادئ الثورية...)[13] ، ثمّ جاء مؤتمر الصومام سنة1956 ليمكّن الثورة من التزوّد ببنى تنظيمية ومؤسساتية من خلال تقسيم العمل وتنظيم الصلاحيات وبناء سلطة ذاتية مستقلّة للثورة تجسيدا للقطيعة مع النظام الاستعماري، فأشار إلى القطاع الصحي وأقرّ به عندما أدرج مرتّبات الممرضين والممرضات الذين يتبعون العريف أي 1500 فرنك شهريا، والأطباء المساعدون الذين يتبعون الملازم ب2500 ف.ش، والأطباء الذين يتبعون الضابط الأول ب3500 ف.ش[14]، وعندما تأسست الحكومة المؤقتة سنة 1958 حظي القطاع الصحّي باهتمام كبير عندما أدرج ضمن وزارة الشؤون

الاجتماعية، وهو ما يؤكد أهميته بالنسبة للعمل الثوري، بل وأصبح بعض رواده كتّاب دولة في الحكومة أمثال الأمين خان[15].

وبالعودة إلى الولاية الثانية [16](المنطقة الثانية قبل مؤتمر الصومام 1956)، فإنّ الطب الميداني في بداية الثورة في الشمال القسنطيني، على غرار المناطق الأخرى، يكاد يتلخص في التدخلات الاستعجالية التي يقوم بها عدد محدود من الممرضين الذين يتواجد أكثرهم رفقة الوحدات العاملة مباشرة مع العناصر القيادية – حسب الدكتور محمد التومي-[17]، ويؤكد ذلك الدكتور لمين خان الذي أشار إلى أنه عندما التحق بالثورة في صيف 1956 بالشمال القسنطيني لم يكن هناك على الإطلاق نظام صحي، وأنه لما وصل إليها شرع في تقديم العلاج في شكله البسيط[18]، و في ذلك دلالة على الظروف الصعبة التي نشأ فيها هذا الجهاز الحسّاس.

إلاّ أنه وبعد فترة بدأ القطاع الصحّي ينمو أسوة بالقطاعات الأخرى[19]، وعرف في هذا الصدد طفرة حقيقية غداة إضراب 19 ماي 1956 والتحاق عدد من الطلبة والكثير من الثانويين خاصة بصفوف جيش التحرير الوطني[20]، حيث كان وقتها زيغود وأعضاء وفد الولاية الثانية في "بوالزعرور" يستعدون للتوجه إلى مؤتمر الصومام، وكان من أبرز الملتحقين المتطوعين من طلبة جامعة الجزائر، الأمين خان(طب)، علاوة بن بعطوش(حقوق)، الطيب فرحات(رياضيات)، الطيب بن مهيدي، بابا أحمد عبد الكريم، فاتخذ قرار الاستفادة من خبرتهم وقدراتهم، فكلف بن بعطوش بالشؤون الادارية ، والأمين خان بتنظيم الخلايا الأولى التأسيسية لمراكز طبية عبر تراب المنطقة[21]. وبالتالي فإنّ إرساء النواة الأولى للنظام الصحي في الولاية الثانية، في اعتقادي، يعود الفضل فيها للدكتور لمين خان[22] الذي التحق بالثورة رفقة علاوة بن بعطوش عن طريق قسنطينة في بداية الأسبوع الأول من شهر جوان 1956، إذ سرعان ما شرع في اتخاذ الإجراءات الأولى لوضع أسس النظام الصحي بها بعد تكليفه من طرف قيادة الولاية، في ظل انعدام الإمكانيات البشرية والوسائل المادية، لذلك كانت أول خطوة هي الشروع في تكوين العنصر البشري الذي يعدّ أساس العملية، ولتنفيذ ذلك قام لمين خان بـ:

- رصد الشباب الذين يحسنون القراءة والكتابة باللغة الفرنسية.
- تحديد الأفراد الذين سيوجهون لفترة تدريبية في ميدان التمريض.
- الشروع في عملية التدريب بنفس المعلومات والتدريبات التي تلقاها الطلبة في الجامعات حتى تتكون لديهم الثقة والفعالية[23].

وبعد أسابيع قليلة من الشروع في التدريبات في مجال التمريض، تمّ التوصل إلى تكوين عدد من الشباب يمتازون بالنشاط والحيوية، مما أدّى إلى تغلغل عامل نفسي هام لدى كل مجاهد أو مواطن من أنّ أحدهم إذا ما أصيب فإنّ لديه من يعالجه[24]، أي أنّ وجود الطبيب معهم يعني ضمان العلاج وتقديم المساعدة، خصوصا وأنّ المرضى المصابين كانوا يحوّلون إثر العمليات الحربية إلى المدن لتلقي العلاج رغم ما في ذلك من خطورة على أمنهم، وارتفعت المعنويات في المدن والجبال.

وإثر مؤتمر الصومام 1956، تمّ ضبط القطاع الصحي بصفة أساسية، على غرار بقية الأنظمة الأخرى بالتوازي مع هيكلة نظام الولاية الجديد، فأقيمت الهياكل وحددت المسؤوليات[25]، وصدر منشور تأسيسي في 9 ديسمبر 1956 عن الدكتور لمين خان ورفاقه أدى إلى قيام منظومة صحية متكاملة[26] ترتكز على أسلوب علمي، ومصنّف في تسع (9) نقاط هي:1- تنظيم مراكز العلاج، 2- شروط القبول، 3-هيئة المركز، 4-التنظيم المادي، 5-الطاعة، 6- الأمن، 7- المرتبات، 8- رخص الطاعة، 9- الأدوية[27].

وبالتالي فإنّه يمكن تمييز مرحلتين كبيرتين مرّ بهما تطور القطاع الصحي بالولاية الثانية، الأولى مابين 1954 و1956، وهي الأصعب حيث عرف خلالها نقص فادح على مستوى الإطارات والأدوية، والمرحلة الثانية منذ 1956وإلى غاية 1962[28]، أين أصبح النظام الصحي يرتكز على أسلوب علمي[29]، رغم أنّ العنصر البشري المؤهل والمؤطر بقي يطرح نفسه وبحدّة وإلحاح بعد توسّع القطاع إثر مؤتمر الصومام من جهة، وبسبب زيادة نشاط العدو بالولاية، من جهة ثانية[30].

واعتبارا لذلك أصبح مسؤول جهاز الصحة على مستوى الولاية برتبة ضابط أول (ملازم أول)، وعضوا في مجلس الولاية[31]، وكان له نفوذ كبير، حيث أنّ أوامره تحترم وتطبق حتّى على المسؤولين الأعلى منه[32].

ونجد الوحدة الأساسية للمنظومة الصحية على مستوى القسم يديرها ممرض أو ممرضة برتبة رقيب أول، وللوحدة من يمثلها بحجم أكبر على مستوى الناحية والمنطقة[33]، وكان المسؤول الصحي للقسمة مسؤولا عن مستشفى فيه ممرضون وممرضات، وتحت مسؤوليته كذلك متربصون وممرضون متنقلون يجوبون القسمة، مهمتهم إسعاف المجاهدين والمدنيين والسهر على التطبيق الصارم لتعليمات النظافة والوقاية في مراكز الجيش وبين المدنيين، بالإضافة إلى أنّه في اتصال مباشر مع المرشدات اللائي يضطلعن بالنواحي الصحية والاجتماعية والسياسية، كما كانت من مهامه أيضا إعداد تقرير شهري من ثلاث نسخ تتضمن جميع نشاطاته يحتفظ بنسخة ويبعث بالثانية إلى لجنة القسمة والثالثة إلى المسؤول الصحي للناحية، وبعد أن يجمع هذا الأخير كل التقارير الواردة من مختلف القسمات يعدّ تقريرا ملخصا يوجهه إلى لجنة الناحية ومسؤول المنطقة الذي يعدّ تقريرا بدوره ملخصا لجميع تقارير النواحي ويرسله إلى قيادة المنطقة وإلى المسؤول الصحّي للولاية، ومن كل هذا يحرّر تقريرا كل ثلاثة أشهر يقدم إلى لجنة الولاية.[34]

ونظرا لحاجة المنظومة الصحية المتزايدة لعناصر السلك شبه الطبي، أسست الولاية ابتداء من سنة 1959 مدرستين للتكوين بكل من أولاد مسعودة (المنطقة الأولى)، وأولاد عطية (المنطقة الثالثة)، والطريف أنّ مصالح الشرطة القضائية بسكيكدة علمت بهذا الإنجاز متأخرا عندما أشارت إليه في تقريرها خلال السداسي الثاني من نفس السنة مؤكدة تخرج دفعة من نحو 20 متربصا[35].

وعلى ذكر المرأة، فإنّها كانت في الموعد، حيث كانت مناضلة ومجاهدة وفدائية ومسبّلة، وكانت ممرضة ومرشدة اجتماعية، فمع بداية 1956 بدأت الطالبات والمعلمات يلتحقن بالجبال قادمات من المدن، وتكاثر عددهنّ بعد إضراب 1956، وعندما استحدث قطاع الصحة ألحقن به وأصبح بعضهنّ مسؤولات في الميدان، نذكر من بينهنّ مسيكة زيزة[36]، مريم بوعتورة[37]، ليلى موساوي[38]،

جميلة عمران[39]، وغيرهنّ كثير في باقي الولايات، وفي الولاية الثانية التي أحصى فيها الدكتور محمد التومي ما بين 300 إلى 500 بنت كانت ضمن المرشدات اللواتي يمارسّن الطب والتوعية السياسية في أوساط المواطنين[40].

ولإقامة ونشر الشبكة الصحّية عبر كامل الولاية لابدّ من من حلّ مشكل الإطارات، وذلك بالتكوين، وهو الذي بدأ التفكير فيه منذ 1958[41]، وهي السنة التي عرفت عملية التحاق الشباب الجزائري بصفوف الثورة قفزة نوعية، وأصبح بغير الإمكان توفير الرعاية الصحّية للأعداد الهائلة من الجنود، فشرع في تكثيف عملية التكوين لتوفير أعدادا أخرى من الممرضين والممرضات[42]، يبدءون بتربص نظري لمدّة ثلاثة (3)أشهر، متبوعا بتربص تطبيقي لمدّة ستّة (6) أشهر[43]، ثمّ يتم توزيعهم على المراكز الصحّية المنتشرة عبر تراب الولاية، في حين عيّن لكل فرقة من فرق جيش التحرير ممرض خاص أطلق عليه ممرض الفرقة مزدوج المهمّة، يقاتل ويعالج.

غير أنّ عملية التكوين اصطدمت بمشكل نقص العدد الكافي من الشباب والشابات الذين يحسنون القراءة والكتابة بالفرنسية، وحتّى وإن وجد فإنّ الاستعداد والرغبة في تعلّم مهنة التمريض غائبة لديهم لاعتقادهم أنّ الصعود للجبل هو حمل السلاح لقتال العدو، وأنّ التمريض خاص بالفتيات، وحتّى الشباب القادم من المدن الذي يحسن القراءة والكتابة لم يستطع التأقلم مع الحياة الجديدة فأعيدوا إلى المدن لمواصلة النضال فيها.أمّا من وجدت لديه الرغبة والقدرة على تحمّل مشاق الحياة، فقد حوّلوا نحو ميدان التمريض وتلقّوا تدريبا تأهيليا ثمّ وجّهوا للميدان حيث قدّموا خدمات للثورة[44].

وأمام نقص العدد المطلوب فسح المجال للمعربين، حيث كانت الدروس تترجم إليهم باللّغة الوطنية[45]، ولتسهيل الأمر ألّف كتيّبا باللّغة العربية خاصا بمهنة التمريض سمّي (دليل المجاهد للإسعاف المستعجل)، كان قد ساعد في انجازه عبد المجيد كحل الرأس، ولخضر وزاني.

وفي سنة 1961أنشأت مجلة طبّية، صادرة عن الولاية تناولت بعض المعلومات الطبية حول بعض الأمراض الشائعة (كمرض السلّ) في ذلك الوقت وطريقة

تشخيصها وكيفية علاجها بوسائل عصرية بهدف رفع وتحسين المستوى التقني للمسؤولين[46].

وما إن حلّ شهر ماي من سنة 1958، يذكر علي كافي، حتّى أصبحت وضعية القطاع الصحي بالولاية الثانية على النحو التالي: 89 ممرضا وممرضة موزعين عبر مناطق الولاية الأربع، من بينهم 7 مسؤولي صحّة، و52 منهم تابعين للمراكز، و37 منهم تابعين للفرق العسكرية.[47]

وتكملة للعمل الصحي عبر الولاية الثانية فقد تمّ إنشاء المراكز الصحية التي برزت فكرتها نتيجة تطور الحرب وكثرة الإصابات بين جنود جيش التحرير الوطني، الأمر الذي يستدعي جعل هؤلاء الجنود في أماكن خاصّة حتّى يسهل علاجهم ومتابعة هذا العلاج، وأخذت فكرة إنشاء المراكز الصحية تعرف تطورا من حيث الكم والهيكل بتطور الثورة وشموليتها، وصلت إلى 25 مركز بها 390 سرير سنة 1958، بمعدل إسعاف مابين 200و250 شخص يوميا[48]، في حين يحصي لمين خان 22 مركزا بـ450إلى 500 سرير، وكان المركز الأول أنشئ في منزل أحد المواطنين بجبال القل في أواخر صيف 1956،وهو عبارة عن كوخ (قربي) وضع فيه من كانت إصاباتهم خطيرة لتقدّم إليهم الإسعافات وتغيير الضمادات[49].

ويقام المستشفى النموذجي في مكان آمن نسبيا قريبا من منبع ماء في غابة، وأحيانا ضمن الشعب في مكان آمن في قلب الدوّار، ففي الأراضي السهلة كانت المراكز تنشأ على شكل مخابئ (خنادق) تحت الأرض، وأمّا في الجبال فكانت عبارة عن غار تحت كومة غابة كثيفة، وقد وجد هذا النوع الأخير بالخصوص في منطقة عزّابة.

يتكون المركز الصحي في الولاية الثانية عادة من عدّة (قرابى)، أكبرها يخصص للمرضى والجرحى ينامون على (حصر)، وأخرى للفحص ومكتب للطبيب، وثالثة تتخذ مطبخا، وهي على قسمين، قسم للنساء لإعداد الخبز، والثاني للطبّاخ ومساعديه، ورابعة للمجاهدين المستخدمين، والأخرى للحراسة تضم حوالي 12 جنديا مسلحين تسليحا جيّدا، وكثيرا ما ينضمّ إليهم – عندما تقع

المعركة–المرضى الذين هم في صحّة مناسبة، وقد وضع لتصميم بناء تلك المراكز وفق نموذج محدد حتى تكون على شكل عصري نسبيا من حيث الأبواب والنوافذ، كما حاولت الثورة أن توفر لها الأسرّة حتى لا يترك المريض ينام على الأرض مباشرة.

و كانت التعليمات صارمة في مسألة العلاج، حيث لا يسمح للمريض العلاج في مستشفى قسمة أخرى إلاّ إذا اتفق على تحويله مسؤول الصحة بالقسمة مع زميله في الناحية، وقد كان الجندي المريض أو المدني يعالجه ممرض الذي يحكم على صحته، وقد يحوله إلى أقرب مركز مصحوبا بسلاحه، فيفحصه مسؤول الصحة بالقسمة الذي يتخذ قرارا بشأنه إمّا إبقائه هناك أو تحويله إلى وحدته مصحوبا بالأدوية، في حين يحوّل المرضى الذين تتطلب حالتهم نقاهة إلى مركز خاص[50].وقد تعترض هذه العملية ''بيروقراطية'' على حدّ تعبير الدكتور محمد التومي، عندما يلقى طلب تحويل المريض رفضا، وأدرج في ذلك مثالا عن جندي أصيب بمرض في عينه في ديسمبر من سنة 1961 وتطلب الأمر بقائه (الإقامة) في المستشفى الذي عالج فيه سابقا فرفض مسؤول المستشفى ذلك الأمر بحجة ضيق المكان، وإثارة الشبهة بكثرة الحركة حول المستشفى[51].

وتتبع المستشفى مخابئ عديدة إحداها للأدوية وأخرى للتموين، وثالثة لحماية مريض أو أكثر لا يستطيعون الحراك، وذلك في حالات الإنذار، ومقر المخبأ الأخير يكون في سرّية تامّة، وأحيانا يكون بعيدا عن مركز العلاج بكيلومترات، وله حارس خاص به، وتخصّص له أدوية وغذاء إضافيين تحسبا لمعركة أ و انسحاب، وكان يشار، ولأسباب أمنية، لمختلف المراكز الصحية بملاحظة تتضمن ثلاثة أرقام، مثلا يقال المستشفى رقم 123 معناه ذلك المستشفى التابع للقسمة رقم3، الناحية2، المنطقة1[52]، ويذكر الدكتور لمين خان أنّ العدو لم يستطع ولو مرّة واحدة أن يصل إلى أيّ مركز صحّي ويلقي القبض على المجاهدين، وهذا يعود إلى قدرة المشرفين عليه وإلى التفاف الشعب حول الثورة الذي كان يتولى أمر المرضى المجروحين ويتكفل بهم من حيث العلاج والغذاء وضمان أمنهم وراحتهم[53].

فأغلب الاشتباكات التي يخوضها جيش التحرير الوطني مع جنود الاحتلال تخلّف شهداء وجرحى، وهذا الأخير يصعب أحيانا علاجه في الوقت المناسب، وقد يفقد الجريح وعيه، فيلجأ رفاقه إلى تجريده من سلاحه ويتركونه في مخبأ باعتباره شهيدان وقد يستطيع هذا الجريح بعد صحوته أن يلتحق بوحدته بمساعدة الشعب، أو يعثر عليه رفاقه عند عودتهم خصيصا لدفنه[54].

وكانتّ أول حقنة قدمت لجيش التحرير الوطني في صيف 1956من طرف لمين خان، للمجاهد مسعود بوجريو المدعو (القسنطيني)، تمثلت في حقنة مقوية جرّاء الإعياء الذي أصيب به، فاستطاع إثرها أن يستعيد جزءا من قواه ومواصلة السير كقائد لفرقته. كما أنّه كان للمدنيين نصيب من العلاج على يد الدكتور نفسه، الذي استقبل في أحد الأيّام مواطنا مصابا بشظيّة في فخذه فقام بتقديم العلاج له في (قربي) على ضوء شمعة، حيث امتثل بعدها المواطن للشفاء.

واعتبرت سنة 1957 هي الأخرى سنة تحوّل هامة في في قطاع الصحّة بالولاية الثانية، الذي عرف تطور واتساع مجالاته وامتدت خدماته لتشمل مختلف أنحاء الولاية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى بسبب التحاق بعض الممرضين والأطبّاء بالميدان الصحّي الثوري أمثال عمر مكيشات، والدكتور محمد التومي المختص في أمراض القلب، والذي أسندت له مهمة التكوين في مجال التمريض لمواجهة التحديات الجديدة في الميدان.فبالتحاقه – حسب رفيقه لمين خان- تمّ علاج حالات مستعصية منها ما تعلّق بالأمراض الباطنية، وحدثت قفزة نوعية في الخدمات الصحّية.

وبالرغم من رمزية العلاج إلاّ أنّ تأثيره وفعاليته كانت أقوى وأنجع، ففي أحد أيام سنة 1958، والشهادة للمين خان- يقول بأنهم وبعد قنبلة جوّية عنيفة لإحدى قرى الولاية الثانية استقبلوا طفلا لا يتجاوز الـ12 سنة ويده مبتورة من المفصل فقاموا بنزع ما تبقى من يد ذلك الطفل بواسطة شفرة حلاقة، ورقّعت له الجروح بالخيط والإبرة العادية، ووضعت له أدوية خفيفة منها (السلفامين)، وفي إشارة لصعوبة المهمة الصحية خلال الثورة يذكر لمين خان إلى أنّ بعض أفراد الشعب لم يمتثلوا لإرشادات الثورة بتجنّب كل ما يتركه العدو، وهو ما حدث مع

ذلك الطفل الذي كان يلعب بقذيفة مدفعية فانفجرت وقطّعت له يده من المفصل[55].

وفي خضم تأدية مهامهم استشهد العديد من الممرضين والممرضات، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، الشهيدة مسيكة زيزة التي سقطت في ساحة القتال سنة 1959 وهي تحاول إجلاء الجرحى والمرضى والعتاد والتموين من المخبأ ونقلم إلى مكان آمن إثر قنبلة جوّية لطيران العدو[56].

كما تعرّض بعض الممرضات لصعوبات ومضايقات أثناء آداء مهامهم وصلت إلى حدّ التهديد بالقتل من طرف بعض المجاهدين أنفسهم، حيث تذكر الممرضة جميلة عمران أنّها تعرضت للتهديد بالقتل من طرف جندي مصاب كان وقتها الأمر يستلزم بتر يده، ولم تنجز العملية إلاّ بعد تدخل قائد الولاية الثانية وقتها صالح بوبنيدر (المدعو صوت العرب) الذي أقنعه بضرورة الامتثال للممرضة، وقد اعترف الجندي (الذي بقي على قيد الحياة إلى ما بعد الاستقلال) بخطئه فيما بعد[57].

إنّ وجود المرأة وحضورها خلال الثورة بالولاية الثانية أدّى إلى تجاوز بعض العراقيل في ميدان الصحة، كعلاج النساء وتقديم الإسعافات لهنّ خصوصا إذا تعلّقت الإصابة بمكان حسّاس في جسمها، كتلك الفتاة التي أصيبت في بطنها بشظية قنبلة في أحد أيام سنة 1957 أو1958 ، فتكفلت مسيكة زيزة بتنظيف مكان الإصابة وخاطته بالإبرة والخيط العادي، حسب رواية للدكتور محمد التومي.لكن إذا اقتضى الأمر فإنّ العلاج يتم بواسطة الطبيب نفسه، مثلما حدث لإحدى المجاهدات التي أصيبت في فخذها في إحدى كمائن العدو سنة 1960 بنواحي بني صبيح، فقام الدكتور محمد التومي الذي لم يكن يحمل معه سوى مسحوق (الميكروكروم) والإبرة والخيط، فقام بتعقيم هذين الأخيرين بعد وضعهما في الماء المخلط بالمسحوق المذكور سابقا، ونظّف مكان الإصابة وقام بخياطة الجرح في عملية استغرقت حوالي ساعتين فقط من الزمن[58].

وبذلك تكون المنظومة الصحّية خلال الثورة بالولاية الثانية قد ساعدت المرأة الجزائرية على تخطي كابوس الفحص عند الطبيب الفرنسي (الرومي)، واحترام

القيم الدينية والأخلاقية والعادات والتقاليد، إذ من المعروف أنّ المرأة الجزائرية من غير المقبول أبدا أن تكشف عن جسمها أمام الطبيب، كما أنّ زوجها لم يكن يهضم أبدا أن يترك زوجته في خلوة مع طبيب وهو خارج القاعة، فجاءت الثورة فخلّصتها نهائيا من هذه العقدة وعقد أخرى[59].

ولم تمنع الأوضاع الاستثنائية السائدة في الجبال، الدكتور محمد التومي، من محاولة الاجتهاد في معالجة الجروح بتجربة الأشرطة اللاصقة بدل الماسكات التقليدية، وكذلك الاجتهاد في اكتشاف بعض الأمراض الناتجة عن الأوضاع الخاصة التي يعيشها الثوار كالأمراض التنفسية والوظيفية في نفس الوقت على غرار مرض المخابئ بسبب امتداد العزلة والصمت وضعف تمثّل الأغذية، فضلا عن نقص التعرّض للشمس، ومرض التقليد الحركي اللاإرادي، وفقدان الصوت مؤقتا[60].

وفي الواقع فإنّ الاعتماد على العلاج التقليدي خلال الثورة كان ضرورة حتمية، قد فرض نفسه بإلحاح نظرا لنقص الأدوية وصعوبة الحصول عليها، فكانت الاستعانة بالثوم والعسل لعلاج الأمراض الصدرية، وزيت الزيتون كمقويات ودهن للجروح وخاصة في حالات الحريق. لأنّ مسألة الحصول على الأدوية كان من أبرز الصعوبات التي كانت تواجه النظام الصحي خلال الثورة، فلم يسجل ولو مرّة واحدة، حسب لمين خان، أن كان دواء ضمن قوافل السلاح الآتية من تونس، بل يتهم جماعة الخارج بالتقصير، وقد تفاقمت المعاناة خصوصا بعد إنشاء العدو لخطي شال وموريس منذ سنة 1958، بل أنّ محاولات مسؤولي القطاع الصحي بالولاية الثانية وأخص بالذكر الدكتور محمد التومي منذ 1959 لإيجاد تعاون وتنسيق الجهود بين الولايات في المجال الطبي باءت بالفشل بسبب ظروف الثورة، ولم يذكر أن حدث تعاون منتظم إلاّ في حالات دخول جنود إحدى الولايات تراب الولاية الثانية، أو عبور قوافل السلاح من وإلى تونس، فإنه تقدم لهم المساعدات.

فكان إذا الاعتماد على النفس وعلى الإمكانيات الخاصة لتوفير الأدوية المطلوبة من خلال شرائها بواسطة المناضلين من الصيدليات في المدن، أو تسريبها من

المستشفيات الفرنسية في المدن الجزائرية، مثلما قام به الدكتور عبد الحفيظ بوجمعة من الطاهير.وقد كلّف ذات مرّة الأمين خان من طرف علي كافي للبحث عن الدواء في الصيدليات التونسية – إثر ورود برقية من الولاية الثانية لكافي تعلمه بظهور مرض معد في مستشفيات قرباز– لكنه لم يجد الكمية المطلوبة فبعثه إلى ألمانيا ورجع بالكمية وسلمها للملازم اليزيد بن يزار لنقلها للولاية[61]، وقد كان ذلك في حدود سنتي 1959 و1960.

كما يجدر بنا الأمر هنا إلى التنويه بدور الأطباء الفرنسيين الأحرار المتعاطفين مع الثورة في دعم القطاع الصحي[62]، وغيرهم من أحرار العالم الذين أبدوا تعاطفا وتأييدا إنسانيا للثورة، ويعود الفضل في ذلك إلى عدالة القضية الجزائرية من جهة، وإلى دور الهلال الأحمر الجزائري في إيصال صوت الجزائريين لأقطار العالم ونقل معاناتهم، وكسب تأييد الهيئات الإنسانية عبر العالم.[63]

ومن منطلق الاعتماد على النفس كان لابدّ تكوين الجندي الصيدلي، فأنشأ على مستوى تراب الولاية الثانية فرعا للصيدلة، عيّن عليه أفراد صيادلة بهدف تسهيل مهمة جلب وخزن وتوزيع الأدوية على مختلف مناطق الولاية، فكان الجندي الصيدلي على مستوى الناحية الذي عن طريقه تحوّل الأدوية إلى ألأقسام، وإلى مخزن الولاية أيضا، وكذلك على مستوى المنطقة هناك شخص آخر يدعى صيدلي المنطقة يتولى مهمة تزويد المناطق بالأدوية، ويتم كل ذلك تحت إشراف مسؤول الصحّة على مستوى الولاية الثانية.

وبهذا الأسلوب تمّ التمكن من توفير الدواء والعلاج الضروريين للجيش والمواطنين خصوصا في المناطق المحرّمة، وهو ما يدلّ على قوة التنظيم لقطاع الصحة وشبكات جلب الأدوية التي أقامتها الثورة في الولاية الثانية[64].

لكن يبقى مبدأ الوقاية أو (الدفاع السلبي كما يصفه الدكتور محمد التومي) في طليعة الاهتمامات، حيث كانت تطبّق صرامة كبيرة بشأنها سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، فكان على الجندي أن يمتثل إجباريا للتعليمات التالية:الحلق اليومي للّحية وشعر الرأس، وتقليم الأظافر، ونظافة اللباس، وتفلية القمل، وغسل اليدين والأسنان قبل الأكل وبعده، وخلط الماء بالجافيل أو مسحوق الصوديوم(

من قطرة إلى قطرتين في لتر واحد من الماء) تفاديا للعلق، ومنع البصاق واستعمال البهارات في الأكل خوفا من الإسهال، وفرض النظام في المطاعم الجماعية ومعابر النوم، وضمان توازن الأكل كمّا ونوعا، وغيرها من الإرشادات الصحية[65]. كما كانت هناك حملات للتلقيح لجنود جيش التحرير ومواطني المناطق المحرّمة لأنّ الإمكانيات بسيطة والأدوية المتاحة هي '' سلفاميد'' والقليل من '' البينيسيلين'' و '' الأميكروكروم'' و الضمادات، والوسائل هي أمواس الحلاقة والإبر والخيط العادي.

ففي سنة 1957 انتشر مرض الزكام الحاد(الأنفلونزا) بين المجاهدين على مستوى الولاية الثانية وحتى بين الجيوش الفرنسية، فتمّ الالتجاء أمام نقص الدواء إلى خلط الثوم المشوي بالعسل الحر وتقديمه للجنود الذين تماثلوا للشفاء ماعدا تسجيل حالتي وفاة على الأكثر بالولاية الثانية.

وما يجب الإشارة إليه هو انتشار القمل وحشرة العلقة، فلمواجهة الظاهرة الأولى تمّت الاستعانة بمادة (نيوسيداد) من المدن بدل مادّة (د.ت.ت)، وكانت النتيجة ناجعة، فصدرت تعليمة بضرورة تعميم استعماله على مستوى جميع الفرق والمراكز.أمّا المشكل الثاني الذي تسبب في وفاة جنديين على الأقل جرّاء انتفاخ البلعوم(الحلق) بسبب وجود حشرة في ماء الشرب من الينابيع، فتلتصق وتنتفخ بمرور الوقت، الأمر الذي يجعل عملية التنفس تقل تدريجيا إلى أن يختنق ويموت، فتمّ الاهتداء وقتها إلى حلّ يتمثل في وضع ما مقداره ملعقة جافيل في لتر واحد من الماء ثمّ غيّرت المقادير بنسب معلومة، وكانت النتيجة مبهرة، فأرسلت تعليمة لجميع المراكز الصحّية توضح كيفية وضرورة الاستخدام، كما ألزم قادة الفرق بحمل ماء الجافيل معهم على سبيل الاحتياط[66].

إلاّ أنّه ورغم المصاعب والمتاعب وقلّة الإمكانيات ومباغتة العدو لمراكز العلاج فقد أثبت الطبيب والممرض الجزائري أثناء الثورة جدارته وتصميمه على تحقيق النصر.

خاتمة:

إنّ الخلاصة التي يمكن أن ننتهي إليها هي أنّ هجومات 20 أوت 1955 قد أفضت إلى تحوّلات عميقة في الشمال القسنطيني على جميع المستويات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، الأمر الذي تطلب إرساء تنظيم سياسي وإداري وعسكري للتحكم في ذلك الزخم الثوري الذي عرفته المنطقة، فكانت المجالس الشعبية نواة ذلك التنظيم، ليعمم بعد ذلك على جميع القطاعات الأخرى، وبالتالي كان ذلك تكريسا للقطيعة مع مؤسسات وهياكل الاستعمار، وتجسيدا لبيان أول نوفمبر 54، وتمهيدا لبناء الدولة الجزائرية واسترجاع السادة الوطنية.

ولعلّ أنّ النظام الصحي بالولاية الثاني قد ساهم من دون شك في إرساء النواة الأولى للجهاز الصحي الوطني، وبالتالي ركيزة من ركائز الدولة الجزائرية.

فالقطاع الصحّي بالولاية الثانية خلال الثورة التحريرية قد عرف تطورا ملحوظا، ومرّ بعدّة مراحل من حيث التكوين والوقاية وإقامة المراكز الصحّية وتوفير الأدوية والعلاج رغم الصعوبات والمشاكل التي اعترضنه على مستوى نقص الإمكانيات المادية والبشرية، لكنه حقق نتائج علمية ومعنوية باهرة.

والملفت للانتباه هو أنّ النظام الصحي خلال الثورة قد أسس للطب المجاني في الجزائر[67]، بل وأنّ التعريب قد تحقق في ميدان الطب خلال الثورة التحريرية عندما أنشئت المجلّة الطبّية باللّغة العربية من 22 صفحة، وتمّ الاتفاق على مجموعة من المصطلحات المستعملة في الميدان، وهو مكسب هام للثورة في مجال استعادة اللّغة الوطنية لكن تلك المجهودات ذهبت هباء منثورا بعد الاستقلال[68]. والحفاظ على الهوية الوطنية من عادات وتقاليد كان من أهداف المنظومة الصحية، حيث أصبحت المرأة الجزائرية في غنى عن الفحص عند الطبيب الفرنسي خاصة في الأرياف والكشف عن جسمها أمام طبيب أجنبي، كما أنّ زوجها لم يكن يهضم أبدا أن يترك زوجته في خلوة مع الطبيب وهو خارج غرفة العلاج، فجاءت الثورة وخلّصتها من هذه العقدة وعقد أخرى.

كما ينبغي الإشارة إلى أنّ الاحتلال الفرنسي حارب المنظومة الصحّية خلال الثورة بحرمان الجزائريين من الدواء والعلاج، بل تعدّاه إلى نشر ذلك (الخطر المزمن) الذي يؤسس لانتشار الأمراض المستعصية بين الجزائريين عندما لجأ إلى تفجير القنابل النووية في الجنوب الجزائري، حيث ظهرت أمراض كانت مجهولة لدينا مثل مرض سرطان الجلد، والعيون، والإجهاض والعقم، والنزيف ووفيات الأطفال، والإعاقات والتشوهات الخلقية[69].

ولم تتوقف عند هذا الحدّ بل جعلت الوثائق والتقارير الطبّية وكل ما تعلّق بالجانب الصحي بالجزائر خلال الحقبة الاستعمارية رهينة قوانين الدولة الفرنسية المتعلقة بالأرشيف، حيث لا يمكن الإطلاع عليها إلاّ بعد مرور مائة وسبعون (170) سنة من أرشفتها، فتصبح بذلك فاقدة لحيويتها في توكيد أو كشف الحقيقة[70].

و في الأخير نترحم على كل شهداء الثورة بصفة عامة ورواد القطاع الصحي بصفة خاصة سواء على مستوى الولاية الثانية أو باقي الولايات التاريخية، جزائريين كانوا أو أجانب، الذين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الدكتور فرانز فانون الذي ترك وصية مكتوبة لدفنه بالتراب الجزائري وهو ما تمّ فعلا على مستوى مقبرة سيفانة بسيدي طراد، ثمّ نقل في الإستقلال سنة 1965 إلى مقبرة عين الكرمة بالطارف[71].

الهوامش:

[1]- الهادي أحمد درواز، من تراث الولاية السادسة التاريخية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص،ص، ص،29، 33، 35.

[2]- تمثل المنطقة الثانية 11% من المساحة الإجمالية للشمال الجزائري، ويقطن بها حوالي 18% من السكان، ويستقر بها 15,84% من المجاهدين، وحتى أغلب القادة العسكريين الميدانيين للثورة هم من منطقة الشمال القسنطيني، والذين قادوا المنطقة أو الولاية الثانية (بعد ديدوش) هم من أبناء المنطقة، ينظر، أ.توفيق برنو، 20 أوت 1955 الثورة الثانية، الملتقى الدولي السادس حول هجومات 20 أوت 1955، أحداث 20 أوت 1955، الدلالات، الأبعاد والتداعيات،

الملتقى الدولي السادس حول ثورة التحرير الجزائرية، 25، 26 أكتوبر 2011، جامعة سكيكدة ، ص42.

[3]- علي كافي،مذكرات الرئيس علي كافي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962،ط2، منقحة ومزيّدة، دار القصبة للنشر 2011، ص92

[4] -ليلى تيته، دراسة تحليلية لبعض الوثائق الفرنسية بخصوص حوادث 20 أوت 1955، المرجع السابق، ص79.

[5]- علي كافي، المصدر السابق، ص، ص، 202، 193.

[6]-عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة،ج2،ط1، دار البعث، قسنطينة، 1991، ص278.

[7]- علي كافي، المصدر السابق، ص193.

[8]- العكروت خميلي، جامعة الجزائر بين الأهداف الاستعمارية وتكوين الطلبة المسلمين الجزائريين 1909-1956، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2008-2009، ص102.

[9]-للمزيد ينظر، فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، تصدير الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، منشورات موفم، الرغاية، 2000.

[10]-تعدّ عائلات إبن جعبوب (من دوار بني يفتح بالميلية من الولاية الثانية)، وبريهمي(من دوار أولاد قاسم)، والحاج بدر(من قرية بودوكة) من الذين قدموا خدمات جليلة وهامة للثورة في مجال تجبير الكسور، ينظر، عمار قليل، المصدر السابق، ص279.

[11]-. شميسة خلوي، القطاع الصحّي أيّام الثورة التحريرية الجزائرية،أنظر الموقع : www.alukah.net/culture.com

[12]- يوسف قاسمي، مواثيق الثورة الجزائرية 1954-1962، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، 2004-2005، جامعة باتنة، ص124.

[13]-آثار الدكتور يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع والعشرين، من وثائق جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، 1-2، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص12.

[14]-أزغيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1989، ص266.

[15]-بن يوسف بن خدّة، نهاية حرب التحرير في الجزائر، اتفاقيات إيفيان، تعريب لحسن زغدار، محل العين جبائلي، مراجعة، عبد الحكيم بن الشيخ الحسين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ص..ص53،52،51.

[16]-وهي منطقة الشمال القسنطيني، حدودها من الشمال من القالة إلى سوق الإثنين ومن الجنوب سطيف، طريق الجزائر قسنطينة إلى القرزي، ثمّ تمتد حتى الحدود التونسية مارة بسيقوس، وسدراتة، ومداوروش، ومن الناحية الغربية سطيف، خراطة، سوق الإثنين...، ...ومن الناحية الشرقية الحدود التونسية، وبذلك تدخل في حوزتها جبال القل، إيدوغ، جزء من سلسلة جبال البابور، كما تضم المدن التالية: قسنطينة، عنابة، سكيكدة، جيجل ، قالمة، سوق اهراس، ميلة، دون أن ننسى أن نشير إلى أنّه ومنذ نهاية 1956 ظهرت القاعدة الشرقية التي كانت تتقاسمها وتتنازع عليها الولايتين 1و2، وقسمت المنطقة الثانية عشية اندلا ع الثورة إلى أربع نواحي هي على الترتيب(ناحية ميلة، ناحية السمندو، ناحية عنّابة، ناحية سوق أهراس) ستصبح مناطق إثر مؤتمر الصومام 1956، وتضاف منطقة خامسة هي قسنطينة المدينة منذ 1959 وحول ذلك ينظر، أزغيدي محمد لحسن، المرجع السابق ص263.ومحمد قويسم، هجومات 20 أوت1955 بجهة الحروش خلال الثورة التحريرية الكبرى، الملتقى الدولي السادس حول هجومات 20 أوت 1955، المرجع السابق، ص62، وشهادة المجاهد

محمد الصغير حمروشي، لقاء شخصي معه يوم 31 ماي 2010 بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة.

وكـــــــذلك -MOHAMMED GUENTARI,ORGANISATIONPOLITICO-ADMINISTRATIVE ET MILITAIRE DE LA Révolution ALGERIENNE DE 1954-1962, VOL1,OPU,ALGER,2002,P8

[17]-محمد عباس، مذكرات محمد التومي، هكذا عبرت خط موريس، جريدة الفجر، كواليس التاريخ، 7 أوت 2012

[18].-عمار قليل، المصدر السابق، ص295

[19]-عرفت الولاية الثانية بأسبقيتها في مجال التنظيم على جميع المستويات تقريبا خصوصا إثر هجومات 20 أوت 1955، حيث اقتبس مؤتمر الصومام سنة 1956 منها بعضها كالمجالس الشعبية التي صودق على وثيقتها حرفيا وطبّقت عبر الولايات الستّ التاريخية، وبفضل التنظيم عرفت كيف تتحاشى التمزقات خلال الثورة، ينظر حول ذلك، دور علاوة بن بعطوش في المجالس الشعبية خلال الثورة من الموقع www.algeria_tody.com

وكذلك، الشعب في بيت مهندس بنود مؤتمر الصومام، يومية الشعب الجزائرية، 19 أوت 2013. وايضا محمد حربي، جبهة التحرير الأسطورة والواقع، ترجمة كميل قيصر داغر، ط1، 1983، دار الكلمة، بيروت، لبنان، ص301.

[20]-محمد عباس، المرجع السابق.

[21]-علي كافي، المصدر السابق، ص202

[22]-ولد في 6 مارس 1931 بالقل بسكيكدة، وبعد أن أتمّ دراسته الثانوية في ثانوية أومال بقسنطينة واصلها في في كلية العاصمة ، إنخرط سنة 1947 في حركة الإنتصار للحريات الديمقرطية، ونشّط فرعها الطلابي، ناضل في صفوف جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، كان من مؤسسي الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، تخلى سنة 1955 عن دراسته في الطب للإلتحاق بالجبال

بمناسبة إضراب الطلبة في ماي 1956 رفقة علاوة بن بعطوش، أصبح برتبة نقيب في الولاية الثانية، اهتم بالمسائل الصحّية، عين سنة 1958 كاتب دولة في الحكومة المؤقتة الأولى، وتولى إدارة ديوان وزارة المالية (1961-1962)، أصبح سنة 1966 وزيرا وأمين عام منظمة منظمة البلدان المصدرة للبترول سنة 1972، ينظر حول ذلك، عاشور شرفي، قاموس الثورة الجزائرية، ترجمة عالم مختار، دار القصبة للنشر، الجزائر 2007، ص157.

[23]-عمار قليل، المصدر السابق، ص296.

[24]-علي كافي، المصدر السابق، ص202.

[25]-عمار قليل، المصدر السابق، ص296.

[26]-محمد عباس، المرجع السابق.

[27]-علي كافي، المصدر السابق، ص209.

[28]-شميسة خلوي، المرجع السابق.

[29]- علي كافي، المصدر السابق، ص202.

[30]-عمار قليل، المصدر السابق، ص297.

[31]-علي كافي، المصدر السابق، ص203

[32]-عمار قليل، المصدر السابق، ص310

[33]- محمد عباس، المرجع السابق.

[34]- علي كافي، المصدر السابق، ص...ص205،204،203.

[35]-محمد عباس، المرجع السابق.

[36]- ولدت مسيكة زيزة واسمها الحقيق سكينة في 28 جانفي 1934 بمروانة بولاية باتنة، تابعت دراساتها الابتدائية في باتنة ثم تنقلت إلى سطيف لمزاولة التعليم المتوسط لتعود مرة أخرى إلى باتنة لمواصلة دراستها الثانوية، أين تحصلت على شهادة البكالوريا سنة 1953.تركت سكينة أرضها الجزائر متجهة نحو جامعة مونبلييه بفرنسا لمتابعة الدراسات العليا رفقة أخيها وإلى غاية 1955.عادت سكينة إلى بلادها بعد هذه المدة وبالتحديد إلى مدينة باتنة أين تعلمت، وقبل وقت قصير من الإضراب الطلابي في عام 1956، غادرت

باتنة إلى سطيف مع زميلتيهامريم بوعتورة وليلى موساوي، حيث انضمت إلى صفوف المجاهدين كممرضة برتبة عريف في منطقة القل (كولو). بواد عطية في دوار أولاد جمعة تحت أوامر عمار بعزيز في المنطقة الثالثة. كما أنها عملت وبنشاط مع عزوز حمروش وعبد القادر بوشريط الذان كانا مسؤولين عن الصحة بالمنطقة الأولى والمنطقة الثانية، تحت أوامر لمين خان من 1956 لى 1958 والدكتور محمد تومي بين 1958 و1962 على التوالي. الشهيدة مسيكة التي عرفت بشجاعتها سقطت شهيدة في في 29 أوت1959. ينظر، علي كافي، المصدر السابق، ص200، و أيضاwww.wikipedia.org.

[37]- ولدت يوم 17 جانفي 1938 بنقاوس بباتنة، وتسمى أيضا يسمينة، عملت كممرضة إلى جانب مسيكة زيزة بالولاية الثانية تحت قيادة لمين خان، استشهدت في 8 جوان 1960 مع رفيها داودي سليمان المدعو حملاوي. ينظر، المرجع نفسه.

[38] -ينظر، ثرية مسعودة، ليلى موساوي تنقل مرحلة من كفاحها خلال ثورة التحرير، جريدة الحوار، 6 جويلية 2009.

[39] -ينظر، _Danièl Djamila Amrane_mine,Des femmes dans la guerre d'algerie, préface de michel perrot, paris,1994.

[40] -عبد المالك بوعريوة، دور المرأة الجزائرية الممرضة في الثورة التحريرية 1954-1962، الملتقى الوطني الخامس حول ثورة التحرير الجزائرية، دور المرأة الجزائرية إبّان الثورة 1954-1962، جامعة سكيكدة 25، 26 أكتوبر 2010، ص7.

[41] -علي كافي، المصدر السابق، ص205.

[42] -عمار قليل، المصدر السابق، ص301

[43] -علي كافي، المصدر السابق، ص205.

[44] - عمار قليل، المصدر السابق، ص301، 302.

[45] – علي كافي، المصدر السابق، ص205.

[46] –عمار قليل، المصدر السابق، ص، ص312، 313.

[47] –علي كافي، المصدر السابق، ص203، و يشير لمين خان إلى وجود أكثر من 90 ممرضا سنة 1959، وهي ما يدلّ على تطور القطاع، ينظر، عمار قليل، المصدر السابق، ص302.

[48] – علي كافي، المصدر السابق، ص203.

[49] –عمار قليل، المصدر السابق، ص،297،302.

[50] –علي كافي، المصدر السابق، ص، ص204، 206.

[51] –محمد عباس، المرجع السابق.

[52] –علي كافي، المصدر السابق، ص، ص206،204.

[53] –عمارقليل، المرجع السابق، ص304

[54] – علي كافي، المصدر السابق، ص207.

[55] – عمار قليل، ص...ص294، 303.

[56] – علي كافي، المصدر السابق، ص200،

[57]–Dannièl Djamila Amrane Mine, op.cit, p59.

[58] –عمار قليل، المصدر السابق، ص،ص، 315، 318.

[59] – علي كافي، المصدر السابق، ص208.

[60] – محمد عباس، المرجع السابق.

[61] – علي كافي، المصدر السابق، ص336.

[62] –عمار قليل، المصدر السابق، ص...ص، 305، 306، 307.

[63] – شميسة خلوي، المرجع السابق، ص3.

[64] – علي كافي، المصدر السابق، ص206. وكذلك، عمار قليل، المصدر السابق، ص312.

[65] –علي كافي، المصدر السابق، ص،ص، 207، 208.

[66] – عمار قليل، المصدر السابق، ص...ص، 309، 310، 311.

[67] –الدكتور محمد التومي، النظام الصحي خلال الثورة أسس للطب المجاني في الجزائر، يومية المواطن الإخبارية، عدد 7 أفريل 2009.

[68] –عمار قليل، المصدر السابق، ص319.

[69] –التجارب النووية الفرنسية في الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2010، ص24.

[70] – نور الدين ثنيو، الأرشيف، الذاكرة وكتابة التاريخ، مجلة الهجرة والرحلة، مخبر الأبحاث الاجتماعية والتاريخية حول حركة الهجرة، العدد2، أفريل 2008، جامعة منتوري، قسنطينة، ص51.

[71] – الشاذلي بن جديد، مذكرات، الجزء الأول، ملامح حياة، 1929–1979، ترجمة عبد العزيز بوباكير، دار القصبة للنشر، 2011، ص168.

تجربة مجلة الدراسات الإنسانية في إبراز البحث العلمي

د. عبد الحكيم حسن إبراهيم سيد أحمد –أستاذ مشارك
كلية الآداب والدراسات الإنسانية–جامعة دنقلا– السودان

Abstract:

Scientific journals is one of the most important means which reflect scientific research activities of research centers and universities in particular , this helps in informing the society about the scientific movement in general.

The human studies journals which is issued by the faculty of Art and Human Studies- University of Dongola is one of the scientific journals that is concerned with publishing researches and studies in different fields of human and social sciences.

This study tries to present the experiment of the Human Studies Journal to see its role in publishing scientific research . Depending on the issues that have been issued up to now so as to evaluate it , statistical study has been carried out to sum out and classify the published researches and state their objective attribute.

The study comes out to many results the most important of them is that the published topics are different.

تعتبر المجلات العلمية من أهم الوسائل المتبعة في نشر النتاج البحثي والأكاديمي للإنسانية جمعاء كما أنها وسيلة لتعريف المجتمع الإنساني بالحركة العلمية ، ومساهمة ومساعدة في تذليل الصعاب التي تواجه المجتمعات البشرية في مختلف جوانبها الحياتية . وتعمل علي خلق مواعين علمية للباحثين في نشر أبحاثهم لأغراض الترقية العلمية. وبالتالي يمكن أن نعرّف المجلة العلمية المحكمة أنها عبارة عن دورية علمية تنشر أحياناً أبحاثاً متخصصة في مجال محدد أو في مجالات علمية متقاربة، بعد أن تقوم بتحكيم هذه الأبحاث من قبل عدد من المتخصصين في نفس المجال، وتعتبر هذه المجلات الأداة الأولى التي يستخدمها الباحثون عادة لنشر آخر ما توصلوا له من نتائج أو لانتقاد ومناقشة نتائج الأبحاث التي نُشرت

سابقاً، وتختلف نوعية الأبحاث المنشورة في مجلات العلوم التطبيقية وطريقة تناولها للمواضيع الجديدة عن تلك المنشورة في مجلات العلوم الاجتماعية والإنسانية.

العرف الأكاديمي السائد في عملية النشر العلمي للأبحاث المراد نشرها يتضمن قيام الباحث بمراسلة إحدى المجلات العلمية عند كتابته لبحث ما راغباً في نشر أبحاثه ثم تقوم المجلة باختيار ومخاطبة عدد من الباحثين المتخصصين في موضوع البحث المراد نشره، ويقوم كل من هؤلاء بتقييم البحث وكتابة تقرير عنه يوضح فيه رأيه في قيمته العلمية ومنهجيته وطريقة عرضه، ثم يستخدم محرر المجلة هذه التقييمات ليتخذ قراره بنشر البحث أو رده، وربما يطلب من الباحث القيام ببعض التعديلات قبل أن يجاز البحث للنشر وقد تختلف سياسة التحكيم من مجلة لأخرى من حيث أعداد المحكمين وطريقة اختيارهم وتقوم القليل من المجلات بإطلاع المحكمين علي شخصية كاتب البحث بينما تقوم الغالبية بإخفائه. كذلك تختلف المعايير في قبول الأبحاث والقيمة العلمية المطلوبة في البحث المنشور من مجلة لأخرى، كما تتباين الفترة التي تحتاجها المجلة ليعبر البحث بجميع مراحل التحكيم والنشر من تاريخ استلامه، إلا أنه من العادة لا تكون الفترة طويلة.

عملية التحكيم تعتبر ضرورية لضمان جودة الأبحاث العلمية المنشورة والتأكد من صحة المعلومات الواردة فيها ومدى إسهامها في تطوير المعرفة وهو أمر لا بدَّ منه حتى يمكن تكوين تراكمية بحثية تمكن المجال العلمي من التقدم للأمام والتطور.

الغالب في المجلات العلمية أنها مجلات غير رسمية تكون تحت مظلة جامعة أو مؤسسة أكاديمية أو بحثية ويتم تمويلها من قبل المؤسسات التي تتبعها، وهناك قليل من الدوريات العلمية التي تطلب من الباحثين بعض تكاليف الطبع والنشر كما أنها تقبل أحياناً نشر بعض المواد الإعلانية لتغطية جزء من التكاليف. أما طاقم التحرير في هذه المجلات فيكون من أساتذة الجامعة والعاملين في المراكز البحثية والعلمية عموماً وهؤلاء عموماً غير متفرغين للعمل في التحرير، أما الأمور الإدارية فتسند عادة لموظفين متفرغين. توجد العديد من المجلات العلمية التابعة

لمؤسسات نشر وتوزيع تجارية تأخذ أرباحاً من بيع أعدادها أو من رسوم الاشتراك في دورياتها، أو من بيع مجموعات علمية من الأبحاث المنشورة في موضوع علمي معين.

أحدث الانترنت ثورة في عملية إنتاج وتوزيع المجلات العلمية ،وفى سهولة الوصول إليها، فقد أصبح بالإمكان توفير محتويات هذه المجلات بشكل رقمي عن طريق اشتراكات تقوم بها المكتبات والمؤسسات الأكاديمية من خلال رابط معين، إضافة إلي أن هناك مجلات تصدر في شكل الكتروني فقط. ونعرض هنا لحالة احدي هذه المجلات.

مجلة الدراسات الإنسانية:

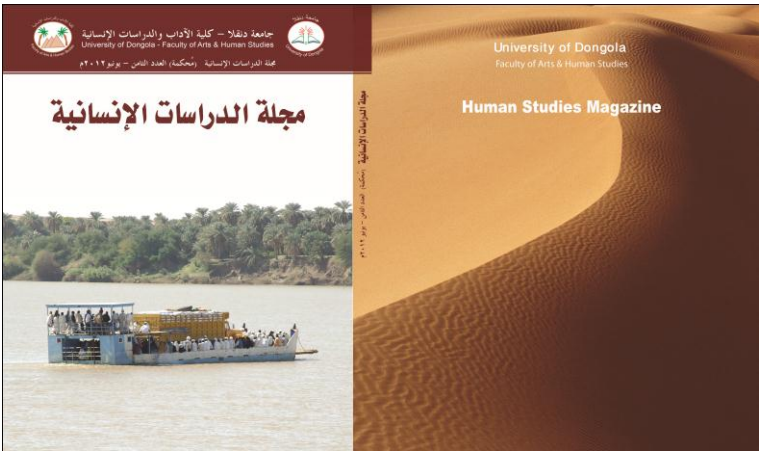

مجلة علمية محكمّة نصف سنوية، تصدرها كلية الآداب والدراسات الإنسانية احدي كليات جامعة دنقلا بالسودان.

تأسست كلية الآداب والدراسات الإنسانية في 1991م تحت مسمى كلية الآثار والتراث كأول كلية في السودان متخصصة في دراسة الآثار والتراث، وكانت تتبع آنذاك لجامعة دنقلا وتشتمل على قسمين هما الآثار والتراث (الفولكلور). وفى نوفمبر1993م صدر قرار وزاري من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بتحويل مسمى الكلية إلى كلية الآداب والدراسات الإنسانية وأضيفت إليها أقسام جديدة هي (الدراسات الإسلامية واللغة العربية واللغة الانجليزية والاجتماع

والمكتبات والمعلومات والجغرافيا والتاريخ). وفى عام 1994م ألحقت الكلية بجامعة دنقلا(قسيمة :2008م :5).

في عام2007م اجتمع مجلس أساتذة كلية الآداب والدراسات الإنسانية وقرر إصدار مجلة علمية بالكلية لتكون مرآة لعكس وتشجيع النشاط العلمي والبحثي داخل الكلية وخارجها، فكانت مجلة الدراسات الإنسانية.

صدر العدد الأول من مجلة الدراسات الإنسانية في يناير2008م، كمجلة علمية تعنى بترقية البحث العلمي في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، وتهتم على نحو خاص بنشر البحوث والدراسات ومراجعات الكتب والتقارير العلمية والندوات المتخصصة، كما ترحب بالمناقشات الهادفة والموضوعية لما ينشر فيها(مجلة الدراسات الإنسانية : 2008م :1).

قواعد النشر بالمجلة:

1/ يقدم المقال أو الدراسة مطبوعاً على ورق A4 ومرفقاً معه قرص مدمج 3.5 ، ولا يزيد عن (7000) كلمة فى (20) صفحة سواء باللغة العربية أو الانجليزية أو الفرنسية. ويرفق ملخص للبحث لا يزيد عن(100) كلمة بإحدى اللغات المستخدمة في المجلة خلافاً للغة البحث.

2/ إلا يكون المقال قد سبق نشره أو قُدم للنشر في جهات أخرى. كما لا يجوز إعادة نشره كاملاً أو جزئياً في وعاء آخر إلا بإذن خطى من المجلة.

3/ توضع إحالات المراجع في داخل النص(المنهج الأمريكي) وتأتى تفاصيل المراجع في قائمة المراجع بالشكل التالي:

اسم العائلة–الاسم الأول–سنة النشر–عنوان المقال أو الكتاب–دار النشر–مكان النشر–صفحات المقال في حالة الدوريات.

4/ تعرض المقالات والبحوث علي محكّمين مختصين في مجالات المجلة لإجازتها وتقوم المجلة بإخطار أصحاب المقالات بقرار المحكمين، ولها حق إجراء أي تعديلات شكلية جزئية قبل نشر المادة دون أن يخل ذلك بمضمون المادة المنشورة في حالة الموافقة بنشرها.

5/ تقبل البحوث من كافة الباحثين من داخل وخارج السودان.

6/ الأفكار والمعلومات الواردة في البحوث تعبر عن أراء كُتابها وليس بالضرورة تبنيها من قبل كلية الآداب والدراسات الإنسانية.

7/ تمنح المجلة كاتب المقال ثلاث نسخ من العدد الذي يحتوى علي مقاله.

8/ أصول المقالات التي ترد إلى المجلة لا تسترجع سواء نشرت أم لم تنشر.

9/ تحتفظ المجلة بكافة حقوق النشر.

10/ ترسل البحوث باسم السيد رئيس التحرير.

الأبحاث المنشورة:

صدر حتى الآن عشر أعداد من المجلة متضمنة مختلف الأبحاث في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، وبلغت عدد البحوث المنشورة مائة وأربعين بحثاً ومقالة تفاصيلها على النحو التالي:

في مجال مناهج البحث العلمي :

نشر منها أربعة بحوث هي:

1/ قضايا البحث العلمي في الجامعات السودانية إعداد: طلحة عبد الحميد الحسن. العدد الأول يناير2008م.

2/ البحث العلمي والتنمية في العالم العربي رؤية مستقبلية إعداد: عبد الرحيم محمد خبير، العدد السادس، يونيو 2011م.

3/ الدراسات العليا ودورها في التنمية الوطنية إعداد: نصر الدين سليمان على ، العدد الرابع، يونيو2010م.

4/ روح البحث العلمي (مدخل ابستمولوجى)، إعداد جون هيرون، ترجمة يوسف عبد الله عيسى، إعداد: يوسف عبد الله عيسى، العدد الثالث ، يناير2009م.

في مجال الفلسفة وعلم النفس:

تم نشر أربعة بحوث هي:

1/ الأمن النفسي لدى نازحي معسكر كاس بولاية جنوب دارفور، إعداد: الرشيد إسماعيل اليبلى ووفاق صابر علي عبد الله، العدد العاشر، يونيو2013م.

2/ الفكر الصوفي من المتأمل إلى الوعي التاريخي، إعداد: بكري خليل ، العدد الأول ، يناير2008م.
3/ القلق وعلاقته بتقدير الذات لدى طلاب المستوى الأول، جامعة الخرطوم، إعداد: عبد الباقي دفع الله أحمد ومواهب عبد الرحيم محمد، العدد التاسع، يناير 2013م.
4/ الأسس الفلسفية والدينية للأخلاق، إعداد مها على حاج عمر الزاكي، العدد الثالث، يناير2010م.

في مجال الآثار والسياحة:

نشرت سبعة وعشرين بحثاً ومقالاً هي:

1/ الجغرافيا والآثار في موقع أم سوده المروى، إعداد: أحمد حامد نصر حمد، العدد السابع، يناير2012م.
2/ الأهمية الثقافية الاقتصادية لإقليم الفونج الشمالي(بين الشلالين الرابع والثالث)، إعداد: احمد حسين عبد الرحمن، العدد الثالث، يناير2010م.
3/ أصل الأسرة الخامسة والعشرين لمصر كما تعكسه الجبانة الملكية السودانية فى الكرو، إعداد: عباس سيد أحمد محمد على وعبد القادر محمود عبد الله، العدد الثالث، يناير2010م.
4/ الانثواركيولوجيا والطب فى السودان القديم، إعداد: عباس سيد احمد محمد على وجمال جعفر عباس، العدد الخامس، يناير2011م.
5/ المتاحف فى السودان ودورها فى السياحة، إعداد: أيمن الطيب الطيب، العدد الثامن، يناير2012م.
6/ اثر استخدام الانترنت فى بنية الطلب على الخدمات الفندقية وتوزيعها، إعداد: إيهاب محمد عثمان فقيرى، العدد التاسع، يناير2011م.
7/ صناعة السياحة ودورها فى تنمية وتطوير المواقع الآثارية (محافظة مروى نموذجاً)، إعداد: جمال جعفر عباس، العدد الثاني ،يناير2009م.
8/ المستوطنات السكانية على النيل خلال عصر ما بعد مروى بين الشلالين الأول والثالث)، إعداد: جمال جعفر عباس، العدد الرابع، يوليو 2010م.

9/ ثقافة الموت مابين مدينة كرمة القديمة والمعاصرة، إعداد: سعاد عثمان بابكر، العدد الخامس، يناير 2010م.
10/ دور المرشد السياحي في التسويق السياحي، إعداد: سعيد عبد الحفيظ عبد الله خضر، العدد العاشر، يونيو2013م.
11/ الأهمية الأثرية والتاريخية والتراثية لموقع نوري(منطقة الشلال الثالث) ، إعداد: عبد الرحمن إبراهيم سعيد علي، العدد السابع، يناير2012م.
12/ المتغيرات التقنية ودورها في حوار الحضارات (السودان القديم نموذجاً)، إعداد: عبد الرحيم محمد خبير، العدد الثاني ، يناير2009م.
13/ الأسد في التراث السوداني، إعداد: عبد الرحيم محمد خبير، العدد الخامس، يناير2011م.
14/ التنمية السياحية المستدامة في جزيرة فرسان، إعداد: عبد الناصر بن عبد الرحمن الزهراني وكباشي حسين قسيمة، العدد الثالث، يناير2010م.
15/ دور الطلاءات الواقية في وقاية الآثار المعدنية من التآكل والصدأ، إعداد: عبد الناصر بن عبد الرحمن الزهراني ومحمد أبو الفتوح غنيم، العدد العاشر، يونيو 2013م.
16/ تاريخ الخنزير وانتشاره في وادي النيل، إعداد: علي التيجاني الماحي، العدد الرابع، يونيو2010م.
17/ دور الرحالة العرب والمسلمين في الكشوفات الأثرية في السودان(رحلة إيلياء شلبي لمنطقة المحس1670-1761م)، إعداد: علي عثمان محمد صالح، العدد الأول، يناير2008م.
18/ التراث الثقافي لمحافظة الإحساء في كتابات الرحالة الغربيين فى ضوء أهميتها سياحياً، إعداد: فهد على الحسين، العدد التاسع، يناير2013م.
19/ الاستثمار السياحي(دراسة في اقتصاديات السياحة)، إعداد: كباشي حسين قسيمة، العدد الخامس، يناير2011م.
20/ صناعة السياحة وأهميتها الاقتصادية، إعداد: محمد العطا محمد عمر، العدد الخامس، يناير2011م.

21/ مقترح لمشروع متحف الآثار والتراث في الولاية الشمالية، إعداد: محمد حامد إبراهيم، العدد الثالث، يناير2010م.

22/ مستقبل السياحة في محلية مروي، إعداد: محمد فتح الرحمن أحمد، العدد الثالث، يناير 2010م.

23/ السمات الفنية للنقوش الجدارية بمعبد الأسد بالنقعة، إعداد: محمد فتح الرحمن أحمد، العدد الخامس ، يناير2011م.

24/ دور الحفائر فى مملكة مروي، إعداد: هادية محمد شوقي جمال، العدد السادس، يونيو2011م.

25/ البيئة السودانية القديمة بعيون الُكتاب القدامى والرحالة والجغرافيين، إعداد: يحيي فضل طاهر، العدد الرابع، يونيو2010م.

26/ Archaeological work in Southern Sudan ،present status and future prospect. Abdelrahim.M.Khabir .No3.January2010.

27/ Place-Names as Evidence of Nubia history and its language .Ali Osman.M.Salih.N8.June2012.

في مجال التاريخ والحضارة الإسلامية:

تم نشر تسعة عشر بحثاً هي:

1/ الأديان التقليدية في السودان(القبائل النيلية نموذجاً)، إعداد: أبكر عبد البنات آدم، العدد الثالث، يناير2010م.

2/ مقومات دولة الرسول وخصائصها، إعداد :الزين عوض صالح، العدد السادس، يونيو 2011م.

3/ حوار الذات والآخر في أدب الرحلات(تمثيل الآخر الثقافي) نماذج في السودان، إعداد: انتصار الزين صغيرون، العدد السابع، يناير2012م.

4/ مستقبل الحضارة الإسلامية(دراسة مقارنة حول الأطروحات الغربية والإسلامية)، إعداد: بكرى عمر رحمة، العدد التاسع، يناير2013م.

5/ نظم وأخلاقيات المهن الطبية في صدر الإسلام، إعداد: حياة محمد عثمان بشير، العدد الرابع، يونيو2010م.
6/ التراث العلمي الإسلامي والحضارة الإسلامية، إعداد : طارق عثمان الرفاعى، العدد الأول ،يناير 2008م.
7/ انتشار الإسلام في المغرب العربي في عصر الولاة العباسيين، إعداد: عبد الحكيم حسن إبراهيم ، العدد الثالث ، يناير2010م.
8/ اتجاهات ومعوقات البحث التاريخي في الجامعات السودانية (قراءة في كتاب دليل الدرجات العلمية المجازة من الجامعات السودانية في التاريخ) إعداد: عبد الحكيم حسن إبراهيم، العدد الخامس، يناير2011م.
9/ انتفاضة سويتو وأثرها على نضال الحركة الطلابية في جنوب أفريقيا، إعداد: عبد الوهاب دفع الله، العدد الثاني،يناير2009م.
10/ قراءات نقدية لبعض موضوعات مذكرات وسير بعض رواد الحركة الوطنية الاستقلالية السودانية، إعداد: عمر عبد الله حميدة أحمد، العدد السابع، يناير2012م.
11/ أساليب الدولة المهدية(1881-1898) في نشر الدعوة الإسلامية في السودان، إعداد: عفاف مكاوي محمد قيلي، العدد السابع، يناير 2012م.
12/ عبد الله بن سعد بن أبي السرح بين الردة والإسلام، إعداد: كمال الحاج الحسين، العدد الثالث ، يناير2010م.
13/ جذور الصراع العربي الفارسي، إعداد: كمال الحاج الحسين، العدد العاشر،2013م.
14/ تنظيمات الحكم في مكة قبل الإسلام والظروف التي تهيأت لتفرد آلياتها، إعداد: مجتبى على إبراهيم، العدد السابع، يناير2012م.
15/ الحركة الثقافية والفكرية في دولة الفونج، إعداد: محمد عز الدين علي محمد، العدد السادس ،يونيو2011م.
16/ دلالات تاريخية من الفخار المصنوع بالعجلة في المقرة(550-1300م)، إعداد: محمد مهدي إدريس، العدد الأول، يناير2008م.

17/ لمحات تاريخية عن العلاقة بين جنوب السودان وشماله(2700ق.م-1821م)، إعداد: محمد مهدي إدريس، العدد السادس، يونيو2011م.
18/ الصناعات المروية، إعداد: نعمات عبد الجبار، العدد الثامن، يونيو2011م.
19/ Towards a Unified Nomenclature for the So-Called X- Group. Mohammed Mahadi Idris.No1.January0**2008م**

في مجال الفولكلور:

تم نشر سبعة بحوث هي:

1/ الاتصال الشعبي (موسيقى البجا الشعبية دراسة حالة)، إعداد: رضوان الحسن إبراهيم، العدد السابع ،يناير2012م.
2/ الزي والزينة في الرقصات الشعبية في السودان،إعداد: زينب عبد الله محمد صالح، العدد الخامس، يناير2011م.
3/ بعض العناصر الإفريقية في الثقافة السودانية، إعداد: سليمان يحيي محمد، العدد الرابع، يوليو 2010م.
4/ الأسس الإستراتيجية لتوظيف الشعر الشعبي، إعداد: صلاح الدين صابر عبد الله، العدد الخامس، يناير2011م.
5/ التصوف منبع الهام وإبداع، إعداد: محمد المهدي بشرى، العدد الأول، يناير2008م.
6/ الأمثال ومدلولاتها الاجتماعية والثقافية، إعداد: نصر الدين سليمان علي، العدد الأول، يناير2008م.
7/ سمات الفصيح في أدب الجعليين، إعداد: نصر الدين سليمان علي، العدد الثاني، يناير2009م.

في مجال اللغة العربية وآدابها:

تم نشر عشرين بحثاً ومقالة هي:

1/ مفهوم الإبداع الشعري في النقد العربي القديم، إعداد: أحمد تاور أحمد محمد، العدد الخامس، يناير2011م.
2/ معاني العتاب عند البحتري، إعداد: أزاهر محي الدين الأمين، العدد الثامن، يونيو2012م.
3/ نحو أدب إسلامي عالمي جديد، إعداد: النوراني عبد الكريم كبور، العدد السادس، يونيو 2011م.
4/ مشكلات القواعد لدى متعلمي اللغة(الهدف – المصادر وكيفية المعالجة)، إعداد: حسن محمد دوكة ويس محمد يس، العدد الخامس،يناير2011م.
5/ ظواهر سيكولوجية في شعر محمد محمد علي، إعداد: حمد النيل محمد الحسن، العدد السابع، يناير2010م.
6/ المديح الشعبي وعبقرية الزمان والمكان، إعداد: طلال الطاهر قطبي، العدد الأول، يناير2008م.
7/ منهاج عبد الله الطيب في دراسته "الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي"، إعداد: طلال الطاهر قطبي، العدد الثاني، يناير2009م.
8/ شيء من كل وبعض، إعداد: عائدة الأنصاري، العدد الأول ، يناير2008م.
9/ قراءة نقدية في مجموعة "عند الرحيل" القصصية لنجيب الكيلاني، إعداد: عبد الغفار الحسن محمد أحمد، العدد العاشر،يناير2013م.
10/ نقدات ابن عصفور لأبي جني في الممتع(عرض ودراسة)، إعداد: على بن الحسن بن هاشم السرحاني، العدد الثاني، يناير2009م.
11/ اختلاف الفراء مع الكسائي في وجوه الإعراب والقراءات، إعداد: على محمود أحمد محمد خير، العدد العاشر، يونيو2013م.
12/ أبو علي الحاتمي وثقافته النقدية ومصادرها، إعداد: عوض السيد موسى عوض السيد، العدد الثامن، يوليو 2012م.
13/ النقد الجمالي للشعر عند العرب، إعداد: فؤاد شيخ الدين عطا، العدد الرابع، يونيو2010م.

14/ عناصر البناء النص في شعر حميد – قصيدة "جهجهة التساب" نموذجاً، إعداد: فؤاد شيخ الدين عطا، العدد السادس، يونيو2011م.
15/ حوار الثقافات في ديوان "سيناريو اليابسة" للشاعر عاطف خيري، إعداد: فؤاد شيخ الدين عطا، العدد العاشر، يونيو2013م.
16/ التشبيه في لامية العرب "دراسة نفسية"، إعداد: محمد أحمد الأمين أحمد وأميرة أحمد حسن قرشي، العدد الثامن ، يونيو2012م.
17/ منهج الأدب الإسلامي بين العولمة والهوية، إعداد: محمد حسن عطا المنان، العدد الخامس، يناير2011م.
18/ الدقة في اختيار الألفاظ ودورها في تقييم النصوص "دراسة تطبيقية في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير الجزري، إعداد: محمد حسن عطا المنان، العدد السادس، يونيو2011م.
19/ تشكيل اللغة وبناء الصورة في موشحات أبي الحسن الششترى، إعداد: محمد محجوب محمد عبد المجيد ، العدد التاسع، يناير2013م.
20/ الأخطاء اللغوية لدى متعلمي اللغة الثانية أو الأجنبية، إعداد: يس محمد يس وحسن محمد دوكة، العدد السادس، يونيو2011م.

في مجال الفنون:

تم نشر ثلاثة بحوث هي:

1/ دراما الإذاعة وتجليات المكان، إعداد: اليسع حسن أحمد، العدد السادس، يونيو2011م.
2/ دور المسرح في ترسيخ ثقافة السلام، إعداد: سعد يوسف عبيد، العدد السادس، يونيو2011م.
3/ الموسيقى العسكرية في السودان، إعداد: محمد سيف الدين على، العدد الثامن، يونيو2012م.

في مجال الاجتماع والخدمة الاجتماعية:

تم نشر تسعة بحوث ومقالاً هي:

1/ الأديان التقليدية في أفريقيا جنوب الصحراء، إعداد: أبكر عبد البنات آدم، العدد الخامس، يناير2011م.

2/ أثر التحديث في تقييم المشورة الشعبية في جنوب كردفان، إعداد: الماحي أدونا أمينا، العدد الثامن ،يناير2012م.

3/ نظرات في ثقافة الاستعداء، إعداد: بكري عمر رحمة، العدد الرابع، يونيو2010م.

4/ نظام الأسرة بين النموذجين الإسلامي والغربي، إعداد: حنان أحمد مكاوي، العدد الرابع، يونيو2010م.

5/ آفاق الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية داخل نظام الرعاية الاجتماعية، إعداد: سامية الباقر محمد سليمان، العدد الثاني، يناير2009م.

6/ الخدمة الاجتماعية المدرسية، إعداد: سامية الباقر محمد سليمان، العدد الثالث، يناير 2010م.

7/ الدور التكاملي للأسرة والروضة في عملية التنشئة الاجتماعية، إعداد: سامية الباقر محمد سليمان، العدد الثامن ،يونيو2012م.

8/ الحدائق المفتوحة ودورها في تحقيق الترويح بالتطبيق على سكان ولاية الخرطوم، إعداد: محمد إسماعيل علي إسماعيل، العدد الثامن، يونيو2012م.

9/ المجتمعات القبلية في كردفان الأبعاد الاجتماعية والثقافية، إعداد: محمد حامد إبراهيم، العدد السادس، يونيو2011م.

في مجال التربية:

تم نشر اثنا عشر بحثاً ومقالاً هي:

1/ الصحة النفسية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى تلاميذ مرحلة الأساس بولاية الخرطوم، إعداد: الرشيد إسماعيل البيلي وفاطمة عبد الله مبشر، العدد الرابع، يونيو2010م.

2/ درجة رضاء أعضاء هيئة التدريس بجامعة نيالا عن التدريب في مجال تكنولوجيا التعليم وتقانة المعلومات واتجاهاتهم نحو استخدامها في مجال التدريس،

إعداد: العجب محمد العجب وعصام إدريس كمتور، العدد الثامن ، يونيو2012م.
3/ الإرشاد الأكاديمي وعلاقتها بالجودة في التعليم الجامعي، إعداد: أميرة أحمد حسن قرشي، العدد العاشر، يونيو2013م.
4/ تجربة جامعة السودان المفتوحة في مجال التعليم الالكتروني(المشاكل والحلول)، إعداد: أميمه المعتصم خضر حسين، العدد الثامن، يونيو2012م.
5/ دافعية الانجاز لمعلمات مرحلة الأساس (محلية الشهداء دراسة حالة)، إعداد: أنس الطيب الحسن رابح، العدد التاسع، يناير2013م.
6/ أثر المعلمين على نشأة الفنون التمثيلية في السودان، إعداد: سعد يوسف عبيد، العدد الرابع، يونيو2010م.
7/ دور التعليم الأصلي في تحقيق أهداف ورسالة جامعة القران الكريم (دراسة تطبيقية علي محلية مدني الكبرى)، إعداد: عبد العاطي أحمد موسى قدال، العدد السابع، يناير2012م.
8/ الأطفال الموهوبون وطرق رعايتهم، إعداد: عمر خليفة خلف الله، العدد الثالث، يناير2010م.
9/ معايير الذكاء لدى تلاميذ مرحلة الأساس بالولاية الشمالية (الحلقتين الثانية والثالثة)، إعداد: فضل المولى عبد الرضي وازدهار الرفاعي عثمان العجيل، العدد التاسع، يناير2013م.
10/ التعليم قبل المدرسي(البعد القانوني والمادي والبشري)، إعداد: ماجدة خليفة محمد خليفة، العدد الرابع، يونيو2010م.
11/ أثر استخدام الحقيبة التعليمية الحاسوبية ومستوى التعلم السابق على تحصيل عينة من طلبة جامعة البحرين، إعداد: محمد عطا مدني، العدد الرابع، يونيو2010م.
12/ التعليم في الولاية الشمالية(دراسة إحصائية تحليلية)، إعداد: منتصر أحمد عثمان محمد، العدد الثامن، يونيو2012م.

في الجغرافيا وعلوم البيئة:

نُشر بحثان فقط هما:

1/ السكان والصحة الإنجابية، إعداد: محمد المهدي زين العابدين، العدد الأول، يناير2008م.

2/ تطور وخصائص قطاع الصناعات التحويلية فى السودان والسياسات الضريبية المفروضة عليه، إعداد: بثينة سيد احمد الدوش، العدد الخامس ،يناير2011م

في مجال العلوم السياسية:

تم نشر ستة بحوث هي:

1/ المنظمات والجمعيات الطوعية الأجنبية وقضية دارفور، إعداد: أبكر عبد البنات آدم،العدد السادس، يونيو2011م.

2/ مهددات السلام والتنمية في دارفور، إعداد: أبكر عبد البنات آدم، العدد التاسع، يناير2013م.

3/ دور النخب في العالم وعلاقتها بالتغيير، إعداد: حسن علي الساعوري، العدد الخامس ، يناير2011م.

4/ الحق الإنساني في المفهوم الإسلامي ، إعداد: طلحة عبد الحميد الحسن، العدد الأول ، يناير2008م.

5/ تطور العلاقات السودانية الصينية(1959-2009م)، إعداد: عبد العزيز نور عشر، العدد العاشر، يونيو2013م.

6/ The Impact of1980 Drought in Western Sudan Ibrahim Mohammed .Kordofan State : North Eltom.No9.Jan2013

في مجال الاقتصاد والعلوم الإدارية:

تم نشر خمسة بحوث هي:

1/ أثر تطبيق معيار الشفافية والإفصاح على أداء المصارف الإسلامية في السودان للفترة من(2000-2007م)، إعداد : أمير محمد دياب، العدد السابع ، يناير 2012م.

2/ أثر ترويج المبيعات في شركات المياه الغازية بالخرطوم على طلب المستهلك لمنتجاتها، إعداد: سعيد حسن العجب حسب الكريم، العدد العاشر، يونيو2013م.
3/ أبعاد التنمية الإقليمية في الدول النامية ومعوقاتها، إعداد: عبد العظيم عثمان حمد الإمام، العدد الرابع، يونيو2010م.
4/ الآثار الاقتصادية والاجتماعية لسياسة الخصخصة في السودان (مشروع السوكي الزراعي نموذجاً)، إعداد: عز الدين دفع الله عيسى، العدد السابع،يناير 2012م.
5/ البطالة والاستخدام في السودان بالتطبيق على الولاية الشمالية(رؤية تنموية)، إعداد: مدثر حسن سالم عز الدين، العدد الثامن، يونيو2012م.

في مجال المكتبات والمعلومات:

تم نشر أربعة عشر بحثاً ومقالاً هي:

1/ المعلومات ودورها في التنمية الزراعية (دراسة حالة مركز التوثيق والمعلومات بولاية الخرطوم)، إعداد: العوض أحمد محمد الحسن، العدد الخامس، يناير2011م.
2/ تقاسم الموارد بين المكتبات الجامعية بالسودان، إعداد:أميرة علاء الدين صالح، العدد الرابع، يونيو2010م.
3/ تسويق خدمات المعلومات في المكتبات (تجربة مكتبة جامعة السودان المفتوحة)، إعداد: بله أحمد بلال أحمد، العدد العاشر، يونيو2013م.
4/ واقع خدمات المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات الطبية(دراسة حالة ولاية الخرطوم)، إعداد : سارة شمو شاع الدين، العدد السادس، يونيو2011م.
5/ المدونات في الفضاء المعلوماتي (أفق جديدة للكتابة)، إعداد: صبري الحاج المبارك، العدد الثاني، يناير2009م.
6/ رسم السياسات المعلوماتية (الأهمية والأهداف)، إعداد: صبري الحاج المبارك، العدد الخامس، يناير2011م.

7/ تأثير الزيوت الطيارة علي المخطوطات في المكتبات العربية(حالة مصر- السعودية)، إعداد: عبد اللطيف حسن أفندي، العدد التاسع، يناير2013م.

8/ الطبيب والمعلومات (المعرفة الإكلينيكية والممارسة في عصر المعلومات)، إعداد: عبد الله محمد عبد الله درار، العدد الثاني، يناير2009م.

9/ حرب المعلومات في ظل عصر المعلومات، إعداد: محمد عز الدين علي محمد، العدد الثالث، يناير2010م.

10/ المكتبات المدرسية ومراكز مصادر التعلم (المفهوم والأهداف والأنشطة)، إعداد: مزمل عباس محجوب النصري، العدد الثاني،يناير2009م.

11/ نظم حفظ واسترجاع الأرشيف المسموع والمرئي بمكتبة تلفزيون السودان (الواقع والطموح)، إعداد: مزمل عباس محجوب النصري، العدد التاسع، يناير2013م.

12/ أثر استخدام التقانات الحديثة علي تنمية وتطوير المعلومات الزراعية في الجامعات والمراكز البحثية السودانية، إعداد: نصر الدين حسن أحمد جمعة، العدد الثالث، يناير2010م.

13/ الاحتياجات التدريبية في مجال تقانة المعلومات للعاملين بالمكتبات الجامعية في السودان(دراسة تطبيقية على ثلاث عشرة جامعة)، إعداد: وهبي عبد الفتاح عبد الرحمن ووحيد علي محمد ومحمد يسن شوقي، العدد العاشر، يونيو2013م.

14/ إمكانية تطبيق نظم المعلومات الجغرافية في المكتبات المدرسية، إعداد: يوسف عيسي عبد الله، العدد الأول، يناير2008م.

في مجال عرض الكتب والمؤتمرات:

تم نشر وعرض ستة أبحاث هي:

1/ الفخار الأثري (مناهج دراسته وتحليله)، إعداد: أحمد أبو القاسم الحسن وعباس سيد أحمد محمد علي، العدد الثاني، يناير2009م. عرض د: جمال جعفر عباس، عرض للكتاب أعلاه من حيث أهميته لطلاب علم الآثار والتاريخ والانثربولوجيا وتاريخ الفن ودارسي الحضارة المادية بوجه عام.

2/ الأوضاع الإدارية والاقتصادية والسياسية في المدينة المنورة في العصر الأموي40-132هـ، إعداد: عبد الحكيم حسن إبراهيم، العدد الأول، يناير2008م. عرض المقال لرسالة دكتوراه تحمل العنوان أعلاه موضحاً أهدافها وأهميتها والنتائج التي توصلت إليها.

3/ مستخلصات الرسائل الجامعية المجازة بكلية الآداب والدراسات الإنسانية – جامعة دنقلا(2007-2010م)، إعداد: عبد الحكيم حسن إبراهيم، العدد السابع، يناير 2012م.عرض المقال لقيام قسم الدراسات العليا بكلية الآداب والدراسات الإنسانية والرسائل التي نوُقشت في تلك الفترة من خلال مستخلصات تلك الرسائل في بعض أقسام الكلية،وبمعني آخر حاولت الدراسة الإجابة علي السؤال أين تقف كلية الآداب والدراسات الإنسانية في مجال الدراسات العليا.

4/ تجربة كلية الآثار والتراث(1991-1994م) في مجال التراث الثقافي، إعداد: كباشي حسين قسيمة، العدد الأول، 2008م. عرض فيه لتجربة كلية الآثار والتراث بجامعة دنقلا في إبراز التراث الثقافي من خلال قسمي الآثار والفولكلور موضحاً أهداف قيام الكلية ووسائل تحقيق ذلك والصعوبات التي واجهت التجربة.

5/ عرض ورشة عمل قضايا التعليم في الولاية الشمالية –كلية التربية مروي- جامعة دنقلا، إعداد: كمال الحاج الحسين، العدد الثاني، يناير2009م.عرض المقال للورشة التي أقامتها كلية التربية(مروي) بجامعة دنقلا لمناقشة قضايا التعليم وقدم عرضاً للأوراق العلمية التي قدمت في الورشة والنتائج والتوصيات التي خرجت بها.

6/ اتجاهات الإنتاج الفكري السوداني المنشور في العلوم الإنسانية في الفترة (1900-2000م) دراسة ببليومترية، إعداد: محمد عز الدين علي محمد،العدد الأول، يناير2008م.عرض المقال للإنتاج الفكري السوداني المنشور في العلوم الإنسانية في الفترة1900-2000م، وأوضح المقال أيضاً أهداف تلك الدراسة وأهميتها ونتائجها وتوصياتها.

في مجال اللُّغات الأجنبية:

تم نشر ثمانية بحوث باللغتين الانجليزية والفرنسية هي:

أ/ باللغة الانجليزية:

1/ Symbolism in Grain of Wheat: Ahmed Ali Fadul Benyo .No7.Jan2012م.

2/ Romantisim in Literature (1789-1830): Elsadig Hussein Fadlallah.No3.Jan2010.

3/ A comparative Study Between English and Sudanese Proverbs: Mohamed Bakri.No3.jan2010م

4/ Suggested Instructional Techniquires for Acquiring Ownership of Words Knowledge Concept by Sudanese Learners of English: Mohamed Bakri.No7.Jan2012م.

ب/ باللغة الفرنسية:

1/ Tradduction Et Communication Linguistque Par : Fadl Allah Ismail .Jan2009.

2/ Histoire La Pratique De La Traduction De L'Arabe OU Vers L'Arab : Fadl Allah Ismail .Jun2010.

3/ Enregistrement Et Normalisation Terminoloques : Fadl Allah Ismail .Jun 2011.

4/ Les Reformes De L'Arabe : Fadl Allah Ismail . Jun 2013.

الخلاصــة:

رقم	المجال	النسبة
1	سبعة وعشرين بحثاً في مجال الآثار والسياحة بنسبة	%19

2	عشرون بحثاً في مجال اللغة العربية بنسبة	%14
3	تسعة عشر بحثاً في مجال التاريخ بنسبة	%13.5
4	أربعة عشر بحثاً في مجال المكتبات بنسبة	%10
5	أثنا عشر بحثاً في مجال التربية بنسبة	%8
6	تسعة بحوث في مجال الاجتماع والخدمة الاجتماعية بنسبة	%6
7	ثمانية بحوث في مجال اللغات بنسبة	%5.5
8	سبعة بحوث في مجال الفولكلور بنسبة	%5
9	ستة بحوث في مجالي العلوم السياسية بنسبة	%4
10	ستة بحوث في مجال عرض الكتب بنسبة	%4
11ذ	خمسة بحوث في مجال الاقتصاد والعلوم السياسية بنسبة *963.	%3
12	أربعة بحوث في مجالات مناهج البحث العلمي بنسبة	%2.5
13	أربعة بحوث في مجال الفلسفة وعلم النفس بنسبة	%3
14	ثلاثة بحوث في مجال الفنون بنسبة	%2
15	بحثان في مجال الجغرافيا وعلوم البيئة بنسبة	%1

من خلال تصنيف الأبحاث والمقالات التي تم نشرها في مجلة الدراسات الإنسانية نلاحظ الآتي:

1/ بلغت عدد البحوث المنشورة مائة وستة وأربعين بحثاً في مختلف مجالات العلوم الإنسانية تفاصيلها علي النحو التالي:

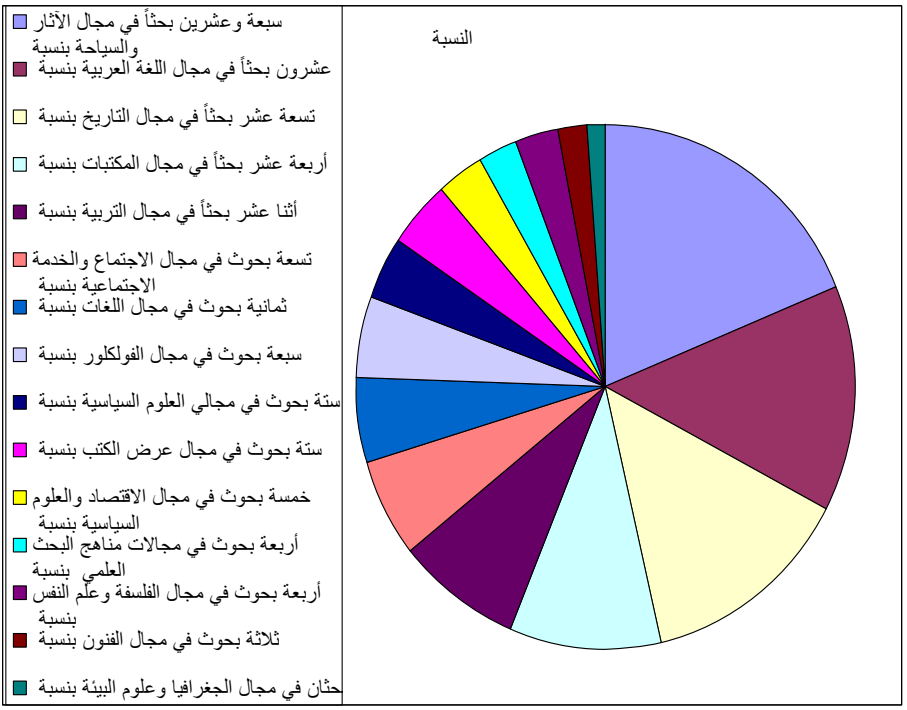

2/ من خلال هذا التباين في الأبحاث المنشورة نستنتج الآتي

(أ) التباين في الأبحاث المنشورة لا يعني أن المجلة تميل وتنحاز لنوع معين من مجالات البحث بل هو يشير لنشاط الباحثين في المجالات المعينة، وبالمقابل المجالات التي تقل فيها الأبحاث تعطي فقط إشارة لقصور الباحثين في تلك المجالات من البحوث.

(ب) تميز النشر في مجال الآثار والسياحة يرجع لطبيعة تأسيس الكلية(مقر المجلة) إذ تقع في منطقة تذخر بالآثار والسياحة (فكرة قيام الكلية)، ثم نشاط الباحثين في هذا المجال.

(ت) كثرة النشر في مجالات الآثار والسياحة واللغة العربية والتاريخ يُعطي إشارة بأن المجلة متخصصة فقط في تلك المجالات، لكن يدحض ذلك نوعية البحوث المنشورة وتباينها كماً ونوعاً.

3/ هناك بعض المعوقات التي تواجه المجلة تتمثل في الآتي:

1/ ندرة المحكمين بسبب هجرة الكوادر العلمية إلي خارج السودان.

2/ عدم تفرغ العاملين بهيئة التحرير إذ جلهم من أعضاء هيئة التدريس بالكلية.

3/ من مشكلات المجلة أيضاً افتقارها لبعض المواد الإعلانية الأمر الذي كان يمكن أن يغطي جزء من تكاليف الطباعة، إذ تعتمد المجلة علي دعم الجامعة الكامل في ذلك.

4/ المجلة غير ربحية، حيث لا تقوم ببيع ما يُنتج من إصداراتها بل توزعه مجانا علي الناشرين بها فضلاً عن المؤسسات العلمية و الجامعات وبالتالي ليس هناك عائد مادي الأمر الذي يجعلها عديمة الموارد.

المراجع:

1/ تيسير عبد الجبار الأوسي: الحوار المتمدن ، مجلة ابن رشد العلمية، 2013/4/21م.

2/ عبد الحكيم حسن إبراهيم ومحمد عز الدين علي محمد: كشاف مجلة الدراسات الإنسانية، مجلة الدراسات الإنسانية، العدد الحادي عشر،يناير 2014 م.

3/ كباشي حسين قسيمة: تجربة كلية الآثار والتراث(1991-1994م) في مجال التراث الثقافي (الآثار والفلكلور)، مجلة الدراسات الإنسانية، العدد الأول، يناير 2008م.

4/ مجلة الدراسات الإنسانية، العدد الأول، يناير2008م.

5/ مجلة الدراسات الإنسانية ، العدد الثاني ، يناير 2009م.

6/ مجلة الدراسات الإنسانية ، العدد الثالث ، يناير2010م.

7/ مجلة الدراسات الإنسانية، العدد الرابع، يونيو2010م.

8/ مجلة الدراسات الإنسانية، العدد الخامس، يناير2011م.
9/ مجلة الدراسات الإنسانية، العدد السادس، يونيو2011م.
10/ مجلة الدراسات الإنسانية، العدد السابع، يناير2012م.
11/ مجلة الدراسات الإنسانية ، العدد الثامن ، يوليو2012م.
12/ مجلة الدراسات الإنسانية، العدد التاسع، يناير2013م.
13/ مجلة الدراسات الإنسانية، العدد العاشر، يونيو2013م.

التعليم الفرنسي بمنطقة سوف خلال العهد الاستعماري بين الرفض والتأثير.

أ . البشير مقدود

جامعة الشهيد حمة لخضر ، قسم التاريخ ـ الوادي .

الملخص

إن أهم مقصد تعنى به الأمم هو تربية النشء وتعليمهم ، فالتعليم هو الركن الأساس في بناء نهضتها وحضارتها ، ووسيلة من وسائل ازدهارها وتقدمها فقد حثت عليه الشرائع ، ودعت له كل الحضارات الإنسانية وأولته العناية ، والتعليم بمختلف مراحله وأنواعه له الدور الهام في بعث وازدهار الشخصية القومية ومقوّماتها الثقافية واللغوية والتاريخية ، غير أنّه يكون أحد عوامل التجهيل والهدم في يد الاستعمار الذي يتّخذه سلاحا لمواجهة الشعوب الضعيفة وإذلالها بل وحتّى تحطيمها، وقد عملت الإدارة الفرنسية على تطبيق هذا الأسلوب في الجزائر؛ وفي هذا الصدد يقول الدوق دومال " إنّ إقامة مدرسة بين الجزائريين أحسن وأفضل من كتيبة عسكرية لفرض الأمن " . ولم تكن منطقة« وادي سوف» استثناء فخلال فترة الاحتلال الفرنسي ، وبعد استقراره بالمنطقة عمل على نشر التعليم محاربا بذلك أو مُزاحما للتعليم التقليدي منه والإصلاحي ، حيث قامت فرنسا بإنشاء المدارس وفتحها أمام الأهالي لخدمة أغراضها الاستعمارية . فما هو واقع التعليم العربي بمنطقة سوف ؟ ـ كيف ومتى ظهر التعليم الفرنسي بمنطقة سوف والذي رغم نجاح هذا النوع من التعليم في تحقيق بعض التأثير في أخلاقيات وسلوكيات المجتمع غير أنه لم يفلح في تنصيره ، وسلخه من دينه؟.

résumé

Le plus important chez les nations c'est l'éducation des nouvelles générations et leur enseignement . Ce dernier est le pilier fondamental en construisant leur civilisation et leur renaissance . Il est un moyen d'évolution et de croissance dont toutes les religions incitent et duquel s'intéressent toutes les civilisations humaines.

L'enseignement , avec toutes ses étapes et ses phases , joue le rôle le plus important en restaurant la personnalité nationale et ses constitutifs culturels , linguistiques et historiques

Cependant les colonisateurs peuvent l'induiser comme une arme détruisante face aux peuples impuissants pour les humilier

La France a pratiqué cette méthode en Algérie et à ce propos dit le duc (Dumal) :" construire une école parmi les Algériens est mieux que former une division militaire pour garantir la sécurité " La région de Oued Souf n'était pas une exception pendant la période coloniale française où la France a diffusé l'enseignement combattant ainsi ou plutôt concurrant l'éducation classique réformante
Donc la France a établi les écoles et les ouvert aux citoyens pour servir ses objectifs coloniaux.

Comment est le cas pour l'enseignement arabe à oued Souf .

Comment et quand apparaissait dans la région l'enseignement

français qui n'a jamais arrivé à christianiser la société malgré

qu'il a pu influencer ses comportements et ses éthiques

المقدمة

إن أهم مقصد تعنى به الأمم هو تربية النشء وتعليمهم ، فالتعليم هو الركن الأساس في بناء نهضتها وحضارتها ، ووسيلة من وسائل ازدهارها وتقدمها فقد حثت عليه الشرائع ، ودعت له كل الحضارات الإنسانية وأولته العناية . وديننا الإسلامي حثَّ عليه ورغّب فيه وأمر به في أكثر من موضع ويكفي أن أول آية نزلت على النبي . صلّى الله عليه وسلم- قوله تعالى « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) » سورة العلق.

والتعليم بمختلف مراحله وأنواعه له الدور الهام في بعث وازدهار الشخصية القومية ومقوّماتها الثقافية واللغوية والتاريخية ، غير أنّه يكون أحد عوامل التجهيل والهدم في يد الاستعمار الذي يتّخذه سلاحا لمواجهة الشعوب الضعيفة وإذلالها بل وحتّى تحطيمها، وقد عملت الإدارة الفرنسية على تطبيق هذا الأسلوب في الجزائر؛ وفي هذا الصدد يقول الدوق دومال [1] " إنّ إقامة مدرسة بين الجزائريين أحسن وأفضل من كتيبة عسكرية لفرض الأمن " .

ولم تكن منطقة« وادي سوف» استثناء فخلال فترة الاحتلال الفرنسي ، وبعد استقراره بالمنطقة عمل على نشر التعليم محاربا بذلك أو مُزاحما للتعليم

التقليدي منه والإصلاحي ، حيث قامت فرنسا بإنشاء المدارس وفتحها أمام الأهالي لخدمة أغراضها الاستعمارية .

ـ فما هو واقع التعليم العربي بمنطقة سوف ؟وما هو موقف الإدارة الفرنسية منه ؟

ـ كيف ومتى ظهر التعليم الفرنسي بسوف ؟ وما هي أهم المدارس التي مثلت هذا التعليم ؟

ـ ما موقف أهالي سوف من هذا التعليم ؟ وما هو تأثيره على المنطقة وسكانها ؟

1– واقع التعليم العربي بمنطقة سوف قبل وأثناء الوجود الفرنسي :

كانت منطقة سوف كغيرها من حواضر الجزائر تسعى دائما في طلب العلم لأبنائها حتّى يسعدوا ، وتسعد هي بهم [2] لذا فقد عرفت المنطقة تعليما عربيا إسلاميا بفرعيه أو نوعيه التقليدي والإصلاحي وانتشر في كثير من أحيائها وشِعابها وإليه يعود الفضل بعد الله في المحافظة على القرآن وترسيخ العقيدة الإسلامية من خلال المؤدّبين والمعلّمين والعلماء في المساجد والكتاتيب والزوايا حتّى لا يكاد يخلو بيت من بيوت المنطقة من حافظ للقرآن الكريم أو لجزء منه على الأقل [3] . ورغم أن هذا النوع من التعليم

كان في معظمه بدائيا أو على الطريقة التقليدية الموروثة،ويتم ذلك في المدارس القرآنية التابعة عادة إلى المساجد أو الزوايا ومنها: الزاوية القادرية [4] وزاوية سيدي سالم [5] والزاوية التجانية [6] أو بعض المدارس الأخرى منها (مدرسة القروي) [7] وهذه الزوايا أو الكتاتيب أو المدارس القرآنية كان لها الدور الأكبر في رواج التعليم بمنطقة سوف .

- يبدأ الصغار في هذه الزوايا والكتاتيب والمدارس القرآنية في تعلم الأبجدية القرآنية والتي يطلق عليها عادة (أليف) [8] حيث تُحفظ الحروف كلّها حرفًا، حرفًا . ويحرص (نعم سيدي) [9]على تمييزها ، ثم تُحفظ حركاتها ، وبعد إتْقان الصبيّ هذا كله ينتقل لتعلّم وحفظ السور القرآنية ويبدأ بسورة (الفاتحة) [10] وهكذا حتى الختْم .

- يتوجّه الأطفال في هذا النوع من التعليم إلى المساجد أو الزوايا منذ طلوع الفجر في جميع الفصول حاملين معهم أدواتهم،والتي عادة ما تكون(اللوح،الطين،القلم المصنوع من القصب ، والمداد المتخذ من الصمغ بعد تحضيره) ويُوضع هذا كله في مخلاة .[11]

- الذي يميز أماكن حفظ القرآن هذه هو عدم وجود أثاث أو تجهيزات سوى فُرش بسيطة خلال فصل الشتاء [12].

لقد تكفّلت العديد من الزوايا والمدارس القرآنية بالطلبة القادمين حتى من أماكن بعيدة ، بتعليمهم القرآن الكريم وحفظه وإرسال بعضهم لإتمام دراسته في مدينتي (توزر و نفطة) التونسيتين على غرار ما قامت به الزّاوية القادرية وزاوية سيدي سالم [13] وهذا يجعلنا نعترف بالدور الكبير الذي قامت به هذه الزّوايا والكتاتيب في تحفيظ القرآن الكريم والمحافظة عليه حيًّا في النفوس، ومن ثمّ بالدور التعليمي والتوعوي رغم عرقلة فرنسا لنشاط هذه الزوايا من خلال زرع بذور الفتنة بتطبيقها لشعار (فرّق تسد) وما صدر من بعض أتباع هذه الزوايا من أخطاء .

. لقي التعليم الديني بصفة عامة و القرآني منه بصفة خاصة رواجا واهتماما كبيرين (بمنطقة سوف) ولعل سبب ذلك يعود لعوامل أهمها :

1- حاجة أهل المنطقة للقرآن قصد التعبّد ومكانة ذلك في قلوب المسلمين .

2- قيمة "معلّم القرآن أو نعم سيدي" في المجتمع واحترام الجميع له.

3- افتخار الوالدين والمجتمع عموما بالابن الحافظ للقرآن خاصّة حين يؤمّ النّاس في التّراويح خلال شهر رمضان .

4- حفظ القرآن يجعل صاحبه له الحقُّ في تعليم القراءة أو مواصلة الدراسة في جامع الزيتونة في تونس [14].

وإلى جانب هذا النّوع من التّعليم القرآني الذي تحمّلت مسؤوليته المدارس القرآنية والزّوايا كانت هناك مراكز أخرى بالمنطقة للتّعليم الحرّ الذي اكتسى طابعا عصريا وإصلاحيا .

إن حب مجتمع المنطقة للعلم طبيعة راسخة فيه ، يظهر ذلك من خلال سعيه المستمر للبحث عن مصادره التي برزت كذلك في التعليم العربي الحر الذي يغلب عليه الطابع الديني واللغوي فكان تعليما عربيا في لغته وطنيا في أغراضه وأهدافه [15] ؛وقد اشتدّ أمر هذا النوع من التعليم وتطوّر بشكل ملحوظ سيما بعد ظهور الحركة الإصلاحية بالمنطقة وتوسُّع نشاطها [16] . فشهدت حاضرة " قمار" بذور هذا التعليم وتجسّد في النشاط التعليمي والدّعوي للمساجد ، ودور عدّة شيوخ أفاضل منهم "عمار بن لزعر" [17] كما أن "الزّقم" كذلك عرفت نشاطا تعليميا بفضل شيوخها الذين كانوا أكثر تحرّرا من تأثير الطرق الصوفية وزخرت بعدد معتبر من العلماء من بينها (الشّيخ محمد العربي بن محمد الصالح بن موسى "موساوي" ،والشّيخ عبد الرّحمن العمودي والشّيخ الحاج علي بالقيم والشّيخ إبراهيم العوامر صاحب كتاب (الصروف) وغيرهم من الشيوخ والعلماء الذين قاموا بدور تعليمي ووعظي وإرشادي في المساجد والزّوايا .إضافة إلى هؤلاء ونشاطهم التعليمي والإصلاحي من خلال نشر العلم وتحويل الزّوايا إلى منارات علمية كان أيضا إنشاء وفتح المدارس ومنها (مدرسة النجاح[20]) بقمّار التي

تأسّست في الثلاثينات من القرن العشرين من طرف (جمعية الإصلاح) [21] ، حيث عرفت نشاطا تربويا وتعليميا سواء في عهد الشّيخ "عبد القادر الياجوري"،أو بعدما التحق بها الشّيخ "الطاهر التليلي" في مارس1938م ؛حيث وضع لها منهجا تربويا تعليميا يجمع بين محاسن الطرق التقليدية والطرق التربوية الحديثة [22]،إضافة إلى "مدرسة النجاح" كانت "المدرسة العصرية" [23] بالوادي التي أسّسها الشّيخ عبد العزيز الشّريف [24] بعد تأثّره وانتمائه للحركة الإصلاحية [25] .

- اختلف النّظام التّعليمي في المدارس الحرّة (الإصلاحية) عمّا هو موجود في الزّوايا والمساجد ، فالمدرسة بها تقوم على أسس تنظيميّة فهي تجمع بين محاسن الطرق التّقليدية والطرق التّربوية الحديثة في ذلك الوقت طبعا ، وهي تعتبر أهمّ انجاز حضاريّ في تلك الظّروف الاستعمارية بالمنطقة فضلا عن نشاط العلماء والمصلحين الذين وقفوا في طريق تنفيذ فرنسا لمخطّطاتها الشّيء الذي حمل السلطات الفرنسية باتّخاذ إجراءات عدائية ضدّ هؤلاء الشّيوخ ؛ بالتضييق عليهم وعلى هذه المدارس ومحاربتها .

- **موقف الإدارة الفرنسية من التعليم العربي :**

تحمّلت المساجد والزّوايا والمدارس القرآنية وكذا الحرّة مهمّة المحافظة على قيم ومبادئ وعقيدة سكّان المنطقة ومقوّماتها، وهذا الأمر لا يروق لفرنسا ممّا جعلها تقف موقفا عدائيا ومنها وتجلّى ذلك في :

– اضطهاد معلّمي القرآن والعلماء والمصلحين والأئمّة والمدرّسين في مدارس التعليم العربي الحرّ، وحرمانهم من رخص التّعليم،والتضيّيق عليهم،وحملات الاعتقال و تقديمهم للحاكم بدعوى انتهاك القوانين وغير ذلك مثلما حدث للشيخ عبد العزيز الشريف، وعبد القادر الياجوري والهاشمي الدرّاجي الذين سُجنوا بالوادي ثم بقسنطينة والشيخ عبد الرحمن معمري ومسعود عباسي سُجنا بتقّرت [26]. وقابل هؤلاء العلماء والمعلّمون ضغوط فرنسا بروح من التحدّي والصمود رغبة في مواصلة مسيرة التعليم والإصلاح.

ـ إغلاق المدارس، قصد الحدّ من نشاطها وتأثيرها على سكان "منطقة سوف" مثلما حدث (للمدرسة العصرية بالوادي) .

ـ محاولة صدّ التلاميذ عن المدارس الحرّة للتقليل من عددهم ، والترهيب من الالتحاق بها ، مقابل الترغيب بوسائله المختلفة في الالتحاق بالمدارس الفرنسية ، من خلال محاولة إعادة المنقطع عنها وإرجاعه . [27]

– تشديد الرقابة على هذه المدارس والتضيّيق عليها ، بمتابعة المناهج ومراقبة عملية التعليم بها. [28]

ـ ظهور التعليم الفرنسي بسوف:

عملت الإدارة الفرنسية منذ استقرارها بالجزائر وبسط نفوذها على تأسيس المدارس وفتحها خدمة لأغراضها ، وتنوعت هذه المدارس من حيث التسمية والهيكلة باختلاف الظّروف في الجزائر [29] وأول مدرسة فرنسية أنشئت لتعليم الجزائريين اللّغة الفرنسية هي (المدرسة العربية الفرنسية) بالجزائر العاصمة سنة 1836.[30]

– والواقع أنّه منذ 1865م بدأت قضية تعليم الجزائريين تلْقى نوْعا من العناية والاهتمام [31] فقد اقترح حاكم الجزائر العام ((باتريس مكماهون)) [32] خلال تلك الفترة أن تكون البرامج التعليمية في المدارس العربية – الفرنسية مشابهة لبرامج المدارس الفرنسية بفرنسا [33] ، وبعد صدور مرسوم 1883/02/13 ، وضعت الأسس العامّة لتنظيم المدارس الأهلية بالجزائر [34] ، ولعلّ ظهور التعليم الفرنسي بمنطقة سوف كان من ضمن نتائج هذا المرسوم ، وبربط الأحداث كان لا بد من انتظار ثلاثين سنة أو ما يزيد بعد استقرار السلطات الفرنسية بالمنطقة [35].

– تؤكّد المصادر [36] أنّ أول مدرسة فرنسية بالمنطقة هي :

"**مدرسة الأهالي**" بالوادي المعروفة حاليا بـ "مدرسة ميهي بالحاج" وقد افتتحت المدرسة في 1886/11/02 م تحت إدارة "قراي تيودور سيلا" ، و استقبلت المدرسة بذلك أول فوج دراسي خلال السّنة الدراسية (1886- 1887م) [37] .واستمرت الإدارة في توسيع دائرة التعليم الفرنسي بالمنطقة فعملت على فتح مدرسة أخرى بمنطقة كوينين سنة 1893م ومدرسة ثالثة بقمار والمعروفة بـ "**المدرسة الأهلية**" حيث بدأت الأشغال بها سنة 1904م وافتتحت خلال الموسم الدراسي (1907- 1908م) . [38]

– أما بالنسبة لمدرسة الأهالي فقد بدأت عمليات البناء والإنشاء بها سنة 1884م ، وتزامنا مع هذا فقد عمدت السلطات الفرنسية إلى فتح قسمين لتعليم الكبار حيث تم كراء منزلين بحي "أولاد احمد" ، واختير للمدرسة مجال مناسب لها فتطلّب اختيار موقعا تخطيطيا دقيقا بحيث كان في منطقة قريبة للأهالي في الأحياء الثلاثة العتيقة (الأعشاش – المصاعبة – أولاد أحمد) كما أنّها وسط الحيّ الأوربي [39] ، وقرب الثّكنة العسكرية والإدارة الفرنسية ممّا يوفّر لها الحماية في وقت الحاجّة.

إنّ تغيُّر فكر ومظهر المتعلّم في المجتمع وتأثير الأحداث المحلّية والعالمية على السكّان ، وحصول المتعلّمين على عمل ذو دخل معتبر وغير ذلك ، هذا كلّه أدّى إلى تغيّر نظرة المجتمع والأهالي للمدرسة والتعليم بها الفرنسي عموما ، فأدّى ذلك إلى إقبال التلاميذ على الدّراسة بدافع من عائلاتهم بمرور الزمن الأمر الذي أدّى بالإدارة الفرنسية للتفكير في توسيع مدرسة الأهالي ، من خلال فتح مدارس في المناطق المجاورة مثل : كوينين ، وقمار على التوالي – كما أسلفنا – وتتابع الأمر بفتح مدارس أخرى في : الرّقم – البهيمة – والمقرن – ورماس – الرقيبة – البيّاضة – سنة 1947 ، وبنت أخرى في تكسبت 1949 ثم الطريفاوي ، وحاسي خليفة وعميش 1952 ، وهكذا توالي إنشاء المدارس بالمنطقة خدمة لمصالحها ، وللإشارة بعد إقبال البنات على الدّراسة عملت السلطات الفرنسية على فتح مدرسة البنات 1949 .[40]

– إنّ البرامج التعليمية المطبّقة في هذه المدارس ظلّت ذات طابع فرنسي وتعدّدت المواد فيها أكثرها : اللغة الفرنسية – الحساب– التاريخ – الجغرافيا – الرسم – التربية الخلقية – العمل اليدوي – اللغة العربية – الأناشيد وغيرها من المواد.

– كما أوْلت المدرسة اهتماما بالبرنامج الصحّي لأنّ سلامة العقل من سلامة الجسم ، إضافة إلى برامج ترفيهية ورياضية مثل : الرّحلات والسينما والخرجات الميدانية وتقديم وجبات إطعام مدرسية.[41]

موقف سكان سوف من هذا التعليم :

من خلال تتبُّع بسيط لإحصاء التلاميذ المسجّلين منذ افتتاح المدرسة الفرنسية يلاحظ وجود اضطراب في عدد التلاميذ الملتحقين به خلال السنوات الأولى ، ربّما يعود ذلك إلى قلّة الإقبال في البداية ورفض الأولياء لهذا النوع من التعليم ، ويفسّر ذلك ربّما خوفا على عقيدة أبنائهم أو انحراف تصرُّفاتهم أو حتَّى العار الذي يلحق بالوليّ الذي يتعامل مع الاستعمار ، أمّا بالنّسبة لمدرسة الأهلية بقمّار الذي سُجّل بها إقبال واسع أثناء افتتاحها بـ(122) تلميذا رغم عدم توفُّر الحجرات حيث أُفتتحت بحجرتين فقط [42] ، مقارنة بمدرسة الأهالي وهذا الأمر يعود في اعتقادنا إلى :

1– وقوع المدرسة في موقع مهم بين تجمعين سكّانيين هما قمار و تاغزوت .

2- افتتاح المدرسة بعد حوالي عشرين سنة من افتتاح مدرسة الأهالي ، وهذه فترة زمنية كفيلة بتغيّر نظرة الأهالي (سكّان سوف) للتعليم الفرنسي.

3- حصول بعض التلاميذ على الشهادة الابتدائية ممّا فتح لهم أفاق في مواصلة الدّراسة لنيل شهادات علمية أخرى ، بحصولهم على منح مدرسية ، أو ولوج عالم الشّغل وتحسّن مستواهم المعيشي.

كما يلاحظ أيضا أنَّ كلَّ الملتحقين بالمدرسة الفرنسية ذكورا ، وذلك نابع من صميم خصوصية أهل المنطقة حيث نجد مثلا بالنّسبة لمدرسة الأهالي بالوادي كان التحاق أوّل بنت بالمدرسة في سنة 1927م ، وكذلك الأمر بالنسبة للمدرسة الأهلية بقمّار في سنة 1948م ، أي بعد حوالي 40 سنة من افتتاح المدرستين على التوالي .

تأثير التعليم الفرنسي على سكان المنطقة :

لم تدخر المدرسة الفرنسية جهدا لتحقيق الأهداف المسطرة لها من خلال برامجها المتنوعة وظهر ذلك في مدى تأثر سكان المنطقة على جميع المستويات ثقافيا – سياسيا – اقتصاديا و اجتماعيا ويتضح ذلك في :

- خلق فئة من الأهالي مشبعة بالثقافة الفرنسية في لغتها وفكرها وسلوكياتها.

- إن إرسال بعض التلاميذ في رحلات نحو فرنسا يولد لدى البعض الإعجاب بالثقافة الفرنسية والمصادر المرتبطة بها أو غرس محبة وطن آخر غير وطنهم من خلال تحية العلم أسبوعيا أو يوميا .

- وجود هذا النوع من التعليم في المناطق الصحراوية النائية يكون له جانب من التأثير بأن فرنسا صاحبة رسالة حضارية مما يبطل في النفوس روح المقاومة .

- – تسلل ألفاظ غريبة عن لغتنا العربية في التخاطب عند الأهالي ومازال ذلك واقعا نعيشه إلى اليوم .

- – قيام المدرسة بعمل استخباراتي ، ولو بطريقة غير مباشرة من خلال متابعة التلاميذ حتى المنقطعين عن المدرسة ، أو بتجميع المعلومات الخاصة بحياة الأهالي وما يشاع في أوساطهم من مواقف اتجاه السلطة الاستعمارية. (43)

- العمل على تغيير نظرة الأهالي نحو فرنسا من خلال رحلات خارج المنطقة إلى المشال والمناطق الساحلية والوقوف على أهم المنجزات الاستعمارية (طرق – جسور – مباني .....) .[44]

- كما يجب علينا ألا نغفل على بعض الجوانب ذات قيمة على سكان المنطقة ومنها :

- – اكتساب وتوسع الثقافة الصحية بين الأبناء المتمدرسين ومن ثم عند الأهالي ، حيث تقوم المدرسة بمراقبة التلاميذ في نظافة اللباس – الأجسام ، وحتى تقليم الأظافر ، ووضع دفاتر صحية للمتابعة وإرسال التلاميذ إلى الوحدة الصحية .

- توسع عدة مهن ووظائف بالمنطقة من خلال تشجيع العمل اليدوي كصناعة الزرابي وغيرها ، أو بحصول العديد من التلميذ على شهادات تمكنهم من مزاولة أعمال ووظائف مختلفة.

- انتشار الوعي الوطني وتوسع العمل الإصلاحي حيث أن بعض التلاميذ الذين درسوا في هذه المدارس أصبحوا من رجال الحركة الإصلاحية (محمد الأمين العمودي) ورجال الحركة الوطنية والنضال

المسلح بعد ذلك ومنهم [الهاشمي ونيسي – أحمد ميلودي – ميهي محمد بالحاج – العربي بن علي –حفوظة داسي – (قمار)].

- تحقيق التعايش النسبي بين النسيج الاجتماعي للمجتمع بين الأوربيين – اليهود – المسلمين.

الخاتمة

من خلال الوقوف على محطات التعليم الفرنسي بمنطقة "سوف" يتضح لدينا ما يلي :

- وجود صراع قائم بين التعليم العربي والتعليم الفرنسي .
- رغم نجاح هذا النوع من التعليم بتحقيق بعض التأثير في أخلاقيات وسلوكيات المجتمع غير أنه لم يفلح في تنصيره ، وسلخه من دينه.
- سعى هذا التعليم إلى تكريس ثقافة النشاط المهني مما انعكس إيجابيا على بعض الأهالي وتنشيط الحركة التجارية بالمنطقة
- إن طيبة أهل المنطقة أثرت في بعض المدرسين الفرنسيين حيث مكث هؤلاء بالمنطقة حتى بعد الاستقلال.

- تعد مدرسة الأهالي (مدرسة ميهي بالحاج حاليا) هي نواة التعليم الفرنسي بمنطقة "سوف" وبتوسعها تشجعت فرنسا على إقامة مدراس أخرى للقيام بمهمة التعليم الفرنسي

الهوامش

(1) – الدوق دومال : هو الحاكم العام للجزائر مابين أكتوبر 1847م ومارس 1848

(2) – محمد حناي : المدرسة الأهلية بقمار بين نشر التعليم وسياسة التغريب (1907-1962) مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ (مخ) تحت إشراف الأستاذ : إشراف الأستاذ : موسى بن موسى – المركز الجامعي بالوادي جوان 2010 ص : 45.

(3) – بن سالم الشايع وآخرون : التعليم الفرنسي في وادي سوف . مدرسة الأهالي نموذجا – مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس في التاريخ (مخ) تحت إشراف د/ علي غنابزية – المركز الجامعي بالوادي جوان 2009 ص : 06

(4) – مقرها الرئيسي في – الوادي

(5) – تنسب هذه الزاوية لـ ((سيدي سالم العايب)) ومقرها بسوق الوادي شرق حي الأعشاش

(6) – مقرها الرئيسي في – قمار–

(7) – مؤسسها هو : قروي محمد المدعو : القروي أنشأها في أرض ملكا له . بداية القرن (20م) حوالي 1918م.

(8) – سميت بهذا الاسم نسبة إلى الحرف الأول من هذه الأبجدية ((أ)).

(9) – هي تسمية تطلق في منطقة سوف على مؤدب ومحفظ القرآن للصغار وتدل على التبجيل والتعظيم والاحترام.

(10) – علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 19 م رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، تحت إشراف د.عمار بن خروف . جامعة الجزائر أفريل 2002 ص : 150.

(11) – مخلاة : جراب مصنوع من الكتان أو الصوف لها استعمالات أخرى منها حمل الطلع أثناء عملية تلقيح النخيل (التذكير)

(12) – علي غنابزية : المرجع السابق ص : 150

(13) – موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف ، ونشأتها وتطورها (1900- 1932) رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ الحركة الوطنية (مخ) .إشراف د/أحمد صاري جامعة منتوري ، فيفري 2006 ص : 76

(14) – بن سالم الشايع و آخرون ((التعليم الفرنسي ...)) المرجع السابق ص : 11

(15) – رابح تركي : التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931-1956)ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981 ص : 229.

(16) – أبو القاسم سعد الله : أفكار جامحة (دط) المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1998 ص : 17.

(17) – عمار بن لزعر : أحد علماء منطقة سوف ، وشيخ من شيوخ الحركة الإصلاحية ولد سنة 1898، وحضر الاجتماع التأسيسي لـ (ج،ع،م،ج) سافر للحج وتوفي هناك 1968.

** – الزقم : بلدة عتيقة تبعد عن الوادي بحوالي 12 كلم تابعة حاليا إداريا لبلدية حساني عبد الكريم .

(18) – موسى بن موسى : إرهاصات الحركة الإصلاحية بوادي سوف مطلع القرن 20م قمار نموذجا . من إصدارات الجمعية الثقافية محمد الياجوري بقمار ص : 59.

(19) – بن سالم الشايع وآخرون: المرجع نفسه ص : 13.

(20) – مدرسة النجاح تأسست سنة 1931م حسب الطاهر التليلي . ينظر محمد حناي : المدرسة الأهلية ، مرجع سابق

(21) – محمد حناي : المرج السابق ص : 102.

(22) – محمد حناي : المرج السابق ص : 104.

(23) – تأسست حوالي سنة 1938 بعد عام من زيارة الإمام ابن باديس لمنطقة سوف أواخر 1937.

(24) – عبد العزيز الشريف : ولد بالبياضة في سنة 1898، قام بمجهود كبير في نشر العلم بمنطقة سوف توفي 1965.

(25) – بن سالم الشايع وآخرون : مرجع سابق ص : 15.

(26) – بن سالم الشايع وآخرون : المرجع نفسه ص : 17.

(27) –إبراهيم مياسي:جهاد الشيخ عبد العزيز الشريف،مجلة الثقافة العدد 09 جويلية ـ أوت 1995 ص: 176.

(28) – بن سالم الشايع وآخرون : نفسه ص : 18.

(29) – نفسه نفسه ص : 19

(30) – عبد القادر حلوش : سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ط1 دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 1999 ص : 39.

(31) – وذلك بعد زيارة نابليون الثالث الجزائر.

(32) – هو ((باتريس مكماهون)) (1808-1893) الحاكم للجزائر مابين (1864-1870).

(33) – أنظر عبد القادر حلوش : المرجع السابق ص : 52

(34) – بن سالم الشايع وآخرون : مرجع سابق ص : 19.

(35) – تم الاستقرار النهائي لفرنسا في منطقة سوف سنة 1854م

(36) – اعتمادا على أول سجل قيد للتلاميذ :انظر بن سالم الشايع وآخرون جزء الملاحق: الملحق رقم (8)-(أ)

(37) – بن سالم الشايع وآخرون : المرجع السابق ص : 22.

(38) – محمد حناي : مرجع سابق ص : 47

(39) – الحي الأوربي : يشمل حاليا بناءات جديدة هي : متحف المجاهد نزل سوف – البناء المخصص للمصالح العسكرية – مديرية البيئة – مديرية الثقافة .

(40) – Andrée Roger voisin : Le Souf Monographie lu et révise par Ali Abid .EL Walid Edition El oued.2004.p : 273

(41) – بن سالم الشايع وآخرون : مرجع سابق ص ص: 47-57.

(42) – فتحت المدرسة الأهلية بقمار سنة 1907م بحجرتين فقط ينظر محمد حناي : مرجع سابق ص : 54

(43) – بن سالم الشايع وآخرون : مرجع سابق ص ص : 59-63.

(44) – ينظر محمد حناي : مرجع سابق ص : 97

شركة آل المقري التجارية و دورها في تمتين العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي .

د. هوارية بكاي

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

الملخص:

تعالج هذه الدراسة الموسومة بـ: "**شركة آل المقري التجارية ودورها في تمتين الروابط التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي**" دور آل المقري في تمتين الروابط بين الاقتصادية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي من خلال شركتهم التجارية ،ودورها أيضا في لعب دور الوسيط بين مختلف دول المغرب الإسلامي وأوربا من جهة والسودان الغربي من جهة أخرى ،كما تعالج هذه الدراسة كذلك الأوضاع والإمكانيات الاقتصادية في الإقليمين.

Abstract .

This study tagged as: ***"Al-Maqqari Family's trading company and its role in strengthening trade ties between the Central Magherib and Western Sudan"*** deals with the role of Al-Maqqari Family (Al Al-Maqqari) in strengthening the economic ties between the 'Central Magherib' and the 'Western Sudan' through their commercial company and also its role in playing the role of the mediator between the different countries of the Islamic Magherib and Europe on the one hand and the Western Sudan on the other hand.

This study deals also with the economic conditions and potentials in the two regions.

احتل المغرب الأوسط على عهد الدولة الزيانية[1]مركزا مرموقا بفضل هذه الدولة التي استطاعت أن تجد لنفسها مكانة هامة بين الدول التي تعاقبت على حكم المغرب الإسلامي عامة ،والمغرب الأوسط خاصة .

حيث أصبحت تلمسان حاضرة الدولة من أهم حواضر العالم الإسلامي ،بفضل ما وصلت إليه من ازدهار علمي و تطور حضاري ،و نماء عمراني ،و انتعاش اقتصادي .و استطاعت بذلك الانتقال من طور البداوة إلى طور الحضارة ،بل و استطاعت النهوض بالمغرب الأوسط ككل خاصة حينما تغلبت على فترات الضعف و الهيمنة الأجنبية التي تعرضت إليها من جارتيها الحفصية شرقا ،و المرينية غربا.[2]

و كان ذلك بفضل استفادتها من الإرث الحضاري للدول التي تعاقبت على حكمها ،خاصة الأدارسة والمرابطين و الموحدين . إضافة إلى رافدي الأندلس والمشرق الإسلامي التي استفادت منهما بفضل الرحلة العلمية المتبادلة معهما [3].

كما كان لحكامها من بني عبد الواد الدور الكبير في توطيد العلاقات السياسية و الاقتصادية والثقافية مع الدول المجاورة من مسلمة و مسيحية ،و مع الأقطار البعيدة ،العربية و الافريقية .

ونتيجة لهذا التطور الذي عرفه المغرب الأوسط ،وخاصة حاضرته تلمسان ظهرت مجموعة من الأسر التلمسانية ساهمت بشكل كبير في توطيد تلك العلاقات ،وخاصة التجارية منها مثل آل مرزوق وآل النجار ،وآل المقري. هذه الأسرة الأخيرة تمكنت من تأسيس شركة تجارية ساهمت كثيرا في تمتين العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي.

فمن هي عائلة المقري ،وما أصلها ؟و من هم مؤسسو الشركة التجارية ؟و ما هي أهم نشاطاتها ؟و ما هي المسالك التي كانت تسلكها ؟و كيف كانت مساهمتها في تمتين العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي؟

الاجابة على هذه التساؤلات و غيرها هي موضوع بحثنا هذا و الذي عنوناه بـ:" **شركة آل المقري التجارية و دورها في تمتين العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي** ".

1-المجال الجغرافي للمغرب الأوسط و السودان الغربي:

أ- المجال الجغرافي للمغرب الأوسط:يشغل المغرب الأوسط الرقعة الجغرافية التي تمتد من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى –التي تفصله عن السودان الغربي- جنوبا ،ومن وادي ملوية ووادي زا اللذان يفصلاه دولة بني مرين- غربا ،إلى الواد الكبير –الذي يفصله عن دولة بني حفص-شرقا[4].

ب- المجال الجغرافي للسودان الغربي: يشغل السودان الغربي الرقعة الجغرافية المحصورة بين الصحراء الكبرى شمالا و خليج غانا جنوبا ،و المحيط الأطلسي غربا و بحيرة تشاد شرقا[5].

2- الأوضاع الاقتصادية بالمغرب الأوسط التي تأسست فيها شركة آل المقري:

لم يختلف النشاط الاقتصادي للدولة الزيانية عن النشاط الاقتصادي السائد في العالم الاسلامي آنذاك ،حيث يمكن تصنيفه ضمن ما يعرف بالاقتصاد

الحر الذي يخضع للقيم الاسلامية ،ويقوم هذا الاقتصاد على ثلاثة دعائم أساسية هي : الفلاحة، التجارة، و الصناعة[6].

أ–النشاط الفلاحي .

يعتبر النشاط الفلاحي الركيزة الأساسية التي يقوم عليها اقتصاد الدولة الزيانية ، على اعتبار أن غالبية سكان هذه الدولة يمارسون النشاط الفلاحي ،وهذا ما نستشفه من قول صاحب الاستبصار : " ... و للمغرب الأوسط مدن كثيرة وهي كثيرة الخصب و الزرع ،كثيرة الغنم والماشية طيبة المراعي... "[7].

و يتميز النشاط الفلاحي في الدولة االعبد الوادية بطابعه الاقطاعي ،حيث كانت معظم الأراضي في هذه الدولة عبارة عن اقطاعات للقبائل والعشائر البربرية ،والعربية [8].

والاقطاع هنا يعني الالتزام بخدمة الأرض ،لأن الغرض من الاقطاع في الاسلام هو التشجيع على استصلاح الأرض وخدمتها[9].

وأول من عمل بنظام الاقطاع في الدولة الزيانية هو مؤسسها يغمراسن بن زيان الذي أقطع البطحاء وسيرات وهوارة لمشايخ قبيلة سويد العامرية [10]،وتبعه في ذلك بنوه من سلاطين الدولة.

يتم النشاط الفلاحي في الدولة الزيانية على محورين هما : الزراعة ،وتربية المواشي والابل.[11]

أ–1– الزراعة:

كانت الزراعة في الدولة العبد الوادية تمارس في نمطين أولهما ،نمط الزراعة الموسمية ،والثاني يتمثل في الزراعة المستقرة الدائمة .وكان هذا النمط الأخير يمارس في المناطق الساحلية و الهضاب العليا ، ما بين وادي ملوية ووادي يسر حيث التربة الخصبة ، والهطل ،والأودية الجارية كوادي شلف ووادي مينا[12].

فكانت زراعة الحبوب تمارس بسهل المتيجة ،وبرشك ،وتنس ،ومستغانم ،ووهران

،وأرشكول [13]. وسهول هنين ،وتاسلة ،ووادي شلف ،وتيارت ،والأراضي المحيطة بتلمسان.[14]

اضافة الى الحبوب من قمح وشعير ،وحنطة ،وذرة ،مارس السكان زراعة منتوجات أخرى منها: الخضر والفواكه ،والتين والزيتون ،والرمان ،والكرنب والخص واللفت والخيار ، والفقوس والبطيخ والاجاص[15].

و يذكر حسن الوزان منتوجات زراعية أخرى حين يقول :"... وفي خارج تلمسان ممتلكات هائلة فيها دور جميلة للغاية ينعم المدنيون بسكنها في الصيف ،حيث الكروم المعروشة الممتازة تنتج أعنابا من كل لون ،طيبة المذاق جدا ،وأنواع الكرز الكثيرة التي لم أر لها مثيلا في جهة أخرى ،والتين شديد الحلاوة ،أسود غليظ طويل جدا ،يجفف ليؤكل في الشتاء ،والخوخ والجوز واللوز والبطيخ والخيار ،وغيرها من الفواكه المختلفة... " ،وهو نفس ما ذهب اليه صاحب البغية[16].

و كان جبل بني يزناسن يعطي الكثير من الخروب ، والذي كان الغذاء الرئيسي لسكان المنطقة المتاخمة لقفر أنجاد، وكذلك كانت جبال مطغرة و ولهاصة إضافة إلى القمح و الشعير[17].

أما التمور فقد انحصر انتاجها بنواحي تلمسان وتيكورارين شمال اقليم توات ،واشتهرت مدينتا الجزائر وتنس بإنتاج العسل والشمع ،و أما القطن و الكتان فكانت زراعتهما تمارس ببرشك ،وهنين ،وندرومة ،ومستغانم ،وانتاج الحرير كان يمارس بشرشال[18].

أ–2– الثروة الحيوانية :

ظلت تربية المواشي ملازمة لممارسة الزراعة فيمختلف الدول ،وعبر جميع العصور ،وهي قاعدة لم تشذ الدولة الزيانية عنها. حيث اهتم سكان هذه الدولة بممارسة هذا النشاط ،فنجد سكان المناطق الجبلية يهتمون بتربية المواشي ،ومنهم مغراوة وتوجين[19]. وكانت أغلب حيوانات قبائل الجنوب من الماعز والابل[20]، واهتم سكان السهول والهضاب – و منهم أهل تلمسان – بتربية الخيل و البغال ،والحمير[21].

كانت تربية الماشية ،و الابل – خاصة – نشاطا معاشيا ذا أهمية بالغة لما يوفره من مواد ، سواءا الاستهلاكية منها ،أو تلك التي تستعمل كمادة أولية في مختلف الصناعات . منها اللحوم والشحوم ،والألبان ومشتقاتها ،و الأصواف و الجلود[22].

أما الخيل ،والبغال ،والحمير فكانت تستعمل كقوة محركة ،ومنها الجر ،وحمل الأمتعة ،والبضائع في القوافل التجارية ،و غيرها من المآرب[23].

وكانت بلاد المغرب الأوسط كثيرة المواشي و الغنم ،طيبة المراعي فالمسيلة كانت تكثر بها المواشي والبقر ،وكانت جزائر بني مزغنة أكثر أموال أهلها المواشي من الأغنام و البقر ،ولأهل شرشال أغنام كثيرة ،ومثلها مدينة برشك ،وكانت مستغانم زكية الزرع والضرع بل انها مشتقة من " مشتى غنم "[24].

كما اشتهرت مدينة تنس بتربية الماعز ،والنحل حيث كانت منتجاتهم من الجلود والشمع تسوق عبر البحر إلى أوربا. واشتهرت مدينة وجدة بتربية الحمير الكبيرة الأجسام ،والبغال العالية التي كانت تباع بأغلى الأثمان في أسواق تلمسان[25].

ب– النشاط الصناعي :

ظهرت ببلاد المغرب على العهد الزياني عدة صناعات – ولو أنها في مجملها ذات طابع تقليدي – تختلف أنوعها باختلاف المناطق ،حيث نجدها في المجتمع البدوي صناعات استهلاكية ،لا تتعدى حاجياتهم من ملبس ،وخيام ،و الأدوات المستعملة للدفاع عن النفس[26].

بينما نجدها في المدن تتميز بالتنظيم والاحتراف ،يمارسها صناع مهرة متخصصون ،ودليل ذلك انتشار المراكز الصناعية عبر مختلف مدن المغرب الأوسط ،مثل تلمسان والمسيلة ،و جزائر بني مزغنة[27]،وما ذكره الوزان عن حال الصناع الذين كانوا أقوياء يعيشون في هناء ومتعة[28].

وقد اشتهرت تلمسان بالصناعات الصوفية التي كانت تصدر نحو المغرب والمشرق ،وصناعة الأقمشة المصنوعة من الحرير، أو الصوف ،ومنها قماش التلمساني المعروف آنذاك ،ومن الملبوسات التي اشتهرت بها تلمسان كذلك البرانس و العمائم[29].

كما اشتهرت شرشال كذلك بالمنسوجات الحريرية ،و اشتهرت هنين بالمنسوجات القطنية[30].

ويجمل لنا يحي بن خلدون مختلف الصناعات التي عرفتها الدولة الزيانية في قوله: "...وإن دار الصنعة السعيدة تموج بالفعلة على اختلاف وتباين لغاتهم

وأدياتهم ،فمن: دارق ورماح ،ودراع ،ولجام ،ووشاء ،وسراج ،وخباء ،ونجار ،وحداد ،وصائغ ،ودباغ ، وغير ذلك ،فتستك أصواتهم وآلاتهم الأسماع ،وتحار في أحكام صنائعهم الأذهان ،وتقف دون بحرهم الهائل الأبصار... "[31].

كما كانت ندرومة مزدهرة بصناعة الأقمشة القطنية نظرا لكثرة القطن الذي كانت تنتجه أراضي هذه المنطقة[32]. و مارس أهل تافسرة الحدادة نظرا لوجود منجم للحديد بقربها، حيث اهتمامهم بهذا النشاط أكثر من اهتمامهم بالنشاط الفلاحي ،وكانت منتجاتهم تنقل إلى أسواق تلمسان[33]. وكان معظم أهل وهران من الصناع والحاكة[34]. أما مدينة شرشال فاشتهرت بعد وصول الأندلسيين بصناعة السفن ،و صناعة الحرير نظرا لوفرة كميات لا تحصى من أشجار التوت الأسود و الأبيض[35].

ج- النشاط التجاري:

يمارس هذ النشاط على المستويين الداخلي ، و الخارجي .

ج-1- التجارة الداخلية:

جرت عادة سكان المغرب الأوسط على اقامة الأسواق حيث توجد التجمعات السكانية ،أين كانوا يخصصون مكانا يجتمعون فيه لبيع منتوجاتهم ،أو التزود بما يحتاجونه من بضائع . وكانت الأسواق تقام أحيانا في نطاق دائرة أمير قادر على توفير الأمن والحماية لمرتاديها ،لذلك غالبا ما كانت هذه الأسواق تحمل اسم ذلك الأمير ،فيقال : سوق حمزة ،سوق ابراهيم ،سوق يوسف ... [36].

وكانت الأسواق منتشرة عبر جميع أنحاء المغرب الأوسط. ومنها تلمسان ،و وهران ،ومستغانم ،وتنس ،وجزائر بني مزغنة [37].

وكانت الأسواق تجسد علاقة الريف بالمدينة ،حيث كان سكان البوادي والمناطق الجبلية يزودون سكان المدن بما يحتاجونه من منتوجات ،كالحليب والعسل والحطب والفحم،[38]ويتزودون من المدينة بما يحتاجونه من ألبسة ونعال وأواني وقناديل ،و غيرها من بضائع [39].

وكانت أسواق الحيوانات تقام خارج أسوار المدينة ،كما كان للأسواق حراس لحراسة الدكاكين ،والبضائع معا [40].

ب-2- التجارة الخارجية:

إن موقع المغرب الأوسط جعل أسواق الدولة الزيانية همزة وصل بين أسواق المغرب و المشرق ،وبين أسواق أوربا و افريقيا السوداء[41]. و التجار في الدولة الزيانية إما من أصل اسلامي محلي أو من الذميين اليهود ،أو من مواطني الدول الأوربية مسيحيين و يهود ،على أن أنشط التجار كانو من اليهود. الذين تزايد عددهم منذ سنة 1391م (793هـ / 794 هـ) بعدما اظطهدهم النصارى بالأندلس[42]. ،فكانو ينتقلون مع القوافل التجارية بين مختلف المدن المشهورة بأسواقها ،سواءا بالمغرب الأوسط ،أو اوربا ،كما كانوا يقومون بدور الوسيط بين التجار المسلمين والتجار الأوربيين[43].

أما فيما يخص السلع فنجد السوق الزيانية تزود افريقيا السوداء بالأسلحة ،والمصنوعات الزجاجية ،وبعض المنتوجات الزراعية ، وهذه السلع إما محلية ،أو اوربية يعيد تجار بني زيان بيعها. وتزود المدن الأوربية بالمنتوجات الزراعية و العسل و الزيت ، و كذلك الصوف و الجلود ،اضافة الى السلع الواردة من افريقيا

السوداء.بالمقابل كانت السلع الواردة الى المغرب الأوسط من أوربا تنحصر في المنسوجات والأسلحة من رماح وسيوف وخناجر ،وكان العبيد و الذهب أهم السلع الواردة من افريقيا السوداء[44].

أما المسالك و الطرق التجارية فيمكن أن نميز منها :

* **الطرق الداخلية** : و أشهرها الطريق الذي سلكه ابن بطوطة والعبدري ،والذي ينطلق من تازة إلى بجاية مرورا بندرومة ،تلمسان ،مستغانم ،مازونة ،تنس ،مليانة ،و الجزائر[45].

* **الطرق الخارجية** :

وأهمها الطريق العابر للصحراء و الذي ينطلق من تلمسان الى مالي عبر سجلماسة ،وتغازي ،وزاغري ،وكارسحو.

و الطريق الذي ينطلق من منسا عبر ميما ،وتمبوكتو ،وكوكو ،وتكدا ،والهقار ،إلى توات ،إلى سجلماسة ،ومنها إلى تلمسان [46].

* **الطريق البحري** :

كانت التبادلات التجارية مع أوربا تتم عبر البحر الأبيض المتوسط انطلاقا من الموانئ التالية: هنين ،وهران ،أرزيو ،تنس ،برشك ،شرشال ،والجزائر[47].

3-نسب آل المقري:

ينسب آل المقري لجدهم الأكبر علي بن داوود المقري القرشي[48]،ولقب بالمقري نسبة لبلدة مقرة وهي قرية من قرى "الزاب" التي نزل بها هو وسلفه قادمين إليها من شبه الجزيرة العربية، عرفها اليعقوبي بقوله:"...مقرة لها حصون

كثيرة ...أهلها قوم من بني ضبة وبها قوم من العجم وحولها قوم من البربر...".[49]
،وذكر البكري أنها بلد كبير ذو ثمار وأنهار ومزارع[50]،بينما وصفها الادريسي بالبلدة الصغيرة[51]،وهو نفس ما ذهب إليه الحميري[52]،ومن خلال التعريفين يبدو أن بلدة مقرة تكون قد تعرضت للتخريب على عهد الأخيرين ،قبل أن تدمر بالكامل خلال القرن 10هـ/16م إذ لم يذكرها الوزان في كتابه وصف افريقيا.

و حسب تحديد الرحالة للمدينة فإنها تقع اليوم جنوب سطيف باتجاه بريكة بنحو 77كلم ،وإلى الشرق من المسيلة بحوالي 55كلم ،وغرب بريكة بنحو 39كلم.[53]

أما تسمية القرشي فنسبة إلى قبيلة قريش العربية التي سكنت مكة ،وهذا بإجماع جمهور المؤرخين والباحثين.[54]

انتقلت أسرة المقري إلى تلمسان أواخر القرن 6هـ/12م حين انتقل جدهم عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي إليها رفقة الشيخ أبي مدين شعيب[55].

4-تأسيس الشركة التجارية آل المقري ودورها في تمتين العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي:

استقر آل المقري بتلمسان مع نهاية القرن 6هـ/12م ،وبداية القرن 7هـ/13م ،وهي الفترة التي كانت تشهد خلالها هذه المدينة تنظيما تجاريا محكما ،ونشاطا تجاريا مكثفا حتى أصبحت تعج بعدد كبير من التجار الذين كانوا ينشطون في المحلات و الدكاكين المتواجدة بالقيصارية وحول المسجد ،وفي مختلف أزقتها ودروبها ،وعبر مختلف الأسواق الأسبوعية والموسمية ،وفي القرى والبوادي[56].

وقد ساهم سلاطين بني زيان في ازدهار الحركة التجارية بالمغرب الأوسط لإدراكهم أهمية التبادل التجاري في توفير الأموال للدولة ،وخاصة تجارة الذهب الذي كان السودان الغربي مصدره[57].

في ظل هذه الظروف تأسست شركة آل المقري التجارية بين خمسة اخوة هم: عبد الرحمن ،أبو بكر ،محمد ،عبد الواحد ،وعلي ،وهم من ذرية يحي بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقري ،الذين عقدوا شركة بينهم في جميع حصصهم فيها متساوية ،يقول في ذلك أبو عبد الله المقري:" ...ثم اشتهرت ذريتهم (يقصد آل المقري) على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة ،فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار ،واتخذوا طبلا للرحل وراية تقدم عند المسير ،وكان ولد يحي الذين أحدهم أبو بكر خمسة رجال فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه أو يملكونه على السواء بينهم و الاعتدال ،فكان أبو بكر ومحمد –وهما أرومتا نسبي من جميع جهات أمي و أبي– بتلمسان ،وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة ،وعبد الواحد وعلي شقيقاهم الصغيران بإولاتن ،فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار ،وتزوجوا النساء واستولدوا الاماء ،وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ،ويبعث إليه الصحراوي بالجلد و العاج ،والجوزة والتبر ،والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسارة و الرجحان ،ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان ،حتى اتسعت اموالهم وارتفعت في الضخامة أحوالهم"[58].

كان أبو بكر ومحمد بمرسى هنين لاستقبال السلع المجلوبة من الأندلس وأوربا ،وذلك حسب ما يرسم لهما من السلع غير المنتجة بتلمسان[59].

ومن أهم السلع التي كانت ترد إلى السودان الغربي عبر المغرب الأوسط سواءا المستوردة من المغرب و المشرق الاسلاميين أو من أوربا نجد الأقمشة والأسلحة بمختلف أنواعها [60]،والأواني المنزلية ،المصنوعات الجلدية والنحاسية و الكبريت[61] ،والعطور[62]،و العقاقير.[63]

حققت شركة آل المقري نجاحا تجاريا كبيرا أدر عليها أموالا طائلة ،وكونوا ثروة هائلة ذللت لهم المسالك ،ومكنتهم من ربط علاقات طيبة مع حكام وملوك المناطق التي وصلت إليها قوافلهم يقول صاحب نفح الطيب في ذلك: "...ثم اتصل بملكهم فأكرم مثواه ،ومكنه من التجارة بجميع بلاده ،وخاطبه بالصديق الأحب ... ثم صار يكاتب من بتلمسان ليستقضي منهم مآربه ،فيخاطب بمثل تلك المخاطبة ،وعندي من كتبه وكتب ملوك المغرب ما ينبئ عن ذلك ... فلما استوثقوا من الملوك تذللت لهم الأرض للسلوك ،فخرجت أموالهم عن الحد وكادت تفوت الحصر و العد".[64]

من خلال ما سبق يتبن لنا أن شركة آل المقري احتكرت تجارة السودان الغربي ،وكان لها الفضل الكبير في تمتين العلاقات التجارية بين هاته المنطقة و بين المغرب الأوسط ،فهي من تكفل بتأمين الطريق بين المنطقتين ضد قطاع الطرق من جهة،و ضد الهلاك عطشا بحفر الآبار من جهة أخرى[65] ،كما كان للعلاقات التي ربطها أصحابها مع ملوك السودان الغربي الدور الكبير في رواج تجارة المغرب الأوسط في المنطقة.[66]

وبذلك يمكننا القول بأن هذه الشركة كانت بمفهومنا العصري شركة تضامن دولية تمكنت بفضل حسن ادارتها و تسييرها من السيطرة و التحكم في عمليات التبادل التجاري بين المغرب الأوسط و السودان الغربي ،كما تمكنت بفضل ثروتها

الهائلة من تحقيق نفوذ سياسي في المنطقتين زاد من سيطرتها على دواليب التجارة بكامل بلاد المغرب الاسلامي و السودان الغربي .قبل أن تتراجع هذه السيطرة لصالح تجار مصر[67] خلال القرن 8هـ /14م عبر المسلك الشرقي إلى السودان الغربي[68].

هذا وكان لشركة آل المقري التجارية دور كبير في تنشيط الحركة الثقافية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي وذلك بفضل استثمارها في تجارة الكتب و المؤلفات ،و نقلها للعلماء في مختلف قوافلهم ،وقد أشاد صاحب نفح الطيب بالخزانة –المكتبة– الكبيرة التي ورثها عن أجداده حين قال: " ...ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب وأسباب كثيرة تعين على الطلب "[69].

الهوامش:

[1] حكمت الدولة الزيانية المغرب الأوسط أزيد من ثلاثة قرون من الزمن (633 – 962 هـ / 1236–1554م).حسين تواتي، الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية – الكتابة أنموذجا – (633 – 791 هـ / 1236 – 1389 م)،مذكرة ماجستير ،قسم التاريخ و علم الآثار ،جامعة تلمسان ،2013-2014، ص 24.

[2] عبد العزيز الفلالي ،تلمسان في العهد الزياني ،ج1 ،موفم للنشر و التوزيع، الجزائر ،2002، ص 5.

[3] بوزياني الدراجي ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1993 ، ص 51.

[4] بودواية مبخوت ،العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد الدولة الزيانية،رسالة دكتوراه ،قسم التاريخ ،جامعة تلمسان ،2005-2006 ،ص 17.

[5] من أهم الممالك التي حكمت السودان الغربي:غانة ،مالي و سنغاي.عنها ينظر: بودواية مبخوت ،المرجع السابق ،ص ص 35-53 ؛نعيم قداح ،افرقيا الغربية في ظل الاسلام ،كوناكري ،1960 ،ص 28 ؛ابن حوقل ،صورة الأرض ،مكتبة الحياة ،بيروت ،1979 ،ص 98 ؛العمري ،مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد ،ط1، الدار البيضاء ،المغرب ،1988 ،ص 60 ؛السعدي ،تاريخ السودان ،تحقيق هوداس ،1964 ،ص 3،4 .

[6] بوزياني الدراجي ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1993 ، ص 207 ، 208 .

[7] مؤلف مجهول ، الاستبصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، بغداد 1986 ، ص 179.

[8] محمد مكيوي، الأوضاع السياسية و الثقافية للدولة العبد الوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول ،رسالة ماجستير ،قسم الثقافة الشعبية ،جامعة تلمسان ،2000-2001 ، ص 22 .

[9] بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ص 209 .

[10] عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت 1969 ،ج 6 ص 95 ، 96 .

[11] محمد مكيوي المرجع السابق ، ص 23.

[12] Dhina (A) , Les états de l O ccident musulman au 13 , 14 , 15 siècles , O.P.U Alger 1984, p p 336 , 338.

[13] مارمول كربخال ، افريقيا ، ج 2 ،ترجمة محمد حجي و آخرون ، مكتبة المعارف ، الرباط 1984 ص 329 ، 354 .

[14] بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ص 211 ، 212 .

[15] بودواية مبخوت ، المرجع السابق ، ص 267.

[16] وصف افريقيا ،ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ،ج 2 ،منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ،الرباط ،1980 ، ص 20 ، وأبضا : يحي بن خلدون ،بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ،ج1 ،تحقيق عبد الحميد حاجيات ،المكتبة الوطنية ،الجزائر ،1980 ، ص 10.

[17] لخضر عبدلي ، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان ،ديوان المطبوعات الجامعية ،وهران 2007 ، ص 51،52 .

[18] حسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 34 ، و أيضا : اسماعيل العربي ، القارة الافريقية وجزيرة الأندلس ، الجزائر 1983 ، ص158 ، 159.

[19] يحي بن خلدون ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 134 – 158 .

[20] عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق ، ج 6 ص 175 ، 176 .

[21] بودواية مبخوت ، المرجع السابق ، ص 268 .

[22] موريس لمبارد ، الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الأربعة الأولى ، تر ، عبد الرحمن حميدة ، دار الفكر ، دمشق 1998 ، ص 230.

[23] نفس المرجع ، الصفحة نفسها.

[24] عبد الكريم جودت ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط القرنين الثالث و الرابع هجريين (9 – 10 م) ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1992 ص 130 .

[25] لخضر عبدلي ، المرجع السابق ، ص ص 51،56 .

[26] مبخوت بودواية ، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية ، عدد تجريبي ديسمبر 2008 ،كلية الآداب و العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ، جامعة تلمسان ، ص 55 .

[27] اليعقوبي ، البلدان ، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2002 ، ص 196 .

[28] يدل هذا على ازدهار النشاط الصناعي ، نظرا لما كان يدره من أرباح على محترفيه. أنظر : وصف افريقيا ، ج2 ، ص 21 .

[29] يحي بن خلدون ، المصدر السابق ، ج1، 22 .

[30] مبخوت بودواية ، المرجع السابق ، ص 270.

[31] بغية الرواد ، ج2 ، ص166161 .

[32] حسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 14.

[33] مارمول كربخال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 323 ، و أيضا حسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 24.

[34] حسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 30.

[35] لخضر عبدلي ، المرجع السابق ، ص 77 .

[36] عبد الكريم جودت ، المرجع السابق ، ص 136.

[37] للإطلاع عن المزيد حول هذه الأسواق ، وتنظيمها ، و عددها راجع : الادريسي ، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق محمد حاج صادق ، 1983 ،ص128 ، وايضا : البكري ، المصدر السابق ، ص ص 61 – 76 ، وأيضا : حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 37 .

[38] أبو عبد الله محمد ابن مرزوق (الخطيب) ، المجموع ، مكرو فيلم بالخزانة العامة للملكة المغربية ، تحت رقم ق20 ، ورقة 2.

[39] عبد العزيز الفلالي ،المرجع السابق، ص 136.

[40] نفس المرجع، ص 135.

[41] محمد مكيوي ، المرجع السابق ، ص 26 .

[42] فوزي سعد الله ، يهود الجزائر ، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة ، الجزائر 1996 ، ص 40 .

[43] نعيم زكي فهمي ،طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ،القاهرة (د.ت) ،ص 308 ؛ Dhina (A), op cit, p 357

[44] محمد مكيوي ، المرجع السابق ، ص 26.

[45] أنظر : الرحلة العبدرية ، تحقيق بن جدو ، مطبعة البعث ، قسنطينة 1964 ، ص22 ، وأيضا : تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، تحقيق علي المنتصر الكتاني ، ط1 ، ج 2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1975 ، ص ص 755 – 757 .

[46] للمزيد عن هذه المسالك ،ومعرفة الأسماء الحالية لهذه المدن أنظر : بو زياني الدراجي ، المرجع السابق ،ص 216 ، 217 .

[47] نفس المرجع ، ص 217 .

[48] المقري ،نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ،تحقيق احسان عباس ،ج5 ،دار صادر ،بيروت ،1963 ،ص 203 ،وأيضا: لسان الدين ابن الخطيب ،الاحاطة في أخبار غرناطة ،تحقيق عبد الله عنان ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1974 ،ج2 ،ص 226.

[49] ذكرها بالمدينة العظمى ،ذكر أن القبائل لبربرية التي تسكنها هي بني زنداج ،وكزيرة وسارسة .ينظر:كتلب البلدان ،تحقيق محمد ضناوي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط2 ،2002 ،ص 191 ،وأيضا: نصر الدين بن داود ،بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م ،رسالة دكتوراه ،قسم التاريخ وعلم الآثار ،جامعة تلمسان ،2010/2009 ،ص 57.

[50] البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز ت 487 هـ / 1094 م) ،المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب مقتطف من كتاب المسالك و الممالك ،تحقيق البارون دي سلان ،مكتبة أمريكا و الشرق ،باريس ،1965 ،ص 51.

[51] حيث ذكر: " ...وهي مدينة صغيرة وبها مزارع و حبوب وأهلها يزرعون الكتان وهو عندهم كثير" ينظر: كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،تقديم وتعليق اسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،1983 ،ص 164 .

[52] حيث قال: "...مقرة بينها وبين المسيلة من بلاد الزاب مرحلة وهي مدينة صغيرة وبها مزارع وحبوب وأهلها يزرعون الكتان وهو عندهم كثير ..."ينظر:

كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ،تحقيق احسان عباس ،مؤسسة ناصر للثقافة ،بيروت ،1980،ص 556.

[53] نصر الدين بن داود ،المرجع السابق ،ص 58.

[54] من بين هؤلاء ابن الخطيب وابن فرحون والتنبكتي و المقري صاحب النفح ،وابن القاضي وابن مريم .ينظر في ذلك: نصر الدين بن داود ،المرجع السابق ،ص 59،60.

[55] هو شيخ المشايخ وسيد العارفين وقدوتهم سيدي أبي مدين شعيب بن الحسن الأندلسي أصله من اشبيلية توفي بتلمسان سنة 594 هـ /1198م ،وهو في طريقه من بجاية إلى مراكش ،دفن بالعباد قرب تلمسان ،قبره مزارا إلى يومنا هذا.

[56] عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 216.

[57] أدرت تجارة الذهب على الدولة الزيانية أرباحا كبيرة ،ثروة عظيمة ،ويمكن أن نستشف ذلك من خلال كمية الذهب الكثيرة التي عرضها السلطان أبو تاشفين الأول على ملك أرغون جاكمة الثاني مقابل عقد معاهدة صلح بينهما. ينظر في ذلك: كتاب الجزائر في التاريخ ،ج2 ،ص ص 438-487 .

[58] نفح الطيب ،ج5 ،ص 205 ،206 .

[59] بن داود نصر الدين ،المرجع السابق ،ص 273.

[60] ومنها أيضا الدروع و الخوذ و الخناجر و السهام و التروس و أقواس النشاب و السروج و الألجمة.ينظر: مبخوت بودواية ،العلاقات... ،ص 326.

[61] ومنها القدور و السكاكين و الابر و الكحل ،و كانت أغلب هذه السلع تجلب من أوربا ،وخاصة من الجمهوريات الايطالية. ينظر: مبخوت بودواية ،العلاقات... ،ص 326 .

[62] كانت العطور تشكل نسبة هامة من المواد المصدرة إلى السودان الغربي نظرا للإقبال الكبير عليه ،وارتفاع أسعارها ،حيث كان استعمالها حكرا على السلاطين وكبار رجال الدولة ،والوجهاء و الأثرياء ،وكانت هذه العطور تصدر إلى السودان

الغربي منة أوربا عبر تلمسان التي بدورها تنتج أنواعا رفيعة من عطور الخزامى ينظر في ذلك: مبخوت بودواية ،المرجع السابق ،ص 327.

[63] كانت العقاقير تأخذ طريقها من تلمسان إلى السودان الغربي بعدما تجلب من المشرق الاسلامي و أوربا. ينظر: مبخوت بودواية ،المرجع السابق ،ص 327.

[64] نفح الطيب ،ج5 ،ص 206 ،وأيضا: الاحاطة ،ج2 ،ص 193 .

[65] وهذا ما نستشفه من خلال قول صاحب النفح :" ...فمهدو طريق الصحراء بحفر الآبار و تأمين التجار واتخذوا طبل الرحيل ،وراية تقدم عند المسير..." ،ولاشك أن اتخاذهم للراية و الطبل دليل على أنه كان لهم جيشا يسير مع القافلة ليحميها.

[66] عن العلاقة الطيبة بين آل المقري و حكام السودان الغربي ينظر: نفح الطيب ،ج5 ،ص 206 ،وأيضا: الاحاطة ،ج2 ،ص 193 ،وأيضا: بن داود نصر الدين ،المرجع السابق ،ص 272.

[67] كانت بلاد المغرب مصدر سلع السودان الغربي قبل أن يدخلها تجار مصر .ينظر في ذلك: نفح الطيب ،ج5 ،ص 206 ،وأيضا: الاحاطة ،ج2 ،ص 193 .

[68] اضافة إلى تغير الطريق التجاري نحو الشرق ،ساهمت مجموعة من العوامل في افلاس شركة آل المقري التجارية وانهيارها ومنها الاضطربات السياسية التي عرفها المغرب الاسلامي وتأثيرها على النشاط الاقتصادي و التجاري وخاصة الحصار الطويل لتلمسان (698-706هـ/1299-1307م) ،وتقلبات الأسواق ،وعدم قيام ورثة مؤسسي الشركة بالاستثمارات اللازمة للحفاظ على تركة أسلافهم.

[69] المقري ،المصدر السابق ،ج5 ،ص 206.

ملامح من تاريخ بلاد الأمازيغ

أ. محمد حماس

جامعة ابن طفيل. كلية الآداب. القنيطرة. المغرب

تقديم:

لم تكن خلال العصور البائدة حدود، ولا أقاليم قائمة الذات، كما هو الحال الآن. كل أرض كانت تأخذ اسم سكانها، سواء كانت البنية الاجتماعية فيها قبلية، أو عشائرية، أو عائلية. تغير ويغار عليها، تعيش الترحال والانتقال، ربما كان الجنس البشري آن ذاك مولعا باكتشاف نقط كوكب الأرض، فتزيد مساحة هذه البلاد أو تتقلص حسب توسع أهلها، الحروب مستمرة والاقتتال من أجل البقاء والتملك دائم فيتوسع أقوام على حساب آخرين، وتنقرض حضارات لتحل محلها أخرى .. سال مداد كثير ولايزال، عن تواجد الجنس البشري وتطوره ككائن يسعى بشكل دائم للمعرفة واكتشاف الآفاق البعيدة، لكن لا أحد يمكنه الجزم بامتلاك الحقيقة، حقيقة الصراع القائم منذ الأزل هو ذاته الصراع من أجل السلطة، قد تختلف مظاهره ويبقى عمقه واحدا لا يتغير ولا يتبدل.

سوف نكتفي، في هذه الورقة، بالمرور في عجالة على بعض من تاريخ نقطة من هذا الكوكب، المسماة بلاد الأمازيغ، ولو أن أسماء هذه البلاد تعددت وتكررت.

ترى ما الذي أعطى لهذه الأرض كل تلك الأهمية؟ لماذا ظلت محط جدل وتضارب في التأريخ لها؟ هل الأمر يتعلق بكل ذلك العدد الكبير من الحضارات التي تعاقبت عليها؟ أم الأمر يهم سكانها الأصليين؟ أم هما معا؟ لماذا وقع التهافت نحو امتلاك هذه البقعة المعروفة ببلاد الأمازيغ؟ هل الأمر يتعلق بخيراتها؟ لماذا مرت دول وشعوب بها دون أن تعرف الاستقرار حتى جاء العرب؟

إن المقصود ببلاد الأمازيغ، أو الأمازيغ، هي تلك الأراضي الممتدة من سيوه غرب صحراء مصر، شرقا، إلى جزر الكناري حيث عاش الغوانش الأمازيغ، غربا، ومن البحر الأبيض المتوسط، شمالا، إلى مالي وبوركينا، جنوبا.

سوف نركز على بعض من ملامح بعض الممالك الأمازيغية الإسلامية، التي حكمت هذه المنطقة المسماة بلاد الأمازيغ (الأمازيغ)، أو شمال إفريقيا، أو الغرب الإسلامي، والأمر يهم دولا عظمى هي: المرابطون والموحدون والمرينيون والوطاسيون ثم قبل كل هؤلاء مملكة أخرى لم يصلنا عنها إلا القليل رغم كونها عمرت حوالي ثلاثة قرون هي دولة بني صالح بتامسنا، ثم إمارة نكور وإمارات

أخرى أسسا بنو يفرن، هذا في أفق إثارة الاهتمام لمدى عناية هذه الدول بالمجالين، الديني والروحي.

معلوم أن إسم "لوبي" شاع لدا اليونان، و"إفري" من مبتكرات الفينيقيين، و"بربر" أطلقها عليهم الرومان الذين سموا كل من خرج عن طاعتهم "بربر" بنية التحقير والاستخفاف، ثم عبارات أخرى من قبيل "باربايسي" و"باربارجيا" وفي مصر مدينة تسمى"باربايا". وسميت الشعوب الجرمانية "باربار" بمعنى الهمج والمتوحشين. أما تسمية أمازيغ، فيبدو أنها قديمة،(كما ورد عند ابن سعيد الدرجيني، صاحب طبقات مشائخ المغرب)(1).

لقد اتخذت هذه البلاد أسماء عدة، هكذا عرفت أفريقيا الشمالية ببلاد الأمازيغ، وأطلق عليها الإغريق اسم ليبيا، وسماها الرومان أفريقية (تونس الحالية) وهو الإسم الذي اتخذته سائر القارة وأطلق عليها العرب اسم بلاد المغرب، مقابل بلادهم بالمشرق، أي بمفهوم جغرافي(2).

الأمازيغ قبل الفتح الإسلامي:

لا نعرف عن تاريخ الأمازيغ إلا القليل فتواجدهم بالشمال الأفريقي قد يتجاوز5 آلاف سنة ولو أن اسمهم ليس قديما بكل هذا القدر.

أما عن أصولهم، فهناك اختلاف كبير بين الدارسين، وهو اختلاف راجع لكون جل الباحثين أو النسابة، ينطلقون من فرضية أن أمة الأمازيغ جاءت من مكان ما، لهذا وجب التساؤل، لماذا الإصرار على كون الأمازيغ جاؤوا من مكان ما؟ من الجرمان أو اليمن؟ ألا يمكن التسليم بأن هذا الشعب تواجد بهذه البلاد واستقر بها وأخذت اسمه؟

لقد ذهب عدد من المؤرخين إلى الربط بين القوم الشقر من الأمازيغ والأجناس الأروبية القديمة، مثل الأيبيريين (Iberians) والكلت (Celts)(3).

الأمازيغ هم أول سكان المغرب القديم، سكنوا جباله وتلاله وأريافه وضواحيه وأمصاره(4)، سكنوا بيوتا بناؤها من طين وحجارة وشجر، فكانوا يدعمون الخيام بأوراق الأشجار والشعر والوبر، أما أهل العز منهم فيظعنون لانتجاع المراعي لا يجاوزون الريف إلى الصحراء، يكسبون من الماشية البقر والخيل والشاء(5).

ويرى القلقشندي أنهم عرب، يرجعون في نسبهم إلى قبيلتي لخم وجذام العربيتين من فلسطين والشام، كانوا هناك إلى أن تم إخراجهم من طرف بعض ملوك فارس إلى أن استقروا بمصر ثم زحفوا نحو المغرب إلى أن جاء أفريقش(6) .. إلى آخر الرواية التي تزعم نسبهم العربي.

شجب عبد الرحمن ابن خلدون كل هذه الادعاءات، باعتبار أن الكنعانيين ليسوا عربا، وليسوا من أبناء سام، ثم إن العرق الأمازيغي سابق في الوجود، فهم ليسوا من ولد إبراهيم لأنهم عاشوا في زمن داوود الذي قتل جالوت، ومعلوم أن داوود كان بينه وبين إسحاق بن إبراهيم أخو نعشان، عشرة آباء فقط، فلا يمكن أن يتناسلوا بهذه الكثرة، أما القول أنهم من بلاد الشام وكونهم من جالوت أو العماليق، فذاك ضرب من الخرافة(7)، لأنه لا يمكن لشعب بكل ما عرف عنه من حضارة وحكم وقوة، أن يكون تابعا أو منحدرا من منبت غير الأرض التي احتضنت كل تاريخه.

لقد ظلت بلاد الأمازيغ هدفا لشعوب خلت كان أولها الفينيقيون، ثم القرطاجيون، ومن بعدهم الرومان، الذين استغلوا خيرات البلاد واستعبدوا أهلها. لقد بدأت المعاناة الحقيقية للبربر بعد سقوط قرطاج ووقوع الملك يوغورطة في الأسر لدا الرومان، هؤلاء قاموا بإحراق المدن في مصر وأحرقوا خزانة الإسكندر التي حوت كنزا عظيما من تاريخ الأمازيغ وحضارتهم بما في ذلك كتابتهم، لهذا تراجع الأمازيغ نحو الجبال، أما الوندال فلم يكونوا أقل تسلطا ممن سبقهم.

جاء الفينيقيون من ليبيا الحالية، فأسسوا سنة 1100ق.م على الضفة الأطلسية مدينة لوكوس(8)، التي أضحت من أهم المراكز التجارية والحضرية، وقد تعاقبت عليها العديد من الحضارات القديمة، منذ ما قبل الميلاد إلى غاية المرحلة

الإسلامية فكانت لها أدوار طلائعية في تاريخ التراث الإنساني عموما والمتوسطي تحديدا. هكذا دخل الأمازيغ في علاقات تجارية مع الوندال، ثم من بعهدهم القرطاجيين الذين أسسوا عدة مراكز تجارية على الساحل المتوسطي ليستمر نشاطهم التجاري قرونا عدة مع الأمازيغ فجلبوا الذهب وزراعة الكروم والعديد من التقنيات الزراعية إضافة إلى الطقوس الدينية التي عمد الأمازيغ إلى ممارسة البعض منها.

تولى مسينيسا، أول ملوك الأمازيغ، الحكم في القرن 3 ق. م(9)، وامتدت مملكته من مدينة قسنطينة إلى الحدود التونسية الحالية، فأسس مملكة نوميديا بدعم من الرومان، مقابل تعاونه معهم ضد القرطاجيين وكانت عاصمتها "سيرتا"(قسنطينة حاليا)(10) ، امتدت من غرب تونس حاليا وضمت المغرب الأوسط وجزءا من المغرب الأقصى، سكنها المازيليون جهة الغرب، حلفاء الرومان، ثم المسايسوليون في الجهة الشرقية، حلفاء القرطاجيين. المازيليون يحكمهم ماسينيسا، أما المسايسوليون فيحكمهم سيفاكس ...

ويعتبر ماسينيسا أول وأعظم ملك بربري عرفه التاريخ بفضل ما حققه من ازدهار وانتصارات كان أولها توحيد مملكة نوميديا بعد انتصاره على سيفاكس، ثم الهزيمة التي ألحقها بحنبعل كبير قادة القرطاجيين سنة 202 ق.م. ثم خلفه فيما بعد ملك قوي هو حفيده يوغورطة الذي كان عدوا للرومان، فاعتقلوه وألقوا به

في السجن ليموت مشنوقا داخل زنزانته، وعند سقوط قرطاج العام 146 ق.م بسط الرومان نفوذهم على كافة تراب المغرب(11).

خلال الحكم الروماني نشطت الحياة التجارية والزراعية والمنشآت، حيث تم تشييد الطرقات والمدن(وليلي).

بعد سقوط حكم يوغورطة سلم الرومان جزءا من نوميديا للبربر باعتبار أنهم أزاحوا عدوا لهم من الحكم، وبالتالي لابد من التعايش مع الأمازيغ وضمان الاستقرار بمنطقة نفوذهم.

ومن الملوك الأمازيغ المحسوبين على الصف الروماني، نذكر كذلك، جوبا الثاني الذي أسس موريتانيا ما بين سنتي 25 إلى 23 ق.م وعرف عنه أنه كان عالما ومولعا بجمع التحف والآثار.

ثم جاء من بعده الإمبراطور أغسطين زوج كيلوباترا سيلين ابنة كيلوباترا الكبيرة، جعل من عاصمته شيرشل مدينة للفنانين اليونان.

قام الإمبراطور كلود الأول، حوالي سنة 42 ق.م، بضم موريتانيا إلى بلاد الرومان، وقد كانت موريتانيا منقسمة إلى إقليمين :

- موريتانيا الطنجية (المغرب حاليا). على رأسها بطوليمي ابن جوبا
- موريتانيا القيصرية (الجزائر حاليا)

أما في الغرب فتقوم مملكة نوميديا (قسنطينة). وإفريقية (تونس حاليا)

لقد كانت بلاد الأمازيغ وعرة بسبب الجبال، لهذا لم يكن بوسع الرومان مراقبة كافة تراب المستعمرات عدا فولوبيليس(وليلي) فتراجعوا نحو جهة طنجة العام 285م والتي كانت تحت نفوذ الملك ديوكليتين بإسبانيا.

هزم الوندال الرومان سنة 435م واستولوا على كل المنطقة المتوسطية (شمال المغرب والجزائر حاليا)، فسيطروا على قرطاج واتخذوها عاصمة لملكهم، حكموا غرب البحر الأبيض المتوسط والجزر المتاخمة لإسبانيا ومع ذلك لم يستطيعوا إخضاع الرومان وبربر إفريقيا إلى أن كانت سنة 533م حيث قام الإمبراطور البيزنطي جوستين الأول بإرسال أحد قواد جيشه، الجنرال بيليساير لردع الأمازيغ، فأخضعهم تحت النفوذ البيزنطي سنة 534م، ومع ذلك استمرت العديد من بؤر التوتر والمقاومة الأمازيغية بالجبال رغم هزيمة الوندال(12).

العرب المسلمون:

كان عمرو بن العاص أول أمير للمسلمين وطئت خيله أرض المغرب(13)، على عهد الخليفة عمر بن الخطاب دون أن يصل إلى أفريقية، فتح برقة وطرابلس، ثم جاء الخيلفة عثمان بن عفان فعزل عمرو بن العاص عن مصر وولى أخاه في الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري وأمره بفتح أفريقية سنة

26هـ.(14) ، فهزم المسلمون جيوش الروم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وقتل بن الزبير جرجير واستمر زحف المسلمين فوقع بينهم وبين الروم و الأمازيغ قتل وسبي، وقد أسروا عددا من ملوك الأمازيغ، دام مقامهم آنئذ بأفريقية عاما وثلاثة أشهر ليقوم هرقل بإرسال من سيهزم الأمازيغ عقابا لهم على توافقهم مع المسلمين(15)، بعد هذا تولى معاوية بن حديج أمر المغرب فهزم الرومان، وتولى بعده عقبة بن نافع الفهري وأبو المهاجر دينار الذي فتح المغرب الأوسط(16).

بلغ العرب المسلمون شواطئ المحيط الأطلسي سنة681م فلاقوا مقاومة عنيفة من طرف الأمازيغ حيث اتحدت القبائل الأمازيغية مشكلة فيدرالية قبائل مصمودة بالأطلس الكبير الغربي والأطلس الصغير والريف والسهول الأطلسية ثم قبائل صنهاجة بالأطلس المتوسط وزناتة بشرق المغرب، ولم تكن المقاومة الأمازيغية للعرب وحدهم، بل ضد كل من سبقهم من الأقوام: فنيقيون ورومان وقرطاجيون وبيزنطيون ووندال، هذه المقاومة تزعمها بداية الأمر الملك كسيلة، فانتهت بمقتل عقبة بن نافع الفهري وأبي المهاجر، ثم زهير بن قيس فيما بعد على يد الروم، ومعهم قوم كثير. ثم جاءت الملكة ديهيا، زعيمة جراوة عام 695م، لتتولى أمر الأمازيغ بحكمة كبيرة، وشجاعة عالية، تنم عن مراس وإستراتيجية حربية قل نظيرها، ولم تنهزم إلا خلال الحملة الثانية على أفريقية، على يد القائد حسان بن النعمان(17)..

اعتنق الأمازيغ الإسلام على نطاق واسع خلال القرن 8م، وأضحوا جيشا قويا ينشر العقيدة الجديدة، فتقوت شوكة المسلمين بالتحام الأمازيغ في صفوف الجيوش العربية لما عرف عن الأمازيغ من شجاعة وبسالة ورباطة جأش وثبات، فوجدوا في الدين الجديد ما يؤلف بينهم ويمحي العديد من المعتقدات الوثنية، ولو أن العديد من تلك المعتقدات استمرت إلى الزمن الراهن، وأيضا ما يجعلهم يتخلصون من تكالب أمم أخرى على بلادهم، فكان لموسى بن نصير كبير الأثر في ذلك(18)، فزحفوا نحو الأندلس وعلى رأسهم القائد الأمازيغي المسلم طارق بن زياد سنة 711م(19)، فحققوا من الانتصارات هناك ما جعل الإسلام يستمر لقرون لولا عبث ملوك الطوائف وانغماسهم في اللهو وتشرذمهم فبنوا مجدا لا تزال آثاره بادية نبكيها فردوسا مفقودا.

من الأمازيغ من تصنع النسب العربي واستند إلى النسب النبوي، مثل الحفصيين والزيانيين . العبدواديين والمرينيين... ثم تصاهروا مع العرب، كل هذا حتى يتساووا معهم، ولا يزال الجدل قائما إلى الآن حول من كتب الخطبة الشهير المنسوبة إلى طارق بن زياد؟ هل هو كاتبها أو كتبها قلم صاحبه عربي!!!! أولم يتعزز الإسلام بانضمام العجم إليه؟ فما مشروعية هذا السؤال؟ أليست الأحقاد ضد انتصارات طارق بن زياد هي المحرك لمثل هذه الظنون؟

أضحت بلاد الأمازيغ بعد الفتح الإسلامي تضم ثلاثة ممالك، هناك مملكة إفريقية، وهي المغرب الأدنى، قاعدتها في صدر الإسلام مدينة القيروان، ثم المغرب الأوسط، قاعدته تلمسان وجزائر بني مزغنة، ثم تأتي مملكة المغرب الأقصى لتشمل خمس عمالات: فاس ومراكش والسوس ودرعة وتافيلالت، تقوم دار الملك فيه بين فاس ومراكش، غالبية ساكنته من المصامدة وبعض من صنهاجة(20).

هكذا، ومنذ بداية الفتح الإسلامي لإفريقيا الشمالية، بلاد الأمازيغ، تعاقب على ولاية هذه الأرض كل من عبيد الله بن سعد بن أبي سرح الذي فتح أفريقية(21)، ومعاوية بن حديج، وعقبة بن نافع الفهري، باني مدينة القيروان(22)، وأبو المهاجر دينار، فاتح المغرب الأوسط(23)، ثم الولاية الثانية لعقبة بن نافع الفهري، فاتح المغرب الأقصى، ومقتله على يد الأمازيغ(24)، وزهير بن قيس البلوي قاتل كسيلة، وحسان بن النعمان(25)، وموسى بن نصير(26)، ومحمد بن يزيد، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، ويزيد بن أبي مسلم(30)، وبشر بن أبي صفوان، وعبيدة بن عبد الرحمن(31)، وعبد الله بن الحبحاب(32)، هذا الأخير كان من القيسية فاضطهد اليمنية، وعامل الأمازيغ كونهم فيء من المسلمين وأراد أن يخمسهم، وقد ولى ابنه إسماعيل على السوس الأقصى، فاستبد ب الأمازيغ، وكثر عبثه بنسائهم. كان ابن الحبحاب ينتزع المال والنساء من الأمازيغ ويرسلها للخليفة هشام بن عبد الملك فعهد لحبيب بن أبي

عبيدة بشن حملة شملت سائر تراب الأمازيغ لجمع المزيد من المال والسبايا، ناهيك عن إرسال الأمازيغ للقيام بالحملات ضد الجيوش الأجنبية(33). وكلثوم بن عياض الذي قتل هو الآخر(34)، وحنضلة بن صفوان(35). ومن بعدهم آخرون إلى حين تأسيس دولة الأدارسة ... هكذا تحول مسار الفتح الإسلامي لبلاد الأمازيغ إلى غزو عربي للنهب واستباحة الأرض والعرض تحت غطاء نشر العقيدة الإسلامية وهو المر الذي دعا الأمازيغ للدفاع عن أرضهم وعرضهم وهويتهم وثقافتهم وقد اعتنقوا الإسلام وعملوا على نشره ...

الأثر الخارجي على الأمازيغ

لقد شكل الخوارج خطرا دائما بالمشرق والمغرب، فقد ساهموا في إسقاط الدولة الأموية واقلقوا خلفاء الدولة العباسية بالمغرب خلال العصر الأول، حيث استمالوا الأمازيغ إلى مبادئهم، من إباضية وصفرية، فخلعوا أبا جعفر المنصور واستولوا على القيروان، ورغم ضعف شوكة الخوارج بالمشرق استمر نفوذهم بالمغرب بزعامة أبي يزيد مخلد بن كيداد الذي هدد الوجود الفاطمي، وقد انتشرت جيوشه في سائر بلاد الفاطميين العام 333هـ إلى أن هزمهم الخليفة المنصور ومات أبو يزيد سنة 336هـ متأثرا بجراحه بعد وقوعه في الأسر(36). لقد أثروا في المشهد السياسي بالشمال الإفريقي إلى نهاية القرن الرابع الهجري(37)، فعرفت بلاد المغرب في عهدهم أيما ازدهار على مختلف المستويات، الاقتصادية

والاجتماعية، بل كان التواجد الخارجي ثورة حقيقية ضد السلطتين، الأموية والعباسية، وبالتالي رفعوا راية الاستقلال عن المشرق، فاتسعت رقعة المذهب الخارجي الأمازيغي لتشمل قسطيلية، وقفصة، ونفطة، ووالحامة، وبشار، وجبل نفوسة، وجربة، وأقصى جنوب المغرب الأوسط، حسب ابن حوقل، وجميعهم من الخوارج الإباضية، والوهبية، وقد لعب الإباضيون دورا بارزا في نشر الإسلام ببلاد السودان قبل بني زيري(38)، ورغم أنه لم يكتب لثورتهم النجاح والاستمرار إلا أن الأثر بقي ولا يزال باديا على شعوب منطقة الغرب الإسلامي باعتبار أن الفكر لا يمكن دحضه أو اختزاله، فهو يستمر وتتوارثه الشعوب جيلا بعد جيل، لا يهم عدد من اعتقد به أو حمله، المهم أنه يستمر على مستوى السلوك والممارسة اليومية ليصبح جزءا من ثقافة من اعتنقه كما هو الحال بالنسبة للفكر الخارجي الذي هو مستمر في مجتمعات الغرب الإسلامي عن وعي بذلك أو غير وعي، فالأمر يدخل في سياق حضاري عام، والحضارة هي كل هذا، شيء من هذا وذاك، ثم إنه لا يمكن استغراب ازدهار المذهب الخارجي بهذا الشكل مادامت نفوس الأمازيغ ظلت مؤهلة بطبيعتها لاعتناقه، وقد توج هذا التواجد بقيام دولتي بني مدرار بسجلماسة والرستمية في تيهرت.

لقد استمرت ثورات الأمازيغ بكل عنف وقوة، كانت تحكمها غريزة البقاء وطبع التمرد وروح الاستقلال. انفردت العديد من القبائل الأمازيغية بزعامة هذه

الثورات واستطاعت الوصول إلى سدة الحكم، ومنها مطغرة بزعامة القائد ميسرة، ثم قبيلة بني يفرن التي أقامت دولا في المغربين، الأوسط والأقصى، والأندلس زمن الطوائف، هي: إمارة أبي قرة اليفرني، وهي إمارة بدوية قامت في شكل حلف قبلي، ثم إمارة يعلى بن محمد بن صالح اليفرني بافكان، وإمارة بني يعلى بن محمد اليفرني بسلا في المغرب الأقصى، وإمارة أبي نور ابن أبي قرة اليفرني برندة بإقليم تاكرنَّا بالأندلس، ثم التكتل القبلي الذي ترأسه أبو يزيد والمتكون من بعض الأحلاف القبلية الزناتية(39).

ثورة ميسرة:

ظل الأثر الخارجي قائما بين صفوف الأمازيغ مما أدى إلى اندلاع ثورة جديدة سنة 122هـ هي ثورة ميسرة(40)، هذه الثورة كانت لحظة تحول في تاريخ منطقة الغرب الإسلامي بالنظر إلى دوافعها، لقد كان سببها الاعتداءات والتجاوزات التي أقدم عليها القواد العرب، من استباحة لمال وعرض الأمازيغ وخروجهم عن مسار نشر العقيدة مما جعل مشايخ القبائل الأمازيغية تشكل وفدا يرأسه ميسرة، شيخ قبيلة مضغرة، يتوجه إلى الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان فلم يجدوا الآذان الصاغية لمعاناتهم لأن الخليفة ذاته كان وراء تلك الاعتداءات مادام هو من يعين الولاة ويأمر بشن الغارة العسكرية على بلاد الأمازيغ ...، فأعلن ميسرة نفسه خليفة فالتفت القبائل الأمازيغية حوله، ومنهم مكناسة

وبرغواطة بزعامة صالح بن طريف، ثم انضمت إليه زناتة المغرب الأوسط(41)، فانتشرت الثورة في سائر بلاد المغرب انتشار النار في الهشيم.

ينتمي ميسرة المطغري للمذهب الخارجي، على الطريقة الصفرية. وهو المذهب الذي انتهجته مطغرة، ومكناسة، وزناتة، وبرغواطة إلى السودان(42). لقد تعرض ميسرة للتشهير، فتم وصفه بالحقير، والسقاء، والفقير(43)، وغيرها من النعوت التي تحط من شأنه. إلا أن المؤكد هو أن ميسرة كان زعيم قبيلته. فهو "رئيس مطغرة"(44)، و"مقدم الصفرية"(45).

سلالات أمازيغية حاكمة

إمارة نكور

إنه لمن الأهمية بمكان التذكير بمملكة عظيمة نشأت بالريف المغربي هي إمارة نكور التي ظهرت مع نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجريين، 125هـ/743م، وقد استمرت في الوجود حوالي ثلاثة قرون، إذ تعتبر أول دولة سابقة في الميلاد قبل أية دولة أخرى بالمغرب الأقصى(47). وقد كانت على المذهب السني من الخوارج.

عندما دخل صالح بن منصور بلاد المغرب أول الفتح الإسلامي، كان قد أسلم على يده عدد من قبائل الأمازيغ، منهم صنهاجة وغمارة، وقد نزل ببلاد

تمسمان وبها مات بعد أن حكم أهلها قبل أن يرتدوا عليه ليعودوا إليه ثانية... وتولى من أبنائه المعتصم وإدريس وسعيد.

سعيد هو الذي بنى مدينة نكور(48)، فحكم قومه 37 سنة وخلفه إبنه صالح. ومن أشهر أبنائه، عبد الرحمن الذي كان فقيها عالما ورعا أدى فريضة الحج أربع مرات وعبر نحو الأندلس للجهاد فقضى على الثائر ابن حفصون ومن معه وبسط يده على مورسية وشارك في غزوة أبي العباس القائد فاستشهد بها(49).

ثم اقتطع الوليد بن عبد الملك الأموي إمارة نكور لصالح بن منصور الحميري، من عرب اليمن سنة 91هـ (50)، ومن أهم مدنها مليلة وتمسمان ولمزمة وضمت أيضا حوض كرط.

كانت آخر أيام سعيد بن صالح، ملك نكور، حين شن عبيد الله الشيعي حملة على نكور بقيادة مصالة قائد تيهرت... فكانت هزيمته، ومنها انتقل إلى مالقة حيث استقر هناك مع ثلة ممن فروا بصحبته فتربصوا بعدوهم بعد ستة أشهر ليعاودوا الكرة فيستعيدوا الإمارة ويلتف الأمازيغ من حول صالح... وفي سنة 308هـ عاد مصالة بن حبوس الفاطمي في إطار الصراع الفاطمي الأموي من جديد على رأس جيوشه ليهزم صالحا ويحتل نكور، أما صالح فتحصن بجبل أبي الحسين(51) ثم انجلى عنها إلى أن صارت سنة 318هـ حيث زحف ابن أبي

العافية نحو نكور، وقتل أميرها المؤيد بن عبد البديع بن إدريس بن صالح بن منصور وخرب أسوارها وقتل من فيها فغنم واستباح الأعراض(52).

أما الزعيم المرابطي يوسف بن تاشفين فقد غزا الريف برمته سنة 473هـ ففتح أكْرسيف ومليلة وخرب نكور(53)...

دولة برغواطة بتامسنا

تسمى تامسنا أو السوس الأدنى، يحدها جهة الشمال نهر أبي رقراق وجنوبا نهر أم الربيع وغربا المحيط الأطلسي وشرقا جبال الأطلس، يصف الحسن الوزان تامسنا كونه إقليما تابعا للملكة فاس وتسكنه قبائل الأمازيغ، كان فيه نحو 40 مدينة و300 قصر ثاروا ضد ملك فاس عام 323هـ فاحتفظوا بتامسنا بعد التفاوض مع ملك فاس(54)، أسسها طريف بن مالك أحد قواد موسى بن نصير، شارك في فتح المغرب الأقصى والأندلس. وطريف هذا كان من أتباع ميسرة على مذهب الصفرية، على خلاف جمهور بني يفرن ومغراوة وزناتة عامة الذين كانوا من أهل الجماعة والسنة(55)، ولما انقضى أمر ميسرة بقي قائما بأمر تامسنا، ويقال أنه ادعى النبوءة وشرع لقومه الشرائع، ثم خلفه إبنه صالح الذي شهد حروب ميسرة بجانبه، وقد كان ذا علم، ادعى النبوءة هو أيضا فتشبه بالنبي محمد عليه السلام وادعى أنه المهدي وما إلى ذلك، ثم خلفه إبنه إلياس الذي لم يسر على نهج أبيه فحكم قومه حوالي خمسين سنة، ثم خلفه بعد وفاته ابنه يونس

الذي أظهر كفره وأحرق مدن عدة فقتله مخالفوه بعد سبعة وأربعين سنة من الحكم، بعد أن أدى مناسك الحج. ثم خلفه أبو غفير محمد الذي استولى على ملك برغواطة وفتك بالأمازيغ، وقد هلك أواخر ق3هـ فورثه ابنه أبو الأنصار عبد الله الذي كان مهابا وفيا للعهد والجار، توفي سنة 441هـ(56).

قامت إمارة بني صالح بتامسنا، وهي بلاد المصامدة، كما وصفها بذلك ابن عذاري، ومن أهم قبائلها بورغواطة وزناتة وصنهاجة وهوارة ومطماطة، كان لها موقع حساس بين فاس عاصمة الأدارسة شمالا ومراكش عاصمة المرابطين جنوبا والرباط مدينة الموحدين هي أيضا في الجزء الشمالي من تامسنا(57). توارث الحكم ملوك كثر من ذرية صالح إلى أن هاجمهم الصنهاجيون وقتلوا ملكهم سنة 368هـ/978م، وفي عهد المرابطين قتل آخر ملوكهم، أبو حفص عبد الله حوالي سنة 455هـ/1063م(58)، كان لهذه الدولة دور تاريخي وسياسي واقتصادي كبير باعتبار موقعها الجغرافي، فجرى هذا الأثر على تاريخ المغرب الأقصى، لكن وللأسف الشديد لم تحظ بالاهتمام الذي يليق بها عدا ما تعرض له بعض الجغرافيون أمثال ابن حوقل والبكري رغم كونهما عاصرا فترة من عهد هذه الدولة إذ لم يتجاوز ما كتباه عنها بضع صفحات(59)، أما الإسلام فقد عرف طريقه إلى هذه القبائل مبكرا، في البداية مع عقبة بن نافع الفهري سنة 62هـ/681هـ، والذي لم يعمر هناك طويلا ليرتد نحو القيروان، فقتل على يد

كسيلة قرب وادي الأبيوض، ومعلوم أن عقبة أخذ كسيلة وامتهنه وأذله وهو الأمير في قومه فكان رد فعل كسيلة أن واجهه في معركة وقتله ومن معه(60) ... ثم جاء بعده موسى بن نصير، في عهد الوليد بن عبد الملك الذي أخضعهم، فدانت له قبائل السوس الأدنى (تامسنا حسب تقسيم ابن خرداذبة في المسالك والممالك)ونشر الإسلام بينهم وقد ولى عليهم كما على طنجة، القائد طارق ين زياد(61).

هاجم موسى بن نصير سكان تامسنا بواسطة جيش قوي أثار في نفوسهم الهلع ففضلوا الانسحاب تاركين مدينتهم وعبروا نهر أبي رقراق في اتجاه فاس لكن ملكها استغل الموقف وتصدى لهم وقضى عليهم، أما الجيوش المرابطية بقيادة يوسف بن تاشفين فقد تفردت بتامسنا طيلة ثمانية أشهر حيث حولتها إلى دمار وحمام دم لم ينج منه حتى الأطفال(62)، ثم زحف يعلى بن أبي الفتوح الأزداجي سنة 406هـ على مملكة تامسنا في آخر أيامها، وهو أمير أزداجة المتغلبين بوهران، فخربها وقضى على بني صالح وأقام الأزداجيون هناك إلى سنة 460هـ(63).

رغم كل ما تقدم، يبدو تاريخ هذه الإمارة قويا من حيث الوقائع والحراك الذي أججه بمنطقة المغرب الأقصى. إذ لا يمكن أن تستمر دولة في الوجود كل هذا الزمن دون أن تكون هناك ثوابت حضارية وثقافية تشدها لأرضها ولمحيطها، ثم ما كانت لتستميل الدول لغزوها لو لم تكن محل إغراء،

فتوالت الضربات عليها لاستأصالها، فتم ذلك بذريعة الشرك والكفر وذاك أمر والله في حاجة لتمحيص، ألم يتم التعامل مع ادعاء النبوءة عند طريف بكثير من المبالغة؟ لماذا لم تتم معالجة أمر كهذا بسبل أخرى؟ لماذا التقتيل والإبادة؟ كل هذه أسئلة تحتاج لبحث يتوخى الموضوعية والنبش في تاريخ هذه الإمارة.

المرابطون:

تعتبر صنهاجة إحدى كبريات قبائل البرانس الأمازيغية، بل أعظم قبائلها بالمغرب، تنتشر بطونها في كل جبل وبسيط حتى زعم كثير من الناس أنهم ثلث الأمازيغ رغم أن هناك من النسابة من يزعم أن صنهاجة وكتامة من حمير خلفهم الملك أفريقش بالمغرب فاستحالت لغتهم إلى الأمازيغية، والحقيقة خلاف ذلك، ومنهم قبائل كثيرة تناهز السبعين(64). ينحدر المرابطون الملثمون من قبائل صنهاجة من لمتونة من الطبقة الثانية، (الطبقة الأولى منها آل زيري بن مناد ولاة العبيديين بأفريقية ودول أخرى كثيرة(65))، كانوا يرتحلون بالصحراء ما بين السينغال والنيجر جنوب المغرب الأقصى، اعتنقوا الإسلام نهاية القرن 3هـ، ورغم ذلك لم يكونوا على دراية بواجباتهم تجاه العقيدة الجديدة، تزعمهم أبو عبد الله بن تيفاوت(66)، وبعد وفاته تولى أمرهم يحي ابن إبراهيم الكدالي الذي اعتزم أداء فريضة الحج فترك على رأس صنهاجة ولده إبراهيم، وفي طريق عودته من مكة سنة 1049م استعان بأحد فقهاء المالكية بمدينة القيروان المدعو أبو عمران

الفاسي الذي كتب لأحد تلامذته أبو محمد واجاج اللمطي بالسوس الأقصى(67) بنفيس قرب أغمات لينتذب بدوره أحد تلامذته النبهاء ليرافق يحيى بن إبراهيم يعلم صنهاجة أمور دينهم، فأوصى له بالإمام عبد الله بن ياسين الجزولي(68)، هكذا، وبعد استقراره بين لمتونة شرع في وعظهم دون كبير فائدة فتراجع نحو السينغال حيث قام بتأسيس رباط جمع فيه عددا من أتباعه سموا المرابطين ليعلن بعدها الجهاد من أجل تطبيق السنة النبوية واحترام تعاليم الإسلام الحقة وفق المذهب المالكي(69)، هذه الرحلة تؤكد مدى تمسك الأمازيغ بالعقيدة الإسلامية منذ زمن مبكر حيث كان لابد من السند الديني الصحيح لجمع شمل القبائل بالصحراء وتوحيدها من أجل بناء دولة قوية سوف تمتلك الغرب الإسلامي برمته، ثم من جهة أخرى تشير هذه الرحلة إلى أن مقاومة الأمازيغ للعرب كانت بسبب تسلط القواد والولاة العرب الذين كانوا يأخذون كل شيء بالقوة بدل الدعوة للعقيدة الجديدة بالتي هي أحسن، الشيء الذي رفضه الأمازيغ، وأسفر عن إراقة دم كثير بين الفريقين.

اجتمع للشيخ عبد الله بن ياسين ما يكفي من الرجال ليعلن الجهاد على من خالفه من القبائل بدءا بكدالة ثم لمتونة سنة 434هـ(70)، فقامت دعوة عبد الله بن ياسين على أسس دينية خالصة حيث اعتمد تحفيز المرابطين من أتباعه على الجهاد بغية مرضاة الله والظفر بالجنة التي أعدت للمتقين وأن الله سينصرهم ما

داموا ينصرون الحق وينشرون الدعوة المحمدية ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

انطلقت عملية الجهاد وتوحيد القبائل الأمازيغية وتعاقب على زعامة جيوش المرابطين، على عهد عبد الله بن ياسين، كل من يحي بن عمر اللمتوني الذي استقام له الأمر فملك جميع بلاد الصحراء والسودان وقد كان من أهل الزهد والدين والصلاح(71)، ثم أخوه أبو بكر بن عمر اللمتوني سنة 448هـ الذي أخضع بلاد السوس والمصامدة، وقد اتصف هو الآخر بالورع والعمل بالتعاليم الإسلامية(72)، ثم من بعده القائد يوسف بن تاشفين الذي سطع نجمه إبان الحروب التي خاضها على رأس جيوش المرابطين في عهد أبي بكر بن عمر، فغزا جزولة وتارودانت إذ قتل المرابطون بها خلقا كثيرا عرفوا بالرافضة نسبة لعي بن عبد الله البجلى الرافضي، صاحب مذهب الرافضة(73).

ما زال عبد بن ياسين متقدما في نشر دعوة المرابطين، فغزا جبل درن وبلاد رودة ومدينة شفشاون ونفيس، فأخضع قبائل وبايعته أخرى ودخل مدينة أغمات سنة 449هـ ففر منها حاكمها لقوط، ثم قتل ملوك بني يفرن وملك أغمات معهم وبعدها أخضع برغواطة بتامسنا(74).

شرع المرابطون في السيطرة على مملكة غانا والمغرب بزعامة يوسف بن تاشفين، الذي أتم بناء مدينة مراكش، التي بدأ بناءها أبو بكر بن عمر سنة

451هـ/1060م ،لتكون عاصمة لمملكته، وموحد المغرب الأقصى، والمغرب الأوسط سنة 472هـ.

هرع يوسف بن تاشفين لنجدة المسلمين بالأندلس وتوسيع دائرة ملكه، فكانت معركة الزلاقة سنة 482هـ الموافق ليوم 2 نونبر 1086م، حيث هزم جيوش الإسبان وقتل ألفونس السادس الذي كان قد انتزع طليطلة من المسلمين قبل عام فوحد الأندلس تحت راية دولة المرابطين بعد حروب ضد ملوك الطوائف هزمهم خلالها وقتل منهم عددا غير يسير بسبب طغيانهم ومولاتهم لعدوهم في الدين وسار على نهجه من بعده إبنه علي (500هـ إلى 537هـ) وانتقلت حضارة الأندلس إلى بلاد المغرب(75).

تلقب يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين ولم يأخذ لقب الخليفة أبو العباس المستظهر بالله العباسي رغم ما كان له من القوة وما بلغ من العزة لأنه اعتبر لقب أمير المؤمنين خاصا بالخليفة، والخليفة من قريش، فاستأذن الخليفة ليعقد ويعهد له على ما بين يديه من الأقطار والأقاليم(76)، سلوك من هذا القبيل ينم عن دهاء وولاء، فهو بذلك يتقي شر دار الخلافة ويضمن الاستقلالية. لقد حكم يوسف بن تاشفين نصف قرن من الزمن وحد خلالها شمال أفريقيا والأندلس، وأخضع القبائل الأمازيغية الأخرى، إلا ما سلف من تقتيل للقبائل الأمازيغية المناوئة، خاصة ما ألحقه بتامسنا من دمار.

بدأت قوة الدولة المرابطية تتراجع مع ظهور المهدي بن تومرت في عقر دار السلطة المرابطية بعد 14 سنة من حكم علي بن يوسف(77) ليظهر الموحدون كقوة جديدة بالغرب الإسلامي على أنقاض الدولة المرابطية.

الموحدون:

انتزعوا الملك من المرابطين سنة 541هـ/ 1146م، واستمر حكمهم حتى العام 597هـ/1202م، وبالأندلس إلى غاية 1169م .. قامت دولتهم على التوحيد.

استقر الموحدون بجبال الأطلس، بجبل درن ويعود نسبهم لمصمودة، كانوا أكثر عددا وأشد قوة وطاعة للدين مخالفين لإخوانهم برغواطة، ومن مشاهيرهم يحي بن يحي راوي الموطأ عن مالك، وهو الذي شهد فتح الأندلس مع طارق بن زياد مع ثلة من مشاهير المصامدة الذين استقروا هناك، وكان لأعقابهم بها ذكر في الدولة الأموية(78)، الشيء الذي يؤكد تعلق هذه القبائل الأمازيغية كغيرها من صنهاجة بالعقيدة الإسلامية منذ ظهورها، ثم إن المهدي بن تومرت نفسه أبدى شغفا كبيرا منذ صغره بحفظ القرآن الكريم وتحصيل علوم الدين فارتحل إلى المشرق ليتتلمذ على يد كبار الفقهاء ثم يعود إلى المغرب قصد نشر الدعوة الإسلامية من موقع العالم العارف بأمور الشريعة ومناهجها واختلاف مذاهبها.

ظهرت حركة الموحدين بداية القرن 12م على يد محمد بن تومرت من قبيلة هرغة المصمودية الأمازيغية، كان ورعا مولعا منذ صغره بأمور الدين. فارتحل إلى المشرق لطلب العلم ثم عاد يجول في الأسواق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فاجتمع حوله خلق كثير بالأطلس الصغير بجبل درن، جاء مذهبه مناوئ للمذهب المالكي يدعو للعودة للأصول الأولى للإسلام، كان ميالا للمذهب الشيعي بسبب دراسته بالمشرق، عمل بمبدأ التأويل الذي يبعد الذات الإلهية عن التجسيم ومشابهة الحوادث من خلال تأويل الآيات القرآنية(79)، عرف في صغره باسم أمغار وهناك من المؤرخين من يرد نسبه إلى آل البيت(80)، ربما ليتخذ صفة المهدي، أقام بالأطلس الكبير حيث نظم جيشا ذا مرجعية دينية إسلامية صارمة، وفي سنة 1121م أعلن قيام المهدي المنتظر من طرف الشيعة...

توفي ابن تومرت سنة 522هـ فخلفه عبد المومن بن علي الكومي، لقد أوكله ابن تومرت أمر الموحدين رغم كونه من غير جلدة المصامدة، لماذا؟ ألم يكن في ذلك مغامرة قد تفرق بين شعب المصامدة؟ أليست العصبية أساس لحمة القبيلة خاصة النسب على حد رأي العلامة عبد الرحمن بن خلدون؟ يزعمون أنه تم إخفاء موت ابن تومرت ثلاث سنوات خوفا من أن يشيع خبر موته فتتفرق القبيلة، وقد ظل أتباع عبد المومن على تلك الحال يدبرون أمر الموحدين إلى أن

حان وقت كشف الأمر وحفز الناس على بيعة صاحب المهدي سنة 425هـ(81) فأعلن الجهاد على المرابطين واستولى على المغرب وتلمسان وفاس ثم العاصمة مراكش إلى حين سقوط الدولة المرابطية عام 1147م.

بعد هذا أضحى عبد المومن بن علي الكومي (1130- 1163م) على رأس مملكة تضم شمال أفريقيا إلى طرابلس إلى الأندلس، ثم خلفه ابنه أبو يوسف يعقوب (1163 – 1184م) الذي أتم فتح الأندلس، لكن بعد معركة العقاب سنة 609هـ/1212م (وقعت المعركة في واد يسميه الإسبان نافاس قرب بلدة تولوسا وهذا سبب تسميتها بمعركة "لاس نافاس دي تولوسا"، ووقعت كذلك قرب حصن أموي قديم يسمى "العُقاب" لذلك تسمى في التاريخ العربي باسم معركة العقاب أو معركة حصن العقاب)، انهزمت جيوش الموحدين الذين كان يقودهم السلطان محمد الناصر، هذا الأخير فر بعد مقتل ابنه في المعركة فتضاربت أقوال المؤرخين في تقدير عدد القتلى في صفوف الموحدين بين 60 إلى 100 ألف، لقد كانت مجزرة حقيقية ضد المسلمين جعلت النصارى يشعرون بالقوة ويسعون بعدها لإضعاف شوكة المسلمين وطردهم وإجبارهم على الارتداد كما حدث مع الموريسكيين الوافدين على المغرب... فكانت هذه الهزيمة بداية نهاية الحكم الموحدي وبالتالي طرد المسلمين من الأندلس، فظهر المرينيون الذين نزلوا بمراكش سنة 1269م. فاستولوا على باقي تراب المغرب الأقصى.

الحفصيون:

هم قبيلة أمازيغية من هنتاتة المصمودية خرجت من صلب الدولة الموحدية، تزعمها أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص، شيخ قبيلة هنتاتة، كان قد جعله الخليفة الموحدي الناصر خليفة على أفريقية ومد يده هناك، خاصة وأن الدولة الموحدية ظلت تعاني من خطر ابن غانية صاحب مايورقة، فحقق عبد الواحد بن أبي حفص انتصارا ساحقا على يحي بن أبي إسحاق بن غانية المايورقي في إقليم الزاب عام 604هـ/1408م(82)، هذا الانتصار وضع حدا لابن غانية وجعل نجم الحفصيين يتلألأ، وأمام وهن الموحدين وتصدع دولتهم وعجز أمرائهم عن الحفاظ على وحدة الأمبراطورية الإسلامية، ثم ظهور المرينيين بالمغرب الأقصى والزيانيين بالمغرب الأوسط والحفصيين بالمغرب الأدنى، اشتدت المنافسة حول السلط بين هذه الدول بغية التوسع وبسط النفوذ، كل هذه العوامل تظافرت لتضعف شوكة الموحدين فاستفرد الحفصيون بحكم أفريقية في عهد أبي زكرياء الذي أعلن الاستقلال عن الدولة الموحدية عام 627هـ.

المرينيون:

يعود نسب المرينيين لقبيلة زناتة، إحدى القبائل الأمازيغية الكبرى، إلى جانب صنهاجة ومصمودة، ينحدرون من بلاد الزاب الكبير وقد اختلفت آراء المؤرخين في نسبهم فمنهم من يردهم لجدهم مرين، ومنهم من يجعل أصلهم

عربي، من قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان(83)، ينتمون إلى الجيل الثاني من زناتة، كان استقرارهم بالمناطق الشرقية على الحدود مع الصحراء بمنطقة الزاب قبل نزوحهم نحو المغرب الأقصى حوالي سنة 610هـ واستقرارهم في المناطق الشرقية والجنوب شرقية، جاهدوا إلى جانب الموحدين بالأندلس وشهدوا معهم هزيمة موقعة العقاب عام 609هـ/1212م، ويرى صاحب الاستقصا أن الأسباب التي هيأت امتلاك المرينيين للمغرب الأقصى هي هزيمة الموحدين وكذا الوباء الذي حل بدولتهم(84)، فقاموا بضم العديد من المدن إلى حضرتهم خلال عهد الأخوين أبو يحي عبد الحق (تولى أمر بني مرين سنة 642هـ إلى 656هـ) وأبو يوسف (حكم بين 657هـ إلى) منها فاس (646هـ) ومدينة سلا ورباط الفتح (649هـ) ومراكش (668هـ في عهد أبي يوسف).

مع حلول سنة 1269م استمروا في زحفهم على سائر تراب المغرب الأقصى، إلى أن قضوا على الموحدين وتوسعوا نحو المغرب الأوسط، فاستولوا على مدينة وهران. لقد عرفت الدولة المرينية عصرها الذهبي في عهد السلطانين أبي الحسن علي (1331-1351م) وأبي عنان فارس (1351-1358م) حيث ازدهر العمران والفكر وسطع نجم العديد من العلماء نذكر منهم العلامة عبد الرحمن بن خلدون والرحالة الأنثروبولوجي ابن بطوطة... وانتصروا على ملوك بني عبد الواد فسيطروا على عاصمتهم تلمسان فبلغوا المغرب الأدنى...

اتخذ المرينيون مدينة فاس عاصمة سياسية لحكمه وهي الجزء الغربي من فاس وتسمى المدينة البيضاء التي بناها يعقوب بن عبد الحق المريني.

كان تدخل المرينيين ضد الموحدين عسكريا محضا دون سند ديني، فجاء حكم زعمائهم بداية الأمر بصفة "السلطان" وليس "أمير المؤمنين" في حين استأثر بنو عبد الواد بالمغرب الأوسط، أما الأندلس فتهاوت على يد المسيحيين خلال النصف الثاني من القرن 14م ليسقط بعدها آخر معقل إسلامي هو غرناطة سنة 1492م(85).

هذا العز لم يعمر طويلا لأسباب منها الصراعات الداخلية، فكل دولة تحمل بين طياتها أسباب انهيارها، ومعلوم أن العهد المريني اتسم "بالاغتيالات السياسية"، حيث كان الصراع على الحكم عنيفا بين سلاطين الدولة، فمنذ العام 1358م بدأت الدولة المرينية تتقهقر وقد تولى الحكم ملوك دون سن الرشد يعيشون تحت وصاية أبناء عمومتهم من الوطاسيين فثار أهل فاس على المرينيين الشيء الذي فسح المجال أمام ملوك الوطاسيين لتدبير الشأن العام وانتهت دولتهم العام 869هـ . 1465م، ثم هناك عامل آخر يبدو أساسا في اندحار دولة بني مرين هو الدور السلبي لليهود بسبب تواطئهم مع النصارى وهو دور اتسم به اليهود على مدار التاريخ الإسلامي ...

تميز المرينيون عن غيرهم من الدول، خاصة المرابطية والموحدية، كونهم لم يتعصبوا لمذهب معين بل انفتحوا على كل المذاهب وتركوا الحرية لأشياعهم

الشيء الذي شجع العديد من العلماء على الارتحال إلى المغرب هربا من المد النصراني بالأندلس مثل ابن الخطيب (ت 776هـ . 1374م) والعلامة عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ . 1405م)، وظهر العديد من العلماء مثل ابن عذارى المراكشي (ت 712هـ . 1312م) وابن البناء (ت 721هـ . 1321م) وابن أجروم (ت 723هـ . 1323م) وابن رشيد السبتي (733هـ 1333م) وابن أبي زرع الفاسي (ت741هـ . 1340م) وعبد المهين الحضرمي (ت 749هـ . 1348م) وابن الحاج (مؤلف فيض العباب، ت 774هـ . 1372م) والرحالة ابن بطوطة الذي كتب رحلته بتكليف من السلطان أبي عنان المريني (ت 779هـ . 1377م) ...(86) ناهيك عمن هلك من العلماء كانوا مع السلطان أب الحسن على متن أسطوله في طريق العودة من تونس وقدر صاحب نفح الطيب عدد العلماء والفقهاء الذين هلكوا بأربع مائة، كان ذلك في شتاء سنة 705هـ(87)، هذا التجلي الديني كان ميزة لملوك بني مرين، فقد رعوا العقيدة الإسلامية حق رعايتها، ونضرب مثلا هنا بالسيدة أم اليمن بنت محلى البطوئي أم الأمير يعقوب بن عبد الحق والتي كانت فاضلة صوامة قوامة ذات عقل ودين حجت بيت الله الحرام ثم ما فتئت أن عادت مرة ثانية للحج لكن المنية وافتها بأرض مصر(88).

أما الميزة الثانية، فإن عهد بني مرين كان عهد حرب واقتتال بين بيني مرين أنفسهم وأبنا عمومتهم الزيانيين البنو عبد واديين ملوك تلمسان من الطبقة

الثانية من زناتة، استقروا بمصاب جبل راشد وفجيج وملوية وكانت بينهم وبين بني مرين أبناء عمومتهم فتن، أعلنوا ولاءهم للموحدين عند نزولهم بتلمسان(89)، كانت الاغتيالات من أجل السلطة... إنه عصر الاغتيالات السياسية بامتياز.

الوطاسيون:

يعود أصلهم للمرينيين لكنهم ليسوا من ذوي عبد الحق، استأثروا بمنطقة الريف بشمال المغرب وجعلوا كبير همهم انتزاع الملك من المرينيين إلا أنهم ما فتئوا أن أذعنوا لهم وصاروا في خدمتهم فجعل منهم سلاطين بني مرين وزراء وحجاب وعمال فأحسنوا البلاء وحسن أثرهم في الدولة(90)، ويرى بنو الوزير، رؤساء بني وطاس، أنهم من أعقاب علي بن يوسف بن تاشفين أي أنهم من صنهاجة وإنما طول مقامهم بين بني وطاس جعلهم ينصهرون فيهم ويلبسون ثقافتهم(91).

حكم الوطاسيون المغرب ما بين سنوات (1358- 1375م) ثم (1393. 1458م)، اتخذوا من مدينة فاس مستقرا لهم، أصولهم أمازيغية، وقد كان ظهورهم مع أقربائهم المرينيين فسيطروا على منطقة الريف في بداية الأمر ثم توسعوا ليطيحوا نهائيا بالمرينيين، جاؤوا هم أيضا من منطقة الزاب فعمدوا منذ البداية إلى مزاحمة المرينيين في ملك المغرب واكتفوا بدور الحجابة لكن المرينيين أقاموا لهم مذبحة سنة 1458م لم ينج منها إلا القليل منهم محمد الشيخ المهدي

الذي استقر بمدينة أصيلة شمال المغرب سنة 1465م ومن هناك انطلق ليستولي على فاس سنة 1472م لكن البرتغاليين فاجئوه بالهجوم على أصيلة هكذا وجد الوطاسيون أنفسهم في مواجهة العديد من الإمارات المرينية (إمارة دبدو) من جهة ثم الخطر البرتغالي والإسباني الزاحف على مدن سبة وطنجة والمد السعدي الذي استغل هذا الوضع سعيا لتأسيس كيان سياسي جديد.

إن الحديث عن تاريخ الأمازيغ بالشمال الإفريقي هو حلقة أساس في مسيرة حضارة تم حجب جزء كبير منها لاعتبارات ذاتية لا تتوخى البحث الموضوعي، فكل أمة لا تبحث في تراثها وتاريخها هي أمة آيلة للتخلف والتقهقر لأن أهمية التاريخ لا تتجلى في سرد الوقائع وحسب ولا في ذكر الأعلام والأماكن لكن أيضا في الوقوف عند مكامن القوة والضعف من أجل بلور مفهوم حضاري لكل هذه الوقائع والأحداث التي تمر بأمة واستخلاص العبر منها لاستشراف المستقبل.

خلاصة

لقد عرفت أرض الأمازيغ حضارة كبيرة وحمل شعبها ثقافة تفاعلت مع الثقافات المجاورة لهم منها الثقافة بونية التي هي ثقافة أمازيغية فينيقية ثم إن الملك مسينيسا شجع الفكر اليونان خلال القرن الخامس قبل الميلاد وقد ألف يوبا الثاني كتاب "ليبيكا" يتحدث عن بلاد الأمازيغ(92)، ثم إن أول أديب أمازيغي

الأصل لاتيني اللغة ظهر في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد أي قبل نزول الرومان في أفريقية ثم تيرينتيوس آفر Terentius Afer(185.159ق م) أي الأفريقي، وقد خلد ست مسرحيات، وأفولاي (170.125م) أحد المفكرين العالميين صاحب كتاب "التقمصات" (Les Métamorphoses) في أحد عشر جزء(93) وصاحب أول عمل روائي هو "الحمار الذهبي" ...، فاحتكاك الأمازيغ بالحضارات الأخرى جاء في إطار المثاقفة L'acculturation.

لقد ظلت منطقة الغرب الإسلامي، أي الشمال الإفريقي والأندلس، تعاني من عدم الاستقرار، رغم ما تكبدته الدول الكبرى، المرابطية والموحدية، من عناء الحروب والمواجهات مع القبائل المناوئة لتوحيد هذه القبائل ومحاربة العدو في الدين، لقد كانت الواجهات متعددة، سواء بالأندلس أو بالمغرب الأدنى والأوسط والأقصى إلا أن المواجهة المذهبية كانت الأعنف فالمذاهب تفشت بين القبائل الأمازيغية خاصة المالكية والخارجية وقد وجدت هذه المذاهب في بلاد الأمازيغ مرتعا لها لتأجيج اختلافاتها، فالمالكية مثلا، تعتبر الخوارج خارجين عن مذهب أهل السنة، وقد ذكر ابن أبي يزيد (فتوى ابن أبي يزيد، المعيار)أن الإمام مالك وأصحابه لا يأخذون بشهادتهم وأن علماء آخرين يقبلون بشهادتهم في الأماكن التي يمثلون فيها الأغلبية وأنه يجوز للمالكية تعليم القرآن عند الاقتضاء

لأبناء الخوارج دون الكتابة ومن الخوارج في جربة، حسب الشريف الإدريسي، من لا يماسح الثياب أو يأكل مع من هم على غير مذهبهم(94) من هنا يبدو أن السند الديني كان حاضرا عند تأسيس كل دولة فهو الذي يضفي الشرعية على السلطة وبالتالي دار الملك، باستثناء مملكة نكور وفيما بعد الدولة المرينية التي اعتمدت قوتها العسكرية في البداية لتبحث بعد ذلك عن الشرعية الدينية، فالمرينيون لم يكونوا بالقوة التي تمكنها من بسط نفوذها على سائر بلاد الغرب الإسلامي حيث تم تقاسم الشمال الإفريقي بين بني عبد الواد الزيانيين بالمغرب الأوسط والحفصيين بالمغرب الأدنى والمرينيين بالأقصى، أما الأندلس فلم يستطع المرينيون الحفاظ على وحدته رغم كل محاولات كما فشلوا في استعادة وحدة الشمال الأفريقي كما كنا في عهد الموحدين خاصة تلك الجهود التي بذلها السلطان أبو عنان بن أبي الحسن والتي باءت بالفشل.

لقد اهتمت الدول الأمازيغية بالمجالين الديني والروحي بشكل كبير لم يسبقهم إليه غيرهم سواء بالمغرب أو بالأندلس، لهذا نجد بعض المدن حظيت بالقسط الوافر من العمارة الإسلامية مثل مدينة فاس التي شهدت عصرها الذهبي في العهدين المرابطي والموحدي لاسيما في عصر الخليفة يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي الكومي ثالث الخلفاء الموحدين (580-590هـ) وولده محمد (590-610هـ)، حيث بلغ عدد المساجد بفاس 785 مسجدا(95)، هكذا

برز عدد من الفقهاء والخطباء اعتلوا منابر المساجد، نذكر منهم أواخر العهد الموحدي والعصر المريني، الخطيب المبارك الصالح المهدي بن عيسى ثم الفقيه الصالح بن عطية والفقيه يسكر بن موسى الجورائي وغيرهم كثر(96).

مهما يكن من قول فإن تشبث الأمازيغ/الأمازيغ، بالدين الجديد لم يضاهيه سوى تمسكهم بأرضهم واستماتتهم في الدفاع عنها وقد كان لهم الدور الكبير في نشر الإسلام والتشبع بتعاليمه، فاللبس التاريخي القائم حسب اعتقادي هو بين نشر العقيدة الإسلامية والغزو العربي المتلخص في سلوك الولاة العرب ودار الخلافة بالمشرق ثم من بعدهم بنو هلال وما ألحقوه من ضرر ببلاد الأمازيغ حيث كانوا مثل الجراد المنتشر أتوا على الأخضر واليابس واستباحوا الأرض والعرض ووضعوا سيوفهم في قبضة كل جموح للسلطة والملك، على حد تعبير صاعب العبر.

الهوامش

1) بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، أدوارها، ومواطنها، وأعيانها، ج1، الطبعة 4، 2010، ص. 14إلى16

2) Mercier, Ernest (1840-1907). Histoire de l'Afrique septentrionale, Berbérie, depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête

française. 1888. Tome 1. Imp Durand. Paris. P9

3) عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم، ج1، منشورات تامنغاست

4) عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج3، ص.116

5) نفسه. ص116

6) القلقشندي، قلائد الجمان، نفس القول عن الأصول العربية للبربر نجده عند ابن أبي زرع، صاحب الأنيس المطرب والذخيرة السنية وغيرهم من النسابة، وهو الأمر الذي يدحضه عبد الرحمن بن خلدون

7) عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر ...، م. س، ص.126

8) مدينة أثرية تبعد 3 كلم عن مدينة العرائش و22 كلم عن موقع زليل القريب من جماعة "إثنين سيدي اليماني" بإقليم طنجة، بنيت زليل القريبة من جماعة "إثنين سيدي اليماني" بإقليم طنجة. بنيت على الضفة اليمنى لوادي اللكوس من المدخل الشمالي للعرائش فوق هضبة تسمى "التشوميس" مطلة على الساحل الأطلسي على علو 80 مترا، تقدر مساحتها بحوالي 75 هكتار وقد لعب موقع ليكسوس (هو الإسم الأثري لمدينة العرائش التي بناها الفينيقيون

9) الملك ماسينيسان (202 ق.م. – 148 ق.م.) ابن الملك غيان المتوفّي سنة 206 ق.م. ابن زكلسان اشّفط – صاحب السلطة التنفيذية – في دقة وهو "ماسينيسان" والد الملكين: غولوسا وميقيبسا ومن أشهر أحفاده يوغرطة

10) تاريخ إفريقيا العام، المجلد الثاني، حضارات إفريقيا القديمة، المشرف على المجلد: د.جمال مختار، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام،

جونافريك، اليونسكو، الفصل الثامن عشر، بقلم، ب.هـ. وارمنجتون. ص 470

11)نفسه، ص.470، كذلك عند :

Cherbi Moh et Thierry Deslot: Les rois berbères, Paris-Méditerranée. 2010. p.46 .

12)تاريخ إفريقيا العام، م. س، المجلد 2. القسم 2،. بقلم ب.سلامة، ص514/513

13)عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تحقيق أحمد بن ميلاد، ومحمد إدريس. مطبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1990، ص 29

14)أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج.1، الطبعة الأولى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955، ص.35

15)نفسه، ج.1، ص. 36

16)نفسه، ص. 37

17)عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا ...، م.س، ص. 66

18)نفسه، ص 87

19)نفسه، ص 95

20)الناصري، الاستقصا ...، م. س، ج.1، ص33و34

21)نفسه، ص.35

22)نفسه، ص.36

23)نفسه، ص.37

24)نفسه، ص.38

25)نفسه، ص.42

26)نفسه، ص.43

27)نفسه، ص.46

28)نفسه، ص.47

29)الناصري، الاستقصا ...، م. س، ج.1، ص.48

30)محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1985، ص.6160، نقلا عن القيرواني الرقيق، وعبد الرحمن بن خلدون، وابن عذارى

31)نفسه، ص.49

32)نفسه، ص.51

33)حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، العصر العباسي الثاني، ج.3، الطبعة الرابعة عشرة، مطبعة دار الجيل بيروت ومكتبة النهضة المصرية، 1996، ص.215و216

34)محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج ...، م. س، ص.5

35)الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ج.2، ترجمة، حمادي الساحلي. ج.2، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص.8و9

36)بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية ...، م. س، ج2، زناتة، ص.205

37)مجهول، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 2005، ص.138. وفي نسخة أخرى حققها عبد القادر بوباية، (أبو علي صالح بن عبد الحليم الإيلاني، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الثانية)

38)محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160هـ . 296هـ)، الطبعة الثالثة، دار القلم للنشر والتوزيع الكويت، 1987، ص.57

39)محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج ...، م. س، ص.62

40)نفسه، ص. 63

41)عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر...، م.س، ج.6، ص.283

42)الناصري، الاستقصا...، م.س، ج.1. ص. 48

43)رجب محمد عبد الحليم، دولة بني صالح في تامسنا بالمغرب الأقصى (125هـ. 455هـ)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المقدمة، (الطبعة لا تحتوي معلومات أخرى. المؤلف أستاذ مادة التاريخ الإسلامي بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية. جامعة القاهرة)

44)سميت باسم النهر الذي يخترقها، نهر نكور، غزاها المجوس سنة 224هـ، ثم عاد سعيد بن إدريس ليحكم قومه مدة 37سنة. كانت بها أبواب عدة وحمامات (ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان وإ. ليفي بوفانسال، ج.1، ط.3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص.176)، تقع بين نهرين، نكور وغيس كما ورد عند البكري)

45)نفسه، ص. 178

46)عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر ...، م. س، ج6، ص.283

47)ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب ...، م.س، ج.1، ص.183

48)نفسه، ص. 194

49)نفسه، ص. 247

50)الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات المعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، 1983، ج.1، ص. 192، الخريطة

51)نفسه، ص.98و99

52)عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر ...، م. س، ص. 276و277

53)نفسه، ص14و15

54)عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة

55)رجب محمد عبد الحليم، دولة بني صالح ...، م. س.

56)أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت 333هـ)، كتاب المحن، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 2006، ص. 230

57)نفسه، ص16و17

58)الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف أفريقيا، م. س، ص.195و196

59)عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر ...، م.س، ج6، ص. 286

60)أحمد بن خالد الناصري السلاوي، م.س، ج. 2، ص.3

61)نفسه، يمكن في هذا الصدد الرجوع إلى ما جاء في الصفحات من 202 إلى 214. (عبد الرحمن بن خلدون في العبر. ج6). كما يمكن الوقوف عند ما ورد في كتاب "الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من ق10إلى ق12م"، وهو كتاب نقله إلى العربية حمادي الساحلي، عن النص الفرنسي للمؤلف هادي روجي إدريس، 1962، ج1، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، 1992، بيروت.

62)نفسه، ص.5

63)أورد ابن خلدون في كتاب العبر، ج6، ص.243، أن الفقيه أبو عمران كتب إلى الفقيه محمد وكاك بن زلوا اللمطي بسجلماسة وهو من الآخذين عنه. فطلب منه ان يوكل لهم من يأخذ بيدهم في أمور دينهم. فاختار لهم عبد الله بن ياسين بن مكو الجزولي. وهو الأمر الذي يناقض ما ورد عند صاحب الاستقصا.

64)Ismaël Hamet,... Histoire du Maghreb. Cours professé à l'Institut des hautes études marocaines. 1923. P79

65)Ibd. P. 80

66)أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصا ...، م.س، ج. 2، ص.9

67)نفسه، ص.10

68)أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصا ...، م.س، ج.2، ص.12(تجدر الإشارة أن الناصري أخذ عن بن خلدون في هذا الصدد وهو يعلن عن ذلك في أكثر من مقال)

69)نفسه. ص13

70)أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصا ...، م.س، ج.2، ص.14

71)عبد الرحمن بن خلدون، العبر...، م.س، ص. 249و250.

72)الناصري، الاستقصا ...، م.س، ج.2، ص.53

73)الناصري، الاستقصا ...، م.س، ج.2، ص.251

74)عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر...، م.س، ج.6، ص. 299

75)حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، العصر العباسي الثاني، ج.3، مطبعة دار الجيل بيروت ومكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة عشرة، 1996، ص.270، ثم ابن خلدون في كتاب العبر...، م.س، ج.6، ص.302

76)عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر...، م.س، ج.6، ص.301

77)نفسه، ص. 306،(ذكره أيضا الناصري، الاستقصا ...، م.س، ج.2، ص.91)

78)عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، المجلد3، ج.5، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، 1994، القاهرة، ص. 19

79)علي بن ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط. 1972، لا يوجد رقم الطبعة، لكن نرجح أنها الأولى من كلام المقدمة، ص.14

80)الناصري، الاستقصا ...، م.س، ج.3، ص.4

81) Ismaël Hamet,... Histoire du Maghreb. Cours professé à l'Institut des hautes études marocaines. 1923. P155

82) عامر بن عبد الله حسن، دولة بني مرين، تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصراني في إسبانيا (688هـ . 869هـ)، رسالة ماجستر، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطسن، 2003، ص. 212و213

83) الناصري، الاستقصا ...، م.س، ج.3، ص. 171

84) علي بن ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية ...، م.س، ص. 23

85) عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر...، ج.7، ص.97

86) نفسه، ج.4، ص. 118

87) عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر...، ج.7، ص.287

88) الثقافة الأمازيغية وثقافة الأمازيغيين. www.tawalt.com/wp.../books/33 ص79

89) نفسه، ص. 82و83

90) الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ج.2، الطبعة الأولى، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص.359

91) علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، الطبعة2، المطبعة الملكية الرباط، 1991، ص.44

92) نفسه، ص.56

الثورة التحريرية بالجنوب الغربي الجزائري (المنطقة الثامنة من الولاية الخامسة)

منطقة العين الصفراء –أنموذجا–

شهادة حية للمجاهد خليفي بونوة (ملازم بجيش التحرير الوطني)

أ. حسين تواتي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –

الملخص:

نعالج في هذا الموضوع المعنون ب«الثورة التحريرية بالجنوب الغربي الجزائري (المنطقة الثامنة من الولاية الخامسة) منطقة العين الصفراء – أنموذجا – شهادة حية للمجاهد خليفي بونوة (ملازم بجيش التحرير الوطني) »أهم العمليات المسلحة التي قامت بها قوات جيش التحرير الوطني بمنطقة العين الصفراء من خلال سرد أحداث ووقائع بعض المعارك وهي: – معركة جبل عيسى 1957 -1958 ؛معركة جبل بني سمير –واد سيدي سعيد 1960 ؛معركة جبل بني سمير –كلخابو أواخر سنة 1960 ؛معركة العرجة 1961 ؛عملية اقتحام أحد مراكز العدو بالعين الصفراء.

Résumé:

Selon le témoignage de moudjahid «Khlifi Bounoua » sur la révolution national au sud-ouest de l′ Algérie (8è région de la 5è wilaya) à Ain Sefra ,il a cité les différentes opérations armées effectuées par les forcede l′ A L N : - La Bataille de Djebel Aïssa (1957-1958) ; La Bataille de Djebel Beni Smir –Ouèd Sidi Saïd 1960 ; La Bataille de Djebel Beni Smir –Kalkhabou (la fin de 1960) : La Bataille de El Ardja 1961 ;Opération contre l′armée française à Ain Sefra.

وجدت الثورة التحريرية الجزائرية في نفوس أهل الجنوب الأرضية الخصبة على غرار باقي مناطق الوطن ،وذلك نتيجة تغلغل الوعي الوطني ،و الفكر الثوري في نفوس أهل الصحراء بفضل نشاط الحركة الوطنية ،وخاصة حركة انتصار الحريات الديمقراطية – حزب الشعب سابقا – ،والتي امتدت تنظيماتها إلى جميع المناطق الصحراوية [1] ،ومن بينها منطقة الجنوب الغربي التي كانت تابعة للولاية الخامسة (وهران)[2].

اعتمد جيش التحرير الوطني في بداية الثورة في تنظيمه بالجنوب الغربي على العمل في أفواج صغيرة قليلة العدد لتسهيل حركة عناصره ،و التطبيق الأمثل لأسلوب المباغتة و المفاجأة ،وتوسيع عملياته بالمنطقة ،وكذلك كان الأمر بالنسبة لباقي المناطق الجنوبية[3].

ومن بين مناطق الجنوب الغربي التي شهدت نشاطا عسكريا مكثفا منطقة العين الصفراء التابعة تنظيميا للمنطقة الثامنة (بشار) من الولاية الخامسة. فكيف كان تنظيمها؟ ومن هم أشهر قادتها؟ وما هي أهم المعارك التي شهدتها؟

هذه الأسئلة وغيرها طرحناها على المجاهد خليفي بونوة[4] محاولين من ورائها جمع شهادة حية لم يكن القصد من ورائها المشاركة في هذا الملتقى فحسب ،بل كان القصد منها – وهذا هو الهدف الأسمى – هو إماطة اللثام عن الأحداث التي عرفتها المنطقة خلال الثورة التحريرية المباركة من طرف الذين شاركوا في صناعتها ،و المساهمة في كتابة تاريخها.

1- تنظيم المنطقة ودورها:

منطقة العين الصفراء تابعة للقطاع الثالث من المنطقة الثامنة من الولاية الخامسة ،وكان هذا القطاع يضم ثلاث فصائل وعدة مراكز . وكان قائد القطاع سنة 1956 السي بوزيد أما قادة الفصائل فهم: مولاي عبد المالك ،جديدي الجديد و الجمليي علي

أما قيادة الجماعات فنذكر منهم: صبان من الشمال ،وبن عبد الله من سيدي بلعباس ،وعبد الرحمن من ضواحي سيدي بلعباس.

ولتسهيل العمل وتحديد الصلاحيات تم تقسيم القطاع حسب الأراضي و الجبال لكل قسم محافظ سياسي يتكون من أربعة إلى عشرة أفراد يطلق عليهم الشرطة العسكرية على رأسهم مسؤول مثقف ذو خبرة سياسية كمايلي:

– القسم الأول ويضم : جبل بني سمير، جبل الفرطاسة و جبل الحجاف ،و المواطنين من البدو الرحل في المنطقة ،مقر الإدارة و التموين ببني و نيف.

– القسم الثاني ويضم : جبل أمزي، مير الجبال، جبل مغرار ،جبل بوعمود، ومدن : جنين بورزق مغرار التحتاني والفوقاني،عسله و المواطنين من البدو الرحل التابع للمنطقة، و هو تابع لها حتى فيما يخص التجنيد.

– القسم الثالث ويضم : جبل تانوت، شماريخ، بولغفاد وجبل مكثر ،ومدن العين الصفراء ،سفيسيفة ،تيوت ،بوسمغون، والمواطنين الساكنين بهذه المناطق ومن البدو الرحل.

– القسم الرابع ويضم: جبل مرغاد، جبل عيسى، جبل المالحة و بالكرش ومدن المشرية ،البيوض ،بن عمار وعين بن خليل .

كما كان للشعب مسؤولين سياسيين يعملون على تنظيمه وتشجيعه على الالتحاق بصفوف الثورة ،ومن مهامهم كذلك جمع المعلومات لصالح الثورة ،وكان لهم اتصال دائم و مستمر مع مسؤولي الثورة في المنطقة.

أما دور المنطقة ففضلا عن العمل العسكري و السياسي الذي كانت تقوم به لصالح الثورة فإنها كانت مركز عبور لعناصر جيش التحرير الوطني وقادته من الشمال إلى الجنوب ،ومن الغرب إلى الشرق والعكس صحيح[5] .كما كان لها الدور الكبير والفعال في نقل

السلاح والتموين من المغرب الأقصى ،وكذا نقل أفراد جيش التحرير المصابين للعلاج هناك ،وذلك على اعتبار المنطقة تقع على الحدود الجزائرية المغربية.

2- أهم المعارك التي شهدتها المنطقة:

يقول المجاهد خليفي بونوة في هذا الصدد: « أذكر بعض الأحداث من أيام حياتي وهي لمحة فقط من سنين الثورة مع جيش التحرير ،وأشهد على نفسي أن كل عمل قمت به بإخلاص ودون تقصير أو تخاذل مهما كان نوعه من عام 1956 إلى 1992 .وأيام العمل متصلة بدون انقطاع.

وأسجل تاريخ الكفاح حسب مشاركتي في هذه الثورة المظفرة و الطاهرة. وأذكر بعض المعارك التي شاركت فيها وأخرى شاهدتها بعيني من بعيد و أخرى عايشت أحداثها :

1- معركة جبل مرغاد عام 1957 و كنت خارج المعركة.

2 - معركة جبل عيسى عام 1957 و كنت خارج المعركة.

3 - معركة جبل عيسى عام 1957-1958 - قائد المعركة علقمة الحاج.

4 - معركة جبل تانوت عام 1958- وقائد المعركة بودلال الميلود .

5 - معركة جبل مكثر عام 1958-1959 و قائد المعركة جديدي جديد سقط شهيدا.

6 - معركة جبل مغرار عام 1959 و قائد المعركة عبد المومن.

7 - معركة جبل بوعمود عام 1959 و قائد المعركة مناع عبد الكريم.

8 - معركة جبل الخروبة عام 1959 و قائد المعركة بلكبير.

9 – معركة جبل بوعمود عام 1958-1959و قائد المعركة زبانة (الصباح عبد القادر).

10 – معركة جبل امزي عام 1959 قائد المعركة راسمال الطاهر.

11 – معركة حصار شال لجبال القصور كلهم في المنطقة الثامنة عام 1959.

12 – معركة جبل أمزي 1959 و قائد المعركة قطاف من ستيتن و استشهد في هذه المعركة .

13 – معركة جبل بني سمير– قورسيفان عام 1960 قائد المعركة فيصل.

14 – معركة جبل أمزي الكبرى عام 1960 قائد المعركة حميدي بولنوار الذي وقع أسيرا في قبضة العدو.

15 – معركة جبل بالكرش عام 1960 و قائد المعركة بورقبة جلول.

16 – معركة جبل بني سمير–قورسيفان عام 1959 قائد المعركة فيصل.

17– معركة جبل بني سمير ياشو-1960 قائد المعركة جميلي علي.

18– معركة جبل بني سمير– واد سيدي سعيد عام 1960 وقائد المعركة خليفي بونوة.

19– معركة جبل بني سمير– قورسيفان– عام 1960 قائد المعركة قراوي عبد القادر سقط شهيدا هو نائبه بن ويس.

20– معركة جبل مرغاد بالركنة الحمرة عام 1958– أفريل قائد المعركة ديدة أحمد سقط شهيدا.

21- معركة في سلك درمل و هي عملية عبور 1959 و قائد العملية بن حمادي بن عامر اسم الثورة رضوان .

22- معركة جبل بني سمير – كلخابو عام 1960 و قائد المعركة شني أحمد وخليفي بونوة.

23- معركة العرجة عام 1960-1961 و قائد المعركة بن يوسف عبد القادر (اسم الثورة الزبير) .

24- معركة واد زوز فانة عام 1960 و قائد المعركة خليفي محمد و لد البشير.

25- معركة جبل بني سمير- السرج-1961- قائد المعركة عبد العالي من بوقطب.

26- معركة جبل الجحاف عام 1961 قائد المعركة الماحي معمر.

27- معركة جبل مير الجبال عام 1956 قائد المعركة بن الشلالي محمد.

28-معركة جبل مير الجبال عام 1956-1957 قائد المعركة سي منصور سقط شهيدا.

29-معركة جبل تانوت – بريسط،عام 1961-1962 قائد المعركة- بلعابد محمد- اسم الثورة خالد، كان شهيدا.

30- معركة جبل تانوت. عام 1961-1962 قائد المعركة محمد بن الشلالي ،و سنيدفة عبد القادر رأسمال.

31- معركة جبل شماريخ عام 1958- قائد المعركة مولاي جيلا لي.

32- معركة جبل بولغفاد عام 1959 قائد المعركة جغابة محمد.

33-معركة جبل بوعمود- مرغاد عام 1962 مع مجموعة غرس الألغام بن ختو أحمد كان أسيرا.

34- معركة جبل أمزي و قائد المعركة سي أحمد سعدون عام 1957-1958.

و معارك عديدة لم أتحدث عنها لم أتذكرها أو لم أشارك فيها وأخرى لا أعلمها و يرحم الله الشهداء الأبرار.»

- **معركة جبل عيسى 1957– 1958 (قائد المعركة الحاج علقمة):**

في أواخر سنة 1957 وبداية سنة 1958 قررت قيادة المنطقة الثامنة تقسيم القطاع إلى مجموعتين وعينت عليهما الحاج علقمة قائدا ،وكان تعداد كل منهما ما يقارب مائتي مجاهد. وتكونت منهما مجموعة رجال الصاعقة للمنطقة الثامنة متخصصة بالخطف والقتل داخل المدن.

ولما بلغ أمر هذا التنظيم السلطات الاستعمارية قامت بتجميع قواتها وشرعت تبحث في مختلف المناطق و الجبال عن أفراده، لأنها خشيت على قواتها ومصالحها من أن تتضرر،فكانت الطائرات تبحث في الجبال و المناطق القريبة منها، إلا أن قيادة الثورة بالمنطقة أمرت أفرادها بمجانبة التصادم معها، وتكتفي بضرب مراكز العدو والهجوم الخاطف على عناصره ،وضرب تجمعاته ،ثم الانسحاب . في هذه الأثناء انتقلت قوات جيش التحرير الوطني من جبل عيسى إلى جبل بولغفاد ومنه إلى جبل شماريخ ثم إلى جبل تانوت والقوات الفرنسية تحاصرها من هنا إلى هناك.

وعند جبل شماريخ حاصرت القوات الفرنسية حاصرت هذه المجموعة من المجاهدين أجل دفعها إلى التصادم والدخول معها في معركة لأنها كانت تعلم أن هذا الجبل يفتقر إلى مصادر المياه ،لكنها – كما سبق ذكره – انتقلت إلى تانوت، أين تمركزت فيه لبضعة

أيام. لكن القوات الفرنسية شرعت في تطويق الجبل من كامل جوانبه بالقوافل والشاحنات العسكرية و الدبابات، فقررت المجموعة الانسحاب إلى جبل عيسى. ويذكر أن السياسة الفرنسية عمدت إلى قطع التموين، وحاصرت الطرق المؤدية إلى جبل تانوت أو القادمة منه، وهنا يذكر المجاهد خليفي بونوة أنه تسرب مع اثنين من المجاهدين إلى جبل عيسى ليلا أين يوجد مركز الحراسة الخاص بالتموين في واد أولاد زياد ،وكان رئيس المركز ومعه أربعة عشرة أو ستة عشرة مجاهد في حالة تأهب وطوارئ .

وبعد وصول الثلاثة إلى المركز طلبوا من قائده تحضير المؤونة اللازمة والتي لم تكن غير السميد والمواد الجافة، اضافة إلى تزويدهم بالمعلومات اللازمة عن العدو و تحركاته.

كان المجاهدون متفطنين ليلا نهارا في حذر شديد ،ملتزمين بالأمر قاطع لتوخي الحذر ،وهم متمركزين في قمة الجبل ،والطائرات تحلق فوقه دون انقطاع.

حينها بدأت السلطات الفرنسية بتعزيز قواتها في أطراف الجبل وشرعت في الزحف إلى قمته ،الأمر الذي دفع بأفراد المجموعة من المجاهدين إلى الصعود إلى مكان مستو يسمى السهب يفترض أن تحط فيه الطائرات العمودية.

هنالك أخذوا مواقعهم الدفاعية استعدادا للمعركة مع العدو.

في خضم هذه الأحداث ،وحين شرع الجيش الفرنسي في تمشيط الجبل بدأت الثلوج في التساقط ،وتبعها ضباب كثيف عطل حركته و حركة طائراته. لكنه واصل عملياته ببطء وحذر شديدين حتى تمكن من حصار المجموعة من كل الجوانب ،لكنها تمكنت من الانسحاب حوالي الساعة الثالثة ليلا خلف خطوط العدو التي أصبحت مكشوفة بعدما اضطر أفراده إلى التكتل في مجموعات وإشعال النار من شدة البرد. ولم يدخل المكان إلا على الساعة الثالثة ظهرا بعد ما دمره بالمدفعية و الطائرات.

في ظل هذه الظروف الصعبة و الحصار الذي فرضته القوات الفرنسية من جهة ،وشدة البرد و الجوع من جهة أخرى ،وتحت قيادة المجاهد محمد بن سالم أحضر الشعب من عرش الصوالة وكان مسؤوله المدني محمد بن سالم ما يسد رمق المجاهدين من خبز ولحم و ماء .

و في صباح اليوم الثالث ،وبعد انجلاء الضباب عن الجبل وقع الصدام بين أفراد المجموعة وعناصر القوات الفرنسية التي اضطرت إلى الانسحاب تحت شدة ضربات مجاهدي جيش التحرير مع وقت الغروب.

استغل أفراد جيش المجموعة تراجع القوات الفرنسية و انسحبوا من المنطقة ،لكن مجموعة تخلفت عنهم لانقطاع الاتصال بينهم ،و كان عددهم 11 عنصرا اصطدموا مع الجيش الفرنسي في معركة دامت من حوالي العاشرة صباحا إلى الرابعة بع الزوال ،وكان قائدهم السي عبد القادر المغربي (الاسم الثوري) الذي عاد رفقة اثنين من العناصر للبحث عنهم. كانت النتيجة أن استشهد الربعة عنصرا بمن فيهم السي عبد القادر المغربي و قاسمي محمد رقيب أول من قصر سيدي بوتخيل، بلهاشمي بوتخيل ،هذا اضافة إلى أربعة عناصر سقطوا شهداء في اليوم السابق ،وسبعة جرحى من بينهم قائد المجموعة الحاج علقمة.

- **معركة جبل بني سمير– واد سيدي سعيد عام 1960 (قائد المعركة خليفي بونوة):**

وقعت هذه المعركة سنة 1960 برأس واد سيدي سعيد يقع بجبل العمور في بني سمير والذي كان مركزا لأفراد جيش التحرير بالمنطقة لأنه مكان قريب من الماء. وكان مركز انطلاق العمل العسكري لمختلف الفصائل ،فمنه تضرب العدو وتنصب له الكمائن ،وترصد طائراته الاستطلاعية .

ويروي المجاهد وقائع المعركة كمايلي: « كنا مجتمعين عندما حلقت طائرة استطلاع فرنسية لاستكشاف مواقع الجيش الذي يضم مجموعات خاصة برمي الطائرات ،لها رشاشات متوسطة القوة و المدى كانت متموقعة في أماكن مرتفعة في الجبل ومموهة في وضعية متقابلة في الاتجاه . في هذه الاثناء حلقت فوفنا طائرتان من نوع T6 – اعتادتا التحليق يوميا من الساعة الثامنة إلى الالحادية عشر صباحا- حتى اقتربتا من مجموعات القصف التي أطلقت عليهما النار فأصابت واحدة منهما ،المر الذي دفعهما للانسحاب . في هذه الأثناء أعلنا حالة الطوارئ و تموقعنا في أماكن دفاعية مموهين لألا تكشفنا الطائرات التي تحوم فوقنا ،وبعد حوالي نصف ساعة حلقت طائرة من نوعB29 قامت بتصوير المنطقة والمكان الذي تم فيه رمي الطائرة.

بعد اكتشاف مكان تواجد كتيبتنا، حضرت مباشرة طائرة استكشاف أخرى لتعيين مكان القصف و الإنزال، وقد ألقت في المكان قنبلتي دخان حمراء، ثم حلقت على علو أقل من 100 متر لكشف عناصر جيش التحرير.

كنت في مجموعة في مكان عالي وبقربي علي دارة ملاح الذي طلب مني أن أرميها بالرصاص خاصة ونحن في مكان مرتفع نرى قائد الطائرة الذي يرتدي خوذة بيضاء، ومن غير أن أحسب حساباتي لحركة سرعة الطائرة فانطلقت من بندقيتي طلقة واحدة (طلقة حارقة خارقة) حيث أني سددت على قائد الطائرة فأصبت جناحها خاصة وأنها كانت تحلق على مسافة قريبة جدا من موقع تمركزنا ونحن في مكان عال كما سبق الذكر .

اندلعت النيران في الطائرة التي حاولت الابتعاد لكنها سقطت أسفل الجبل في مكان يدعى " نخلة بن قرماش " .و بعد حوالي ساعتين عادت مجموعة من الطائرات المقنبلة ،ودمرت مكانا عينته للإنزال من بينها طائرة من نوع B26 وعدة طائرات من نوع T6، ثم حضرت طائرات هيليكوبتير وأنزلت رجال الكوماندو في ثلاث أماكن والساعة حينها كانت حوالي الثانية بعد الظهر.

بعد هذا الإنزال الفرنسي غيرنا المكان الذي كنا متواجدين فيه لكنهم اكتشفوا أمرنا ،وشرعت الطائرات في قصف المكان في محاولة لحصرنا فيه في انتظار وصول قوات الكوماندو التي كانت تزحف نحونا .وبعدما تمكنت من ذلك اشتبكنا مع هذه القوات واندلعت معركة طاحنة واشتعلت نيرانها فلا تسمع إلا صوت الرصاص الشتائم التي كانت تنهال علينا من طرفهم لأن أكثرية قواتهم كانت من الحركى، وكان قائد احدى مجموعاتنا ويدعى "ولجي" من منطقة القبائل يرد عليهم بالفرنسية والعربية ويصفهم بالبياعة ويقول لهم (البياعة بعتو دينكم)

استمرت الاشتباكات إلى غاية حلول الظلام ،كدنا نبات ليلتنا محاصرين لولا وصول فصيل من جيش التحرير بالمنطقة يضم بعض المسؤولين جاؤوا لتفقدنا ،كان قائد هذه الفصيلة "ميراق" من المغرب معه الضباط : عفون شيبوب، دوحاجي بوفلجة والحسين عبد الحق .تمكن هذا الفصيل من فك الحصار من حولنا وساعدنا على اخراج شهيدين برتبة عريف هما: منصوري محمد من العين الصفراء والنعيمي من مغنية ،و خمسة من الجرحى .

أما خسائر العدو فلم نستطع تقديرها لكنها لا تقل عن العشرة قتلى ،والعديد من الجرحى ،اضافة إلى خسائر كبيرة في العتاد من بينها الطائرة التي سقطت قبل بداية المعركة.»

- **معركة جبل بني سمير – كلخابو أواخر سنة 1960 (قائد المعركة شني احمد و خليفي بونوة):**

وقعت هذه المعركة أواخر سنة 1960 بقمة كلخابو في جبل بني سمير ويروي المجاهد خليفي بونوة الذي كان أحد قائدي المعركة أحداثها كمايلي: « كانت قواتنا تضم ثلاث فصائل من الكومندوا إضافة إلى كتيبة من المجندين الجدد تحت قيادة شني أحمد.

حيث وبعد هجومنا يوم 17 ديسمبر على خط موريس المحصن و المحروس جيدا، تمركزنا بجبل بني سمير في قمة كلخابو.

و كان قد صدر أمر بعبور خط موريس في يوم 17 و 18 ديسمبر ،على أن تبقى الكتيبة الجديدة تحت قيادة شني أحمد ومساعديه شبيرة قدور وبلكبير من سبدو وعبد الرحمن من بني ونيف بالجبل لحراسته .

وكنت قد بعثت ليلة 16 ديسمبر دورية من خمسة أفراد نحو درمل لإستكشاف الطريق لكنهم سقطوا في كمين للعدو واستشهد منهم أربعة وتم أسر الباقي ولم نعلم عنه منذ ذلك التاريخ شيء.

وحوالي الساعة الرابعة والنصف من صبيحة يوم 17 ديسمبر حلقت الطائرات فوقنا وهي تقنبل المكان تمهيدا لإنزال رجال الصاعقة من جيش العدو وهي من نوع B 26 إضافة جاغوار و T 6 ،و استمرت في تدمير الموقع حتى الساعة السادسة. و في هذه الأثناء بين الظلام و الصبح بدأ الإنزال داخل فصيلتنا و في عمق كتيبتنا ،وكان هذا الإنزال من ست طائرات هليكوبتر ،وكانت الطائرات المقنبلة لازالت تقصف المكان حماية لعملية الإنزال ،حينها بدأت الفصيلة التي كانت تحت قيادتي في إطلاق النار عليهم قبل أن تحط الهليكوبتر على الأرض، وأذكر أنه قفز إلى الأرض حوالي 14 عسكري فرنسي تم القضاء عليهم كلهم.

لم تستطع طائرات الهليكوبتر مواصلة عملية الإنزال من شدة وكثافة إطلاق الرصاص ،وتم إصابة واحدة وسقطت محترقة في المكان المسمى الغروطة، كما تم إصابة أخرى طارت بعيدا وهي تحترق.

أمام عجز القوات الفرنسية عن انزال جنودها في المكان الذي حددته ،غيرت مكان الإنزال إلى المكان الذي كانت تتمركز فيه الفصيلة التي كانت تحت قيادة شني أحمد

والتي معظمها من المجندين الجدد والذين دخلوا مع القوات الفرنسية في اشتباكات دامت طوال النهار ،وكانت عمليات الإنزال متواصلة في هذا المكان. بعد أن تأكدنا من إنهاء عملية الإنزال أمرت الفصائل الثلاث الأخرى بالتدخل ،وهذا ما جعل المعركة التي دامت طوال النهار تميل لصالحنا .

و أذكر أنه نتائج المعركة كانت أن استشهد منا 54 شهيدا ،وجرح 10 جنود. أما القوات الفرنسية فقد مات منها الكثير وتم إسقاط طائرة في ميدان المعركة كما تم الذكر و إحراق أخرى طارت بعيدا.»

- **ذكر بعض المعارك التي تم خلالها إسقاط طائرة أو طائرة عمودية أو أكثر :**

استعملت القوات الفرنسية في معارك بالولاية الخامسة – المنطقة الثامنة – آليات عسكرية ثقيلة و مختلفة و كذا أنواع كثيرة من الطائرات، وفي المقابل فإن أفراد جيش التحرير كانوا مجهزين بسلاح الإيمان بالله تعالى ،و سلاح القتال و الصمود في المعارك ومختلف العمليات لتحطيم العدو الفرنسي و إعطاء درس للحلف الأطلسي الذي شارك ودعم الاستعمار بكل قوة.

وهذا ذكر لبعض المعارك التي تم اسقاط طائرات خلالها حسب ما يرويه المجاهد خليفي بونوة:

في معركة جبل بني سمير في موقعة المكان المسمى سيدي الشيخ تم إسقاط طائرة وذلك عام 1956.

في معركة جبل عيسى عام 1957 تم إسقاط طائرة من نوع ب 29 بدون ذكر الطائرات التي أصيبت وحلقت بعيدا لا نعلم مصيرها.

كذلك نذكر في آخر سنة 1959 في مكان السرج بجبل بني سمير إسقاط طائرة من نوع t6 .

في معركة قور سيفان دائما في جبل بني سمير بتاريخ فيفري 1960 التي نشبت بعد ما اخترقنا خطوط موريس ليلا إلى الصباح دارت رحاها في قمة قور سيفان مع سرب من الطائرات تم إصابة أربعة منهم حلقوا مشتعلين ليسقطوا بعيدا عن ناظرنا.

في معركة جبل امزي الكبرى في 1960/05/06 أصيبت (06) ست طائرات و حلقوا مشتعلين ليسقطوا بعيدا عن أرض المعركة.

في معركة ياشو تم إصابة طائرة من نوع الكشافة لتسقط قرب أرض المعركة بالضبط في المكان المسمى نخلات بن قرماش. وطائرتين من نوع t6 احترقت و ابتعدت لتسقط بعيدا عن مكان إصابتها في جبل بني سمير عام 1960.

تم وضع كمين للطائرات التي تقوم بتصوير الأرض وهي تبحث عن مركز قيادة الناحية الثامنة و مركز بث اللاسلكي و تم إسقاط واحدة بسلاح 30 ملم أمريكية. بالتعاون مع مجموعة من القنا صين و سقطت داخل جبل الجحاف مبتعدة عن مكان قنصها حوالي 20كلم.

و في سنة 1960 في قمة جبل بني سمير تم نصب كمين من مجموعتين لرشاشات mg 42 للطائرات تم إسقاط على إثره طائرة واحدة سقطت بالضبط في عين قور سيفان.

في معركة امزي عام 1961 تم إسقاط مروحية.

- **معركة العرجة 1961 على لسان المجاهد خليفي العربي شقيق خليفي بونوة:**

« في أحد أيام شهر رمضان الموافق ل 21 .02 .1961م وبالمكان المسمى واد العرجة بجبل بني سمير قرب الحدود المغربية وقعت معركة العرجة و هي إحدى معارك الثورة التحريرية الجزائرية.

التنظيم والتشكيل: بعد تشكيل الفيلق 13 تحت قيادة قادري الزبير و المتكون من مجاهدين مستقدمين من الفيلق الأول والذي كان تحت قيادة الشهيد عمارة، ومن مجاهدين مستقدمين من الفيلق الثالث تحت قيادة الشهيد جميلي علي، ومن مجاهدين تم تحويلهم من مراكز التدريب بالحدود المغربية، وهذا الفيلق المذكور مكون من أربع كتائب و فصيلة هاون عيار 82 ملم بدأ يتلقى تدريبات سريعة و تدريبات ليلية خفيفة و التنقل تحت نيران العدو و الهدف من ذلك كون بعض المجاهدين الجدد المستقدمين من مراكز التدريب في الحدود المغربية اندمجوا مع مجاهدين و إطارات لهم خبرة كبيرة في الحرب: في ميدان حرب العصابات، المعارك، الهجوم على مراكز العدو، تحطيم الأسلاك الشائكة، قطع الكهرباء و نزع وغرس الألغام. و بعد التدريبات الخفيفة في المكان المناسب و الوقت المناسب، تقدم الفيلق للهجوم وهو متكون من أربع كتائب و فصيلة هاون 82 ملم و رشاش ثقيل مضاد للطائرات من نوع مدفع إستراتيجي كنا نطلق عليه اسم كانون استراتيجيك مزود بخمس طلقات و كل فصيلة معها رشاش خفيف و أسلحة حربية فردية متطورة هي رشاشات و بنادق بلج ألمان.

الوقائع: تقدم الفيلق الذي يقوم بمهمة الهجوم على مركز العدو ،وتحطيم الأسلاك وقطع الكهرباء ،لأنه مركز محصن بالأسلاك والدوشم والألغام المضادة للأفراد والجماعات ومتأهب للدفاع عن نفسه و عن المركز بالدبابات والرشاشات الثقيلة والخفيفة.

حركة الفيلق كانت من الطوبة (2) إلى واد الحلوف ومنه إلى جبل المعيز فواد العرجة حيث يستقر هناك أياما قليلة يرصد فيها حركة العدو و يدرسها جيدا ثم يقوم بمهاجمة المراكز الأمامية الصغيرة في الدوشم.

تم تقسيم مهام الهجوم على كل كتيبة بتحديد المركز الذي تهاجمه في الزمن المحدد لذلك. يذكر المجاهد خليفي العربي: « كنت ضمن الكتيبة الثالثة بقيادة شني أحمد و

يرافقنا قائد الفيلق قادري الزبير قمنا ليلة 18 .02. 1961 بالهجوم بالهاون 82 ملم والبازوكا والرشاشات على المراكز ما بين واد الحاسي والواد الأخضر، هذا الهجوم تحول إلى معركة بعدما قابله العدو برد عنيف بالدبابات والمدفعية ،وحتى الطائرات شاركت بالأضواء الكاشفة فالليل أصبح نهارا. وللذكر فإن الأرض كانت مكشوفة الأمر الذي اضطرنا إلى الانسحاب من هذه المعركة بعدما تمكنا من فتح مخرج بين الدبابات التي تحاصرنا من الخلف لنرجع إلى واد العرجة.

في الليلة الثانية 19. 02 .1961 قامت الكتيبة الثانية بالهجوم على مركز واد زوزفانة .وفي الليلة الثالثة 20. 02 .1961 هجمنا بالكتيبة الثالثة تحت قيادة شني أحمد على مركز العدو بواد الحاسي و لكنه تفطن لهذا الهجوم واستعد له حيث وقبل وصول قواتنا إلى المركز بدأت المدفعية تقصفنا و الرشاشات ترمي في اتجاه قواتنا ومنعتنا من تنفيذ الهجوم عليها ،فأجبرنا على العودة إلى واد العرجة ثانية.

حشد في هذه الليلة العدو الفرنسي قواته من الدبابات والمدفعية الثقيلة والطائرات وأعدادا هائلة من العساكر في منطقة العرجة و أحاطت بجميع نواحيها. في هذا الوقت صدرت الأوامر إلينا بالانسحاب إلى جبل بني سمير أو إلى جبل المعيز ،لكن الأمر تغير فبقينا في العرجة في ثلاث فصائل ما عدا فصيلة الهاون بقيادة عمير مبارك التي أصبحت في جبل المعيز. بعدما أسند لكل فصيلة من الثلاثة الباقية أسند أمر الدفاع عن نفسها في الجهة التي تتواجد بها من الوادي .

و مع بزوغ فجر يوم 21. 02 .1961 بدأ العدو يتقدم ويضيق خناق علينا عن طريق الحصار الذي ضربه على الوادي بالدبابات والجنود ،وبدأت الطائرات الصفراء t6 تحلق على إرتفاع منخفض جدا و الدبابات تتمركز على جنبات الوادي و الجنود من خلفهم ،ثم بدأت المدفعية الثقيلة تقنبل المكان بعد ما ارتفعت الطائرات ،وحوالي

الساعة التاسعة صباحا قامت قوات العدو بمهاجمتنا بالدبابات وقوات المضليين من ناحية جبل بني سمير.

لما اقتربت من القوات الفرنسية بدأنا الهجوم وكانت اشارة البداية هي طلقات الرشاشات أولا مع بداية الهجوم تمكنا من تحطيم دبابتين بالبازوكا و المدفع الاستراتيجي ،وأنجز هذه العملية فيلق تابع للجنين بورزق حسب المعلومات الرسمية وتم تحطيم طائرة مروحية تحمل على متنها طبيب برتبة نقيب.

أربك الهجوم المفاجئ الذي قمنا به القوات الفرنسية فتراجعت و تقهقرت في أول النهار قبل أن تستجمع قوتها وتبادر بالهجوم بواسطة الدبابات التي كانت تحمي الجنود خلفها من الناحية الجنوبية التي كانت الكتائب قد أخلتها دون أمر من قائد الفيلق الذي كان متواجد مع الكتيبة الثالثة التي كان يقودها شني أحمد بمساعدة بن يحي الحسين. و أذكر أنني تلقيت شخصيا أمرا من قائد الفيلق زوبير قادري بمنع جمع أسلحة العدو لأن الدبابات المتمركزة أمامنا كانت ترصد حركتنا. وأمام عمليات الإنزال الكثيف للجيش الفرنسي وعدد الدبابات الكبير المستعمل في المعركة ،والطائرات التي كانت تقصفنا من الجو وجدنا أنفسنا محاصرين من كل مكان ،وأصبح الهجوم أشبه بعملية انتحارية ،حيث و مع نهاية المعركة حوالي الساعة الخامسة مساءا،وجدنا أن عدد الشهداء كان كثيرا في هذه المعركة و قد كلف بدفن الشهداء – رحمهم الله – الشلالي العربي أما الجرحى فلا نعلم عددهم، وأما الأسرى فكان عددهم حوالي 40 مجاهد.

ومن بين المجاهدين الذين شاركوا في هذه المعركة نذكر:

قائد الفيلق قادري الزوبير (بن يوسف)، نائب قائد الفيلق بن يحي الحسين (عبد الحق)

قائد كتيبة دريسي العربي المغربي، قائد كتيبة شني أحمد

قائد فصيلة الهاون عمير مبارك، قائد فصيلة رضوان بومدين

منصور محمد من المشرية، الكومندار بوزيان الميلود من بشار

خليفي العربي (اسم الثورة بونوة العربي)، بوعفسي الطيب من سبدو

مبروك عبد العزيز من سبدو، اعراب أحمد من تلمسان

القندوسي من تلمسان، منصور العيد من بشار، خالدي محمد من تلمسان.

و في الأخير يرحم الله الشهداء... تمت . برواية المجاهد خليفي العربي ولد عبد القادر .»

- **عملية اقتحام أحد مراكز العدو بالعين الصفراء:**

يروي المجاهد خليفي بونوة هذه الواقعة قائلا: « في سنة 1959 وفي جبل مكثر بعدما وصلناه قادمين من جبل بني سمير في قوة من حوالي 120 مجاهدا مدعمة بفصيلة هاون مكونة من قطعتي هاون 82 مم- بقيادة شني إبراهيم، و بعد أيام قليلة من تمركزنا به قررنا القيام بعميلة داخل مدينة العين الصفراء لتحطيم أحد مراكز العدو الذي كانت قواته كبيرة جدا ومدججة بجميع أنواع الأسلحة، والتي كانت حسب المعلومات التي وصلتنا من أمن جيش التحرير الوطني والمدنيين بالمنطقة تقدر بحوالي 18 ألف عسكري.

اقتربنا من مدينة العين الصفراء خلف كثبان الرمل في الوادي بين الرمل و الجبل، واتفقنا لضرب العين الصفراء على الساعة العاشرة و النصف بمساعدة فصيلة الهاون. وانطلقنا مباشرة في هجوم منظم عن طريق الدزيرة خلف قصر سيدي بوتخيل و في طريقنا و جدنا حقول ألغام لم نكن نعلم بها قرب الدزيرة حيث اصطدمنا بالسلك الأول الذي يحجز داخله الألغام التي حاولنا تدميرها ،وكان هذه قائد العملية السي

بوزيد، الذي قال له علاف علي:" لا أتحمل مسؤولية معركة نخسر فيها" ،لكن ورغم ذلك قررنا اقتحام مركز الدزيرة فدخلت رفقة السي بوزيد وعبد الغاني مهندس السلك وشني محمد وأحمد بن جراد إليه وكان هدفنا تحرير المساجين المحكوم عليهم بالإعدام.

لما وصلنا إلى المركز قام السي بوزيد بخنق الحارس الأول، وعند اتجهنا نحو الحارس الثاني في حذر أحس بنا وبدأت حركة كثيفة من طرف زملائه، كانت الساعة تشير إلى حوالي العاشرة و النصف ليلا حينما بدأ زملاؤنا يقذفون المركز بالهاون وهو الوقت المتفق عليه مسبقا ،أصاب هذا القصف العدو بالذعر فخرجت قواته من الثكنة و بدأت في إطلاق النيران بالمدفعية نحو جميع أطراف المدينة وأغلب القنابل التي أطلقت علينا من التي تنفجر على مدى معين من غير أن تصل إلى الأرض و ترمي معها القنابل المضيئة و تحركت قواتها تطوق أطراف المدينة.

انسحبنا تحت نيران هذا القصف المكثف نحو جبل مكثر وأخذنا مواقع دفاعية استعدادا للمعركة و استمرينا على هذا الوضع مدة يومين قبل أن نتأكد أن قوات العدو لم تلحق بنا ،حيث عادوا أدراجهم بعدما حاصروا سفح الجبل لمدة ،وذلك نظرا لكثافة الضباب الذي كان يغطي المنطقة ،وبذلك فشلت هذه العملية.»

في ختام موضعنا ،وبعد هذا الحوار الممتع و الشيق مع المجاهد خليفي بونوة خلصنا إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

- الانضباط و التنظيم الذي كان يميز جيش التحرير الوطني في المنطقة في جو من التعاون و الاحترام بين جميع أفراده ضباطا و جنودا.
- الالتزام بالأوامر الصادرة عن القيادة و عدم تجاوزها إلا إذا استدعت الضرورة.
- روح المبادرة و الدقة في التنفيذ وبتركيز كبير في حالة حدوث أمر طارئ .

- كان للثورة بالجنوب الجزائري كان لها نفس التأثير الذي كان في الشمال ،وأن الجزائر كانت كلها ميدانا للحرب ،وهذا ما يؤكد شمولية الثورة.
- كان للعمليات العسكري بالمنطقة الأثر الايجابي على مسار الثور إذ ساهمت كثيرا في ثبات المجاهدين وزادتهم قوة و عزيمة ،كما ساهمت بالتحاق العديد من المترددين بها من جهة ،وأدخلت الرعب في نفوس جيش العدو وأعوانه ممن خانوا الوطن وقضيته.
- أن القوات الفرنسية ما كانت لتسلم من هجمات أفراد جيش التحرير الوطني المسلحين بالعزيمة والإيمان بالله ثم بقضيتهم العادلة لولا التغطية التي كانت توفرها لها الطائرات والمدفعية الثقيلة .
- ساعدت تضاريس المنطقة الوعرة في حسن تمركز المجاهدين ،والقيام بعملياتهم بنوع من الأريحية لمعرفتهم بها وجهل القوات الاستعمارية لها ،أو خشيتهم من كمائن أفراد جيش التحرير الوطني إن هم ولجوها.

صورة للمجاهد خليفي بونوة

بطاقة العضوية في جيش التحرير الوطني للمجاهد خليفي بونوة

الهوامش:

[1] الغالي الغربي ،سياسة فرنسا في فصل الصحراء و ردود الفعل الوطنية و الدولية ضمن كتاب فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية ،منشورات (م.و.ب.دح.و.ث.ن)،دار القصبة ،الجزائر ،2009 ،ص 374،375.

[2] نفس المرجع ،ص 375.

[3] الهادي درواز ،الولاية السادسة التاريخية (1954-1962) تنظيم ووقائع ،دار هومة للنشر ،الجزائر ،2009 ،ص43 .

[4] هو المجاهد خليفي بونوة ابن خليفي عبد القادر بن سعيد بن بوعزة بن الخليفي وخليفي زهرة بنت قويدر بن علي بن الجراح بن الخليفي من مواليد 11/ 1933/02 بجبل بني سمير بالعين الصفراء.

توفي والداه عام 1951 نحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة بجامع قريته على يد الشيخ حسان (مغربي) نتكفل بأسرته بعد وفاة والد و التي كانت تتكون من ثلاثة إخوة و أربع أخوات.

التحق بالثورة سنة 1956 و تدرج في صفوف جيش التحرير الوطني حتى أصبح برتبة ملازم ,وبعد استرجاع السيادة الوطنية.

[5] يذكر المجاهد خليفي بونوة صاحب الشهادة أن منطقة العين الصفراء كانت مركز عبور لأفراد جيش التحرير الوطني من كل الجهات ،وانه أدل على ذلك أسماء المجاهدين الذين شاركو في العديد من المعارك بالمنطقة وكانوا من قادتها ومن بينهم على سبيل المثال:السي بوزيد من منطقة القبائل ،علاف علي من خميس مليانة ،السي الصوفي من قسنطينة ،بوسلة يوسف من قسنطينة ،سعدون أحمد من مستغانم ،بشير لصنامي من شلف ،بوضياف من العاصمة ،عمر الحق من وهران ،الدراجي من سطيف ،شنيني يوسف من بلاد القبائل ،خالد الزاوي من تيارت ،الرائد مبارك فراج من تلمسان ،عبد الغاني محمد بن أحمد من مغنية ،الواد بوسطلة من سبدو ،الشرقي لخصر من معسكر ،الحاج علقمة من سعيدة ،مراق محمد من المغرب الأقصى ،وغيرهم كثر.

و يضيف المجاهد أنه ولأن المنطقة كانت منطقة عبور فكثيرا ما كانت مجموعات جيش التحرير الوطني في المنطقة ’في نفس المكان والتوقيت فتشن هجومات خاطفة على قوات العدو ،حتى أصبحت منطقة جبال القصور تدعى بجبال النار من كثرة المعارك وهولها بالمنطقة.

الفن و العمارة في مملكة مالي الإسلامية

د. نور الدين شعباني، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة
أ. زينب جعني، جامعة غرداية

الملخص:

ارتبط الفن و العمارة في بلاد السودان بتاريخ الشعوب و حضاراتهم منذ ظهور الممالك الوثنية القديمة ، لكن بانتقال الإسلام الى هذه الديار بدأت تظهر نماذج من الفن ذات الخصائص الإسلامية. ومن النماذج التي جسدت الفن السوداني الأصيل و عمارته مملكة مالي الإسلامية التي كانت تتميز بطابعها الفني من خلال اهتمامها بالإنشاد و العروض المسرحية التي جسدتها الاحتفالات الرسمية ، كما عرفت ملوكا اهتموا كثيرا بالحضارة العربية الاسلامية خاصة جانبها المعماري؛ حيث قام الإمبراطور منسا موسى بجلب مهندس أندلسي لما عاد من الحج، فجسد له ثورة عمرانية من خلال التأسيس للعمارة السودانية عن طريق بناء المساجد الموجودة في جاو وجني، و قصر الإمبراطور.

و بذلك أصبحت بلاد السودان معروفة بطرازها المعماري السوداني الذي يتميز بالمزج بين خصائص العمارة المغربية و السودانية.

Le résumé

L'art et l'architecture constitue un élément primordial dans l'histoire des pays soudanaises et leur civilisations, et cela depuis les anciens civilisations païennes. parmi les royaumes africaines qui ont beaucoup contribués a la vie artistique des africains il ya le royaume du mali que son empereurs Mansa moussa a ramené un architecte Andalou lors sont retour des pays saints, il a fondé une vrais révolution dans l'architecture Africaine, il a fait un excellent mixage entre l'architecture Magrébine et Africaine

مقدمة:

إنّ انتشار الإسلام في إفريقيا السوداء فيما وراء الصحراء ، لم يكتف بنقل عقيدة التوحيد إلى تلك الشعوب التي كانت بعيدة عن المؤثرات الحضارية القادمة من الشواطئ الشمالية للصحراء ، بل تعداه إلى نقل جميع مظاهر الحضارة العربية الاسلامية التي شهدها في العالم الاسلامي خلال فترة مجده الأول.

و لعل أبرز هذه المعالم الحضارية التي أصبحت تشكل جزءا من التراث الفني الإسلامي الإفريقي هو ميدان الفن و العمارة. صحيح أنّ لإفريقيا السوداء تراثا معماريا و فنيا أصيلا تميزت به حضاراتها و ممالكها عبر القرون الطويلة قبل احتكاكها بالإنسان الأبيض، لكن الدراسات تؤكد أنّ العمارة السودانية عموما تميزت بطابعها البسيط ، رغم أنّ بعض الروايات الشفوية تؤكد وجود عمارات ذات تسعة طوابق في مملكة الصوصو خلال القرن الثاني عشر و الثالث عشر للميلاد دون أن يتم التوصل إلى إثبات ذلك عبر الدراسات الأثرية.

لهذا سنحاول من خلال هذه الدراسة إبراز مدى تأثر الفن و العمارة في مملكة مالي بالفنون الإسلامية خلال الفترة الممتدة بين القرنين الثالث عشر و الخامس عشر للميلاد.

1- الفنون و الموسيقى في مملكة مالي:

لقد كان ملوك مالي و أمراؤهم كثيري الشبه بملوك المسلمين وملوك الشرق عامة من خلال ولعهم بالفن واكتسابهم لذوق جمالي رفيع. حيث كان ملوكهم يستقبلون سفراءهم في قصورهم أين كانت تقام حفلات كبيرة ، فكان كل وفد من وفود ولاياته يأتي بنموذج فلكلوري خاص بمنطقته من أجل تسلية الملك ، حيث كانت هذه الاستعراضات تعرف باسم كوتيبا (Koteba)، وما يزال هذا التقليد قائما إلى غاية اليوم في مدينة كيلا.

وتقام خلال هذه الاحتفالات التي تعد التسلية المفضلة بالنسبة لملوك مالي ألعاب بهلوانية تجسد دور الصياد الفاشل، أوخلافات الزوج مع زوجاته ومختلف مظاهر الحياة اليومية. كما تنشد بعض الأناشيد التي ظهرت في عهد والدة منسا موسى وهي نانا كونكو.[1] صحيح أن هذه التقاليد الاحتفالية وجدت قبل وصول عائلة كيتا إلى الحكم، وربما قبل تأسيس دولة مالي، لكنها استمرت في عهد ملوك مالي وخاصة عهد منسا موسى وأخيه سليمان ، حيث وصف ابن فضل الله العمري جانبا من هذه الاحتفالات التي كانت تقام في مجلس منسا موسى، عندما يقول:" وبين يديه (أي منسا موسى) أناس يرقصون وهو يتفرج عليهم ويضحك منهم".[2] كما ذكر ابن بطوطة جانبا من هذه الاحتفالات التي كانت تقام في يوم العيد.[3]

أما الموسيقى فقد كانت من أهم الفنون التي ارتبطت بالحياة داخل القصر الملكي لمملكة مالي، وقد ظهرت لأول مرة في عهد سوندياتا كيتا وما زالت قائمة إلى اليوم ، وهي ترافق الأناشيد والملاحم التي تروي أمجاد العائلة الملكة خلال المناسبات ، تتخللها الأساطير المعروفة بالجيلي[4]، وكانت تعزف هذه الموسيقى عن طريق آلة الكورا(La kora) وهي قيثارة صغيرة ذات طابع إفريقي.[5] وقد ظهرت آلة الكورا سنة 1235م، حيث اكتشفت من طرف القائد العسكري لسوندياتا و هو تيراماغان تراوري عندما كان في كهوف كنسالة المتواجدة في مملكة كابو(غمبيا الحالية) خلال غزوه للغرب، وتحتوي على واحد وعشرين وترا، وكل وتر له دور معين، وفي مقبضها تسعة ثقوب مفتوحة إلى الخارج، أما الخشب المركزي فهو يمثل العمود الفقري لها. [6]

كما عرفت الساحة الفنية لقصور مملكة مالي آلات موسيقية أخرى مثل البلافون (Balafon) البولون (Bolon) والسمبي (Simby) وعرفت

إمبراطورية مالي الملاحم الخاصة بمؤسس دولتهم الأول سونديانا كأهم الفنون الموسيقية ، وتعرف باسم سونجاتا فاسا (Soundjata fassa) وهي سنفونية موسيقية خاصة بكل أبطال معركة كيرينا، حيث تم إنشاء ما يعرف ببالا فاسيكي (Balla Fasseke)، وهي الفرقة الموسيقية التي تمثل الراوي الشخصي والرسمي للإمبراطور سونديانا، وتتفرع إلى ثلاثة طبوع أو مواضيع هي:

– دياندیون(Diandion): وتروي أمجاد القائد فاكولي ابن أخت سومنغورو الذي انضم إلى قوات سونديانا، وغزا بلاد الجولوف، وهي تعد تراثا محفوظا بالنسبة لأحفاده.

– بولوبا(Boloba): وهي الموسيقى الخاصة بسومنغور كانتي، وقد ظهرت بعد معركة كيرينا، وأقرها سونديانا كنشيد وطني لكل الماندينغ.

– دوغا(Douga): وهي أغنية المحاربين والموسيقى الخاصة بهم، تنشد خلال المعارك [7]. ولقد أفادنا ابن بطوطة بجانب من هذه الاستعراضات التي كانت تعزف في قصر الملك منسا سليمان، فذكر آلة الطرب التي تصنع من قصب القرع وقال إنّ لها صوتا عجيبا، والتي قد تكون آلة الكورا التي تحدثت عنها الروايات الشفوية، خاصة أنه ذكر الغناء الذي يصاحبها خلال احتفالات يوم العيد، أين كانت تتضمن هذه الأغاني مدح السلطان وذكر غزواته وأفعاله وتغني معه النساء والجواري،كما ذكر ضرب الطبول والأبواق والأنفار.[8]

2– العمران في مملكة مالي:

استطاع ملوك مالي ترك بصماتهم ولمساتهم الفنية في المجال العمراني، حيث تميزوا عن غيرهم من ملوك الإسلام وملوك إفريقيا في هذا المجال، فتمكنوا من وضع أسس الفن المعماري السوداني، وهو الفن الذي يجمع بين الطراز الإسلامي ويحتفظ بالخصوصيات الإفريقية.

فالطراز المعماري السوداني القديم كان بسيطا تميزه البناية ذات السقف المستدير، وذات الشكل الهرمي المغطى بالقش، أما الحيطان فكانت تُبنى بالطوب ونادرا ما كانت تتخللها الحجارة ، و توجد بالقرب من البيت زريبة لتربية الماشية.[9] فكانت العاصمة نياني في عهد سونديانا كيتا مبنية مساكنها بالطين وأسقفها مصنوعة من القصب.[10] وحتى مدينة تمبكتو كانت في البداية مبنية بعيدان الأشجار وحشائش النباتات، وفي مراحل أخرى من تاريخها قبل أن يحكمها منسا موسى كانت تبنى من شجر الصيان وهو نوع من الأشجار ذات الجذوع الغليظة، أو مبنية بأوتاد مخلوطة بالطين ومسقوفة بالتبن.[11] لكن بوصول منسا إلى الحكم أحدث ثورة حقيقية في المجال العمراني المندي خاصة والسوداني عامة، فخلال تواجده بمكة المكرمة لأداء فريضة الحج سنة 1324م، تعرف على مهندس وشاعر أندلسي هو أبو إسحاق الساحلي المعروف بالطويجن[12]، فاصطحبه معه إلى مالي، فقام هذا الأخير الذي كان بارعا في الهندسة والتصميم بإحداث ثورة في الطراز المعماري السوداني.[13] وكان مع الوفد المرافق لمنسا موسى خلال عودته من الحج شخص يدعى المعمر أبو عبد الله بن خديجة الكومي الصنهاجي، وهو أمير من ولد عبد المؤمن بن على زعيم الموحدين، كان قد التقاه في طريق عودته من الحج، بمدينة غدامس[14] وعند مرورهم بمدينة غاو عاصمة سنغاي التي أصبحت تابعة لإمبراطورية مالي، أبدى المعمر اندهاشه لوضعية مسجدها المتردية، والتي كانت تشبه كل منازل البلد في تلك الفترة والمتمثلة في كوخ سقفه من القش،[15] لذلك نبه منسا موسى إلى أن هذه البناية لا ترقى لمكان يعبد فيه الله، ولا ترقى إلى مقام الإمبراطور، ذلك أن الطراز المعماري السوداني البسيط كان ما يزال يطغى على بنايات ومساجد المملكة، فالمساجد كانت قليلة ولا توجد في كل مكان، وتفتقد إلى اللمسات الفنية للعمارة، فأغلب أمكنة الصلاة بمدن المملكة عبارة عن مربعات أو دوائر رملية

تفصل الطريق العمومي بإطار من الحجارة، وتدعى (باتوما)، وكانت هناك مصليات تأخذ شكل كوخ كبير من القش [16]. وطلب هذا الأمير الموحدي من أبي إسحاق الساحلي بناء جامع أكثر رخاء ورونقا، فطلب هذا الأخير بأن يحضروا له المواد والسلع والأيدي العاملة التي يتطلبها هذا الإنجاز، فقام ببناء أول مسجد بالطين في غاو ذا سقف يحتوي على سطح ومنارة ذات شكل هرمي، وهو محراب مبني بالآجر والطين المشوي بالنار، وأحزمة ظاهرة أصبحت متواجدة أينما وجد المسلمون في السودان.[17]

و بهذا ظهر طراز معماري جديد عرفت مالي من خلاله بناء المساجد الأنيقة التي تذكرنا بتلك الموجودة في الجنوب الجزائري والمغربي، والقصور والمنازل التي كانت مأوى قادة البربر في جبال الأطلس. فهذا الطابع المعماري الذي جسده الساحلي ظهر جليا مع بناء القبة المربعة الشكل بالقصر الملكي بمدينة نياني عاصمة مالي. كما كان القصر الملكي لعائلة كيتا مكونا من مجموعة من المنازل دائرية الشكل مرتبطة ببعضها البعض عن طريق سور للدعم، وكلها تؤدي إلى ناحية الجنوب أين توجد ساحة عمومية كبيرة، وهي المكان الذي كان يستقبل فيه الملك رعيته، كما توجد قاعة أخرى ذات شكل مثلثي وهي خاصة باستقبالات الملك الخاصة، وهي القاعة التي أضافها المهندس أبو الساحلي والبناية الوحيدة المبنية بالحجارة، عكس البنايات الأخرى التي كانت مبنية بالطين.[18]

ولعل أهم ما أبهر الماليين والمؤرخين العرب الذين كتبوا عن الموضوع هو تلك القبة المربعة الشكل التي غطت قصر منسا موسى، والتي أظهر فيها أبو إسحاق الساحلي كل موهبته وإجادته، حيث زينها بالكلس وأنواع الأصباغ المشبعة، والنقوش والتخريم، فكانت من أجمل المباني التي بنيت في مالي وأتقنها، ونالت دهشة منسا موسى واستغرابه ، حيث لم تكن إمبراطوريته تعرف هذا الفن

من قبل، لذلك كافأ مهندسه باثني عشر ألف مثقال من التبر (الذهب المسحوق) بالإضافة إلى هدايا أخرى.[19]

ومن خلال الدراسة التي أجراها الدكتور صالح بن قربة فإنّ أوصاف هذه القبة تعبر عن ميلاد نموذج جديد لطابع العمارة المغربية التي اشتهرت بقبابها ومآذنها المربعة في عهد الزيانيين والمرينيين خاصة، إذ كانت فاس والأندلس خلال العهد المريني تتخذ قبابها شكلا مربعا، و تحتوي على زخارف، والتي لم تكن موجودة من قبل في المغرب[20] ، ومن هنا نستطيع أن ندرك مدى التأثير الذي تركه هذا المهندس المعماري الأندلسي الذي حل بفاس وعاش بالأندلس، والذي حمل فنه معه إلى بلاد السودان،و بالتالي عرفت مالي الفن الإسلامي من باب العمارة.

لما رأى منسا موسى إنجاز الساحلي في غاو، طلب منه إعادة إنجاز مثل هذا الإبداع في مدينة تمبكتو التي كانت مجرد مخيم بسيط للبدو من الطوارق خلال القرن 5هـ/11م، وبقيت مجرد نقطة تتزود فيها قوافل الملح بالماء ، وذلك رغم موقعها الإستراتيجي في أعلى منعطف النيجر وبقيت مجهولة، ولم تثبت بناياتها إلى غاية 8هـ /14م[21]. فقام أبو إسحاق الساحلي بعمل كبير في هذه المدينة التي سوف تصبح بفضله أشهر مدينة في السودان الغربي، فأعاد بناء المسجد القديم لتمبكتو ليكون أكثر ملاءمة لإمبراطورية كبيرة كمالي، وبنى في موضعه المسجد الكبير بالآجر وهو أمر لم يكن معروفا لدى السودانيين قبل ذلك[22]،فأقام له صومعة من خمسة صفوف والقبور لاصقة بها من خارجها في جهة اليمين.[23]

إنّ المقارنة الميدانية للعمارة الإسلامية يقودنا إلى الاعتقاد بأن هذا المهندس الأندلسي يكون قد نقل هذا النموذج المعماري عن المغاربة الذين كانوا يقيمون القبور بالقرب من المساجد أو بداخلها خاصة أضرحة العلماء والصالحين.[24] وقد أطلق على هذا المسجد الكبير فيما بعد اسم جنجير بر(أي المسجد الكبير)،

وظل قائما لمدة ثلاثة قرون، وماتزال بعض أسسه قائمة إلى غاية الوقت الحاضر بمدينة تمبكتو.[25] حيث لخص فيه أبو إسحاق الساحلي الطراز السوداني في العمارة، كما بنى الإقامة الملكية المعروفة بالمادوغو (Madougou) وتعني أرض السيد في أقصى شمال غرب تمبكتو، بالإضافة إلى بنائه لأسوار المدينة التي يبدو أنها بنيت من أجل حمايتها بعد تعرضها لهجمات الموشي. [26]وزود وسط مدينة تمبكتو بساحة كبيرة لم يعرف السودان الغربي لها مثيلا [27]، مما يؤكد أصالة العمارة التي أدخلها منسا موسى وحداثتها بالنسبة للسودان الغربي. وازداد اهتمامه بعد ذلك ببناء المساجد، وخاصة بعد حجه،حيث أنشأ خلال سفره إلى الحجاز مسجدا في كل مدينة مر بها من مدن السودان، منها مسجد تمبكتو الذي ذكرناه، ومسجد دوكوري،كوندام، ديري، وانكو ومسجد باكو.[28]

أ– مدينة جني نموذج العمارة السوداني:

لقد اعتنى ملك مالي منسا موسى كثيرا بمدينة جني التي تعد العاصمة الثقافية الثانية بعد تنبكتو لمملكة مالي، فبذل مجهودات كبيرة لتطوير الجانب العمراني لهذه المدينة الواقعة عند منعطف النيجر، والتي كان أهلها ينتمون حسب التقسيم الطائفي الذي وضعه سونديانا إلى طبقة الحرفيين ، فكانت تعج بالبنائين الذين أتقنوا عملية البناء المعروفة بالبانكو(Banco) باحترافية كبيرة[29].

كما ظهر خلال هذه الفترة مهندس مغربي آخر هو معلوم إدريس المراكشي الذي عاصر أبا إسحاق الساحلي[30] فأوكل له منسا موسى مهمة بناء مدينة جني[31]، وبالتالي يكون قد أضاف لها اللمسة المغربية للعمارة السودانية التي بدأها المهندس الغرناطي، فامتزجت في جني عبقرية تصميم إدريس المراكشي مع احترافية بنائي جني، لذلك تميزت بنايات جني بالأناقة والجمال والإتقان، إذ

تكونت المنازل فيها من طابق أول مؤلف من عدة أروقة، تحتوي على مخادع صغيرة أين يوضع فيها الماء داخل جرات من الطين، وساحة صغيرة ، أما الطابق الأرضي فإنه موزع بنفس الطريقة، ويستعمل كمخزن لحفظ الأرز والذرة البيضاء، كما يستخدم كإسطبل للحيوانات. وهذا المخزن يؤدي إلى ساحة أخرى توجد خلف المنزل، ويتم الصعود من الطابق الأرضي إلى العلوي عن طريق سُلَّمين واحد منهما يوجد عند المدخل والآخر في الساحة بالداخل. أما السقف فكان مغطى بقطع خشبية متباعدة عن بعضها بمسافات معينة ويغطيها الطين لتشكل سطحا صغيرا محاطا بحاجز مرتفع قليلا، ويتم الصعود إلى هذا السطح عن طريق سلم من عشر درجات.[32]

وبالإضافة إلى المنازل قام إدريس المراكشي ببناء الجامع الكبير بمدينة جني، الذي يمثل نموذجا حقيقيا للتمازج المعماري السوداني مع العمارة المغربية.[33] أمّا عهد منسا سليمان فكان زاخرا بالانجازات العمرانية، حيث بنى المساجد العادية والمساجد الكبيرة، ورفع المآذن، و كان حريصا على صلاة الجماعة في المساجد وجعلها فرضا على الناس، حيث ذكر ابن بطوطة بأنّه في عصر هذا الملك كان الناس مواظبين على الصلوات وملتزمين بأدائها جماعة، حتى إذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الإنسان إلى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام.[34] مما تطلب بناء المزيد من المساجد، كما وسع مدينة نياني العاصمة إلى أن أصبحت مساحتها تبلغ حوالي بريد طولا وعرضا،[35] وجعل بناياتها مكونة من طبقات من الطين تشبه أسوار وحدائق دمشق، وسقفها يتخذ شكل قبة أو سنام جمل.[36]

وعموما فإن الجهود التي بذلها الملك منسا موسى، بجلب هذا المهندس الأندلسي والذي كان بمثابة وزيرا للعمران والفنون الجميلة حسب دولافوس ومورايس،[37] قد أفرزت طرازا معماريا يوافق بين الطراز المغربي الموريسكي مع شكل العمارة

السودانية البسيطة، وبالتالي ظهر مصطلح ما يعرف بالفن المعماري السوداني الذي اقترن بمنسا موسى ومهندسه الأندلسي، وهو في الحقيقة ليس طرازا سودانيا خالصا وإنما يستمد خصائصه من الحضارات المتوسطية القديمة والوسطى والذي ما يزال موجودا في جنوب الصحراء الغربية وجنوب المغرب الأقصى. (38)

3- جحود المؤرخين الغربيين:

إنّ بعض المؤرخين الغربيين والمستشرقين لا يريدون الاعتراف بدور الساحلي في العمارة السودانية، وينكرون وجود ذلك الأثر المغربي فيها، ومنهم من يعتبر شخصية أبي إسحاق الساحلي شخصية وهمية ، في محاولة لنفي أي تأثير عربي إسلامي في العمارة السودانية. فالأستاذة سوزان أراديون (Suzan Aradeon) تذكر أنّ أبا إسحاق الساحلي هو مجرد أسطورة من وحي خيال المصادر التاريخية العربية التي اخترعتها، وانتشرت بعد ذلك عند الأوربيين. وتقول إنّه من يقول بوجود الأثر المغربي فهو جاهل بخصائص العمارة السودانية، وهي بذلك تحاول إقناعنا أنها تريد الدفاع عن أصالة الفن المعماري السوداني، وتتهم هذه المصادر العربية بأنها تسعى إلى إثبات عجز السودانيين على بناء شيء غير الأكواخ الصغيرة.(39) لكنّها في المقابل لم تقدم لنا ولا دليلا مقنعا عن ادعائها سوى ذكر آراء المؤرخين الأوربيين الذين شكّكوا في دور الساحلي. فهي تستشهد بكلام شارل مونتاي (Charles Monteil) ، لكن هذا الأخير لا ينكر وجود شخصية الساحلي، ولا ينفي ما قام به،إلاّ أنّه ينسب للساحلي بناية واحدة وهي قاعة الاستقبالات في العاصمة نياني،(40) كما تستشهد بما كتبه الدكتور الألماني هنري بارث (Henri Barth) وتقول إنّه يشكك في أسطورة الساحلي، لكننا نعتقد بأنها أوّلت خطأ كلام بارث بما يدعم فكرتها المسبقة، حيث لو رجعنا إلى ما قاله الدكتور الألماني فنجد ما يلي.:" إن تمبكتو التي يبدو

أنها استسلمت بدون مقاومة للفاتح (أي منسا موسى) تحولت إلى عاصمة لإمارة ذات عظمة ومكانة، لأن الزعيم الجديد، وهو رجل حيوي وصديق للفنون زوّد المدينة بمسجد وقصر جديد".[41]

فالجغرافي الألماني هنري بارث لم ينف ولم يشكك في شخصية الساحلي كما تدعيه الأستاذة أراديون، بل لم يذكرها أصلا، ولكنه ينسب بناء المسجد والقصر في تمبكتو لمنسا موسى على أساس أنه هو الإمبراطور صاحب الأمر والنهي، وصاحب السلطة التنفيذية في مالي، فلم يذكر من نفذ أوامره بالبناء، لكنه في المقابل نرى هناك تطابق كبير مع ما ذكره السعدي الذي يقول بأن منسا موسى بنى مسجد وقصر تمبكتو بعد ضمها إلى مملكته عند عودته من الحج سنة 726هـ/ 1326م.[42]

كما يذكر أنّ هذا الإمبراطور كان صديقا للفنون، ونحن نعلم بأن ولعه بالفن هو ماجعله يتقرب من المهندس الساحلي، ويصرّ على جلبه إلى بلاده. ومن الشواهد التي استندت إليها الأستاذة في نفي الأثر المغربي في العمارة السودانية كلام موريس دولافوس، لكننا نجدها هنا تتناقض مع ما ذهبت إليه، فهي تقول إنّ دولافوس قد أشار إلى أن منسا موسى هو الذي طلب من الساحلي إدخال النموذج السوداني إلى العمارة السودانية وأنّ الساحلي استوحى تفاصيلها من النموذج المغربي.[43]

وبذلك يمكن أن نستنتج بأنّ ما ذهبت إليه الأستاذة سوزان أراديون لا يقوم على أية أسس علمية، ويبقى مجرد أحكام مسبقة خاطئة وتفنيد لأحداث تاريخية أكدتها كل المصادر التاريخية والأبحاث الأثرية.[44] فالمصادر العربية لم تنكر وجود عمارة سودانية، لكنها تعترف ببساطتها وفقدانها إلى الرقي الذي وصلت إليه

العمارة المغربية، وما إصرار منسا موسى على جلب المهندس الغرناطي إلى بلده إلا لمهمة البناء.

صحيح أنّ البناء الأول الذي قام به أبو إسحاق الساحلي والمتمثل في مسجد مدينة غاو كان باقتراح من الأمير الموحدي ، لكن البنايات الأخرى التي أقامها في كل من تمبكتو ونياني كانت بطلب من منسا موسى وهو ما يعني افتقاد مالي لمن يتقن هذا الفن. كما أن انبهاره بالانجاز الذي قام به الساحلي من خلال بنائه لتلك القبة المربعة بقصره في نياني، والسخاء الذي أبداه في مكافأته عليه لدليل على عدم وجود عمارة في مالي بذلك الرقي والإتقان، خاصة وأن ابن خلدون قد أكد ذلك بقوله:" لم تكن إمبراطوريته تعرف هذا الفن من قبل".[45]

خاتمة:

ويبقى ما قام به منسا موسى من إنجازات عمرانية وفنية وأدبية وأخرى، هي التي رفعت إمبراطورية مالي عاليا في سماء الإمبراطوريات خلال العصور الوسطى الإسلامية ، فقد كان دوره في عظمة إمبراطورية المندي مشهودا، ويكفينا دليلا على ذلك أن الأوربيين لم يعرفوا هذه الإمبراطورية إلا عن طريق منسا موسى من خلال الخريطة التي رسمها الجغرافي الإسباني مابا موندو كاتالان (Mappa mondo Catalan) سنة 1375م، حيث ظهرت فيها صورة منسا موسى جالسا، وتظهر فيها مدينة تمبكتو تحت اسم (تيمبوشت) فاشتهرت إمبراطورية مالي في أوربا. [46] كما استطاع منسا موسى كيتا أن يجد لإمبراطورية أجداده مكانا في أحداث إفريقيا الغربية، وشغلت قصصه وأعماله قصور المغرب والمشرق الإسلاميين.

(1) Djibril Temsir Niane : Recherches sur l'empire du mali au moyen âge, mémoire de l'institut national de recherche, Conakry, 1962 , p53.

(2)شهاب الدين العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: عزة أحمد عباس،ط1، أبو ظبي ، المجمع الثقافي،2002م،ص 115.

(3) محمد ابن بطوطة: تحفة النظار و غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،دار صادر،بيروت ، لبنان،1992م،ص 686.

(4)طائفة الجيلي هي طائفة الرواة الشفويين الذين يروون تاريخ و أمجاد المملكة و ملوكها و بطولاتهم ؛حيث يرتلون تلك الملاحم في المناسبات الرسمية و الاحتفالات.

(5) Djibril Temsir Niane: Le soudan occidental au temps des grands empires. Présence Africaine, Paris, 1975, p219.

(6)تقول الروايات الشفوية بأن هناك امرأة ساحرة كانت تعزف بهذه الآلة عند كل فجر بالقرب من هذا الكهف، وأنها كانت تؤثر في المحارب الذي حاول أن يملكها وهو تيراماغان، فذهب للبحث عن أصدقائه وهم ثلاث ، أشهر الرواة الشفويين في مندي بالإضافة إلى ثلاثة صيادين من كوني، فتوجهوا معه للقبض على هذه المرأة الساحرة التي تزوجها فيما بعد تيراماغان وأعطى لأحد أصدقائه الرواة وهو"جيليمالي أولي دياباتي" الآلة الموسيقية ، وهذا الأخير نقلها لابنه كانبا(Kanba) و منه انتقلت إلى الرواة الآخرين.

(7) Niane djibril Temsir :Le soudan occidental, au temps des grandes empires ,Op.Cit, p219.

(8)محمد ابن بطوطة: المصدر السابق،ص ص 684-686.

(9)عبد القادر زبادية: الحضارة العربية و التأثير الأوربي في إفريقيا الغربي جنوب الصحراء،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص 52.

(10) Raymond Mauny :Les siècles obscurs de l'Afrique noire. Librairie Fayard, 1970, p160.

(11)محمد فاضل باري، كريدية سعيد إبراهيم: المسلمون في غرب إفريقيا ، تاريخ وحضارة،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007م، ص 98 .

(12)هو أبو إسحاق إبراهيم الغرناطي بن الفقيه الفرضي محمد الأنصاري الأوسي الغرناطي، المعروف بالساحلي والطويجن، وهو من أهل غرناطة من بيت صلاح وثروة وأمانة، كان أبوه أمين العطارين بغرناطة، وكان من أهل العلم فقيها متفننا ، كان في صغره موثقا بسماط شهود غرناطة، وجال ببلاد المغرب، ثم قدم القاهرة ودخل الشام والعراق، ودخل اليمن والحجاز، وعاد إلى مصر، ثم سار إلى بلاد السودان واستوطنها زمنا طويلا، بلغ فيها أقصى المكانة والحظوة والشهرة والجلالة. ينظر:ابن حجر العسقلاني:الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت،لبنان، 1993م، ج1،ص211. كما يذكر دولافوس بأنه توفي بتمبكتو خلال فترة حكم منسا سليمان سنة 1346م .ينظر:

Maurice Delafosse- Haut sénégal-Niger.Emile Larosz librairie Editeur, Paris, 1912,t2,p190.

(13) أبو العباس الناصري السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق و تعليق: جعفر ومحمد الناصري ،مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية،1954م، ج2، ص ص74 -75 .

(14)عبد الرحمان ابن خلدون ، كتاب العبر. مراجعة :سهيل زكار، دار الفكر ، بيروت، لبنان، 2000م ، ج6، ص 267 .

(15)ذكر العمري بأن مدينة نياني كانت مبنية وسقوفها بالأخشاب والقصب وغالب سقوفها قباب أو جلمونات كالقباب، وأرضها تراب مرمل. ينظر: المصدر السابق، ص111.

(16) نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية،الشركة الوطنية للطباعة والنشر، الجزائر، طبعة ثانية، 1975م، ص 112.

(17) Maurice Delafosse et Bernard Mouralis: Les Nègres. Editions l'harmattan, Paris, 2005, pp 22 et23 _ Maurice Delafosse : Haut Sénégal-Niger, tome2, p189.

(18) John Igué Ogunsolo : Les villes précoloniales d'Afrique noire. Editions Karthala, Paris, 2008, p36.

(19)ابن خلدون:المصدر السابق، ج6 ، ص 268 .

(20)صالح بن قربة: المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص ص 99- 100.

(21)عبد الرحمان السعدي:تاريخ السودان.طبعة هوداس، باريس،1964، ص ص 20 -21 .

(22) Robert et Marianne Cornevin :Histoire de l'Afrique (des origines à La deuxième guerre mondiale.4ème édition, Petite Bibliothèque Payot,Paris, 1964,p164.

(23)عبد الرحمان السعدي: المصدر السابق، ص 87 .

(24)يذكر عبد الرحمان السعدي بأنه لما قام الفقيه القاضي العاقب بن القاضي محمود بتجديد المسجد الكبير بين سنتي 991 و 995هـ/1583 و1587م وبنا مكانه مسجدا آخر، خرب جميع تلك القبور وسواها مع جميع القبور بالأرض من كل جهة صيّر الجميع مسجدا، وزادها زيادة كبيرة.ينظر: تاريخ السودان،المصدر السابق، ص 56.

(25) Robert et Mariane Cornevin:Op.Cit, p164.

ويذكر الظابط الفرنسي فيليكس دوبوا(Felix Dubois) الذي زار تمبكتو سنة 1896م بأنه رغم أن مساحة هذا المسجد ازدادت واتسعت خلال القرن العاشر للهجرة/16م مع تزايد عدد سكان تمبكتو إلا أنه لا يمكن وصفها بالعمل الفني الكبير، إذ هي مجرد أسوار متفاوتة الطول والعرض والارتفاع ولا ترقى إلى مستوى حتى تلك القبور والأضرحة التي أنشئت بجوارها والتي تتميز بانسجام كبير تذكرنا بجمال التزيينات التي بني بها جامع جني القديم.ينظر:

Felix Dubois:Timbuctoo the mysterious. Translated from the frensh by : Diana White, New York, 1896, p275.

(26) John-Igué Ogunsolo :Les villes précoloniales d'Afrique noire. Editions Karthala, Paris, 2008, p41.

(27) Felix Dybois:Op.cit,p275.

(28) Mahmoud Kati :Tarikh el fettach. Traduit par: O. Hodas et Maurice Delafosse .Paris, 1913, p56

(29) Djibril temsir Niane:Op.cit, Le soudan occidental, p134.

(30)يعتقد الأستاذ عبد القادر زبادية بأن معلوم إدريس هذا كان أحد مساعدي الساحلي.ينظر: مملكة سنغاي في عهد الاسقيين ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1971، ص 107.

(31)تأسست سنة 435هـ/1033م ، ويسميها التجار الأفارقة جنة ، وتقع على مسافة 60كم إلى الجنوب الغربي من تمبكتو، وكانت مركزا للتجار المغاربة والعلماء العرب. ينظر: حسن الوزان: وصف إفريقيا ، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ج2، ص162.

(32) Djibril temsir Niane : Le soudan occidental:Op.cit, p130.

(33)قداح نعيم: حضارة الاسلام وحضارة أوربا في افريقيا الغربية،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1975،ص147 .

(34) محمد بن بطوطة:المصدر السابق، ص 690 .

(35)البريد هو وحدة قياس قديمة لقياس المسافة تقدر بـ 23كيلومترا .

Raymond Mauny: Les siècles obscurs de l'Afrique noire. Librairie Fayard1970, p160

(36)قداح نعيم:المرجع السابق، ص 150 .

(37) Maurice Delafosse et Bernard Mouralis: Les Nègres:Op.cit p23.

(38) Spencer Trimingham : The history of Islam in west Africa. Oxford university press, London, 1963 , p69.

(39) Suzan B.Aradeon: Al-Sahili (The historians Myth. of architectural technology tranfer from North Africa). In Journal des Africanistes. Anneé1989, Volume 59, N°01, p 99.

(40) Charles Monteil: Les empires du Mali, p86.

(41) Henri Barth : Voyage en Afrique septentrionale et centrale pendant les années 1849 a. Traduction de l'Almand par : Paul Ithier. Edité par : A. Bohné, librairie Paris, et A. Lacroix, Bruxelles, 1861, tome4, 1855 pp14- 15.

(42)عبد الرحمان السعدي: المصدر السابق، ص ص86-87.

(43) Suzan B.Aradeon: Op.cit. pp99, 100.

(44) Michel Raimbault et Songo Kléna: Recherches archéologiques au Mali. Éditions Karthala, Paris, 1991,p130.

(45)ابن خلدون:المصدر السابق، ج6 ، ص 268 .

(46) Henri Barth :Op.Cit, p15

.Yoro.K.Fall:L'Afrique à lanaissance delacatographie moderne. Edition Karthala, 1982, p184.

University of chahid hamma lakhdar. El-oued. Algeria
Faculty of social and human sciences

مجلة المعارف

ELMAAREF

JOURNAL OF EL MAAREF

For researches and historical studies

Periodical and international vefereed journal

جامعة الشهيد حمّه لخضر - الوادى
Université Echahid Hamma Lakhdar - El-Oued

Number 04